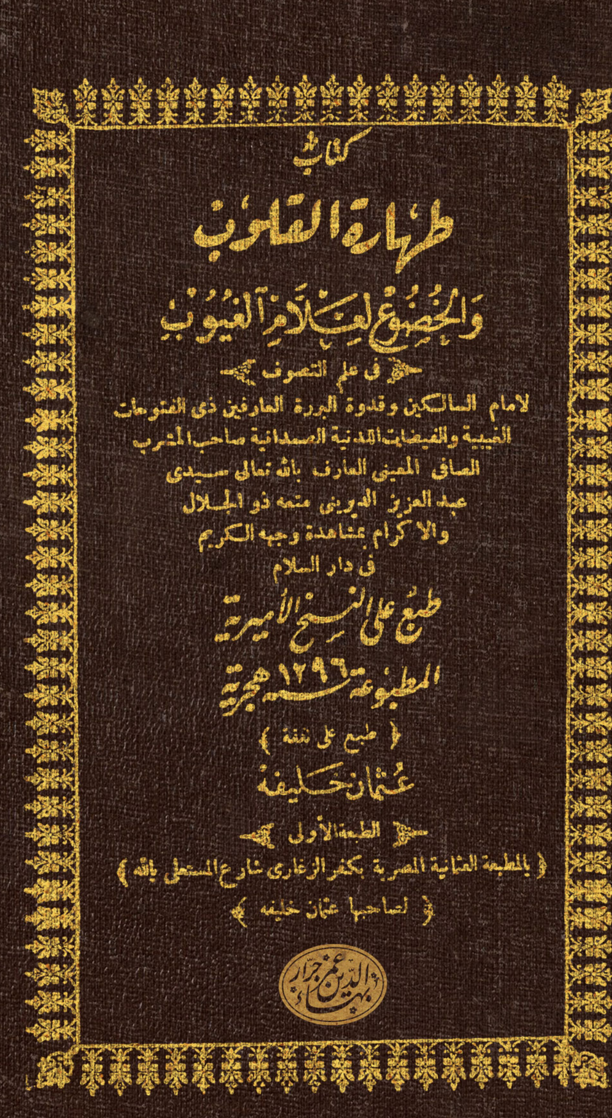

كتاب
طهارة القلوب
والخضوع لعلام الغيوب
في علم التصوف
لامام السالكين وقدوة البررة العارفين ذى الفتوحات
الغيبية والفيضات اللدنية الصمدانية صاحب المشرب
الصافى المعينى العارف بالله تعالى سيدى
عبد العزيز الديرينى متعه ذو الجلال
والاكرام بمشاهدة وجهه الكريم
فى دار السلام
طبع على النسخ الأميرية
المطبوعة سنة ١٢٩٦ هجرية
(طبع على نفقة)
عثمان خليفة
الطبعة الأولى
(بالمطبعة العثمانية المصرية بكفر الزغارى شارع المستعلى بالله)
(لصاحبها عثمان خليفه)
بهاء الدين عمر جرار


بهاء الدين عمر جرار



كتاب

طهارة القلوب

والخضوع لعلام الغيوب

في علم التصوف

لامام السالكين وقدوة البررة العارفين ذى الفتوحات
الغيبية والفيضات المدنية الصمدانية صاحب المشرب
الصافى المعينى العارف بالله تعالى سيدى
عبد العزيز الديرينى متعه ذو الجلال
والاكرام بمشاهدة وجهه الكريم
فى دار السلام

طبع على النسخ الأميرية
المطبوعة سنة ١٢٩٦ هجرية

(طبع على نفقة)
عثمان خليفه

الطبعة الأولى

(بالمطبعة العثمانية المصرية بكفر الزغارى شارع المستعلى بالله)

(لصاحبها عثمان خليفه)

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الامام العالم العلامة عالم عصره وفريد دهره بقية السلف الصالحين الشيخ ضياء الدين عبد العزيز بن أحمد بن سعيد الديريني رضى الله تعالي عنه وأرضاه وجعل الجنة مثواه ونفعنا والمسلمين من بركاته وبركات علومه وخلواته وجلواته فى الدين والدنيا والآخرة آمين (الحمد لله) الذي تفرد قبل وجود اللغات بالاسماء الحسني وتوحد فى محامد الصفات بالمجد الاسنى الذي وله القاصدون اليه رغبة وطلبا وتوله بذكره الواجدون شوقا وطربا وتأله لجبروته العابدون عبودية ورقا وتفرد بأوصاف الالهيــة فهو المعبود حقا الأول الأزلي بلا بدايه المتفضل أولا بالعنايه الآخر الأبدى الباقى الدائم بلا نهايه المتفضل آخرا بالغفران والاحسان والكفاية والرعاية الملك القادر على الايجاد والاختراع المالك المتصرف فليس لحكمه دفاع القــدوس البرىء عن الآفات السبوح المـنزه المسبح بجميع اللغات السلام السالم من نقائص المخلوقات المتفضل بالسلامة والسلام على الذين آمنوا وعملوا الصالحات الصمد السيد الذي لا يشبهه شىء من المخلوقات الغني عن الأغيار فلا تحويه الجهات القيوم المدبر الذى يمسك بقدرته الأرض والسموات الواحد فلا شريك له فى ملكه وأفعاله الأحد فلا نظير له فى صفات كماله الوتر الفرد فلا سمى له فى جلاله الحميد المحمود بصفات الكمال الحى الذي ليس لحياته زوال العالم بعــلم قديم ليس بضرورة ولا استدلال العليم الخبير الواسـع المحصي المحيط بباطن الأحوال المؤمن الذى صدق نفسه بعلمه وقوله وأخباره بصــدقه المهيمن الشهيد الذى شهد لنفسه بالوحدانية قبــل شهادة خلقه العالم بصدق الصادقين من بريته الشاهد فلا يخفي عليه شيء عن علمه ورؤيته السميع بغير إصغاء ولا إنصات البصير بغير جارحة ولا التفات الرقيب فلا يخفى عليه شىء من أفعال العباد القريب بعلمـــه من الكافة وبتقريب الاسرار من أهل الوداد الحفيظ الذى لا يعتريه سهو ولا نسيان الحافظ لمن يشاء فلا يكون للشيطان عليــه سلطان القادر بقدرة قديمة أوجد بها الأعيان والآثار القدير المقتدر القوى المتين القاهر

القهار المريد بارادة قديمة فهو المقدم المؤخر لما شاء كما شاء بحكمته فكل خير وشر ونفع وضر وايمان وكفر وربح وخسران فهو بقضائه ومشيئته الرحمن الرحيم الرؤوف الكريم الصبور الحليم الودود الغفور الغفار العفو الجليل البار رحمته ورأفته إرادته البر والاحسان والانعام ووداده ومحبته إرادته التقريب والاكرام ومغفرته إرادته الستر على الزلات وعفوه إرادته محو آثار السيآت وصبره وحلمه إرادته تأخير العقوبات وجماله وبره إرادته جميع الخيرات المتكلم بكلام قديم أزلى لا يشبهه كلام الخلق به يأمر وينهى ويبشر وينذر ويعد ويتوعد ويخبر والقرآن كلامه القديم ليس بمخلوق فيفنى بتصرم الأيام ولا صفة لمخلوق فتفنيه الاقلام جلت صفات المهيمن العلام عن إحاطة الأوهام كلامه مقروء بالالسنة مكتوب فى المصاحف محفوظ فى الصدور وصفاته لا يوصف به غيره ولا يغيرها حوادث الدهور الشكور الذي يثني على المحسنين بقوله ويجزى الشاكرين بمنته وطوله البارىء المصور من غير مثال البديع المبتدع المبدىء الفعال المتفضل الوهاب معطى النوال قبل السؤال الرزاق معطي الارزاق من غير احتيال الفتاح ميسر ما عسر من الاسباب الفاتح بحكمته بين الخصماء يوم الحساب القابض الباسط يقبض الارواح عند انقضاء الآجال ويبسطها في الأشباح عند البعث لعرض الاعمال ويقبض الارزاق فيضيقها عدلا ويبسط النعم فيوسعها فضلا ويقبض النفوس بالهم والترح ويبسطها بالسرور والفرح الخافض الرافع يرفع قدر من شاء بالاكرام ويخفض من يشاء بالاهانة والانتقام ويرفع الحق ودليله ويخفض الباطل وسبيله ويحفظ أولياءه بحفظ عهده وحسن وده وجميل رفده وصدق وعده ويخفض أعداءه ببعده وصده وطرده ورده الحكم العدل في جميع أحكامه اللطيف بعباده فيلاطفهم باكرامه الحبيب الكافى لمن يتولاه المجيب دعاء المضطر اذا دعاه الباعث للرسل والاموات الوكيل متولى أمر من يرجع اليه فى المهمات الولى الناصر لمن تولاه المبدىء المعيد المحي المميت فلا ملك سواه التواب الراجع بعبده من قفار معصيته الى بساط قربه المقسط العدل فى جميع أقضيته المنتقم ممن عصاه وجحده الهادي فبهدايته وحده المؤمن وعبده النور الذي وضحت معرفته بهدايته منور قلوب المؤمنين بأنوار ولايته الرشيد المرشد لمن يلهمه

ويهديه الغنى فيعطي من يشاء ويكفيه المانع يمنع البلاء حفظاً وعناية ويمنع العطاء عمن يشاء بلاء أو حماية الجامع لأجزاء الاجسام بعد البلى المعز المذل فمن أعزه شرف وعلا العلي الاعلى المتعال وعلوه علو تعظيم وجلال العظيم الكبير الاكبر المتكبر وكبرياؤه وصف القهر والكمال المجيد الرفيع فلا يدركه الوهم والخيال الظاهر فتعرفه العقول بصنعته الباطن فلا سبيل الى إدراك صمديته الجبار فلا تصل العقول الى الاحاطة بجلاله القاهر لعباده فيجبرهم على مايشاء من أفعاله المتفضل على عبده بجبر كسره وإصلاح أحواله العزيز الذى لاضد له ولاشبيه له الغالب المعز لمن يواليه الجليل الذى دهشت فى جلاله عقول العارفين وكلت دون ثنائه السنة الواصفين فهم بين جماله وجلاله يرتعون والى أنوار هدايته يرجعون يتمسكون بحبل الله المتين ويعلمون أن الله هو الحق المبين (أحمده) على ما ألهمنا من معرفته وأكرمنا به من جزيل نعمته وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له شهادة أعدها من أكبر نعمه وعطائه وأعدها وسيلة الى يوم لقائه وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المصطفى الذي نفي به علل الصدور وشفي صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه مصابيح الهداية صلاة دائمة متوالية أبداً من غير نهاية (هذا كتاب) فيه فصول يتذكر بها من أصغى اليها بسمع قابل وينتفع بها من كان قلبه روضة يصيبها الطل والوابل جمعتها ما بين آيات مفسرة وأخبار مسندة مؤثرة وخطب وعظية مبتكرة وكلمات منقولة عن السلف الصالحين ونظم ونثر من كتب الأئمة العاملين (وسميته كتاب طهارة القلوب والخضوع لعلام الغيوب) وانما سميته بهذا الاسم لأني لما أكملته رأيته فى المنام وهذا الاسم عليه مكتوب بخط غليظ فسميته بذلك ونسأل الله تعالى أن يسلك بنا قصد السبيل اليه ويرزقنا حسن الأدب بين يديه ويجعل مقاصدنا خالصة لوجهه الكريم إنه هو السميع العليم

الفصل الاول في الايمان

الحمد لله الذى رسم في صفحات المصنوعات قواطع الدلائل وفرق بمحكم الآيات البينات بين الحق والباطل الموجود بلا بداية فلم يزل أزلياً أولياً وهو الأول قبل الاوائل الباقي بلانهايه فلايزال أبدياً وهو الآخر بعد كل زائل الواحد القدوس فلا شريك له ولا مماثل الحي العليم القدير المدبر الخبير السميع البصير المتكلم

وهو أصدق قائل صفاته قديمة ثابتة بالنقل والعقل فمن عطل فهو بتخيلاته يجادل وتنزيهه عن أوصاف الحدوث معلوم بالدليل فمن شبه فهو من أهل الباطل كيف يشبه القديم الأزلى بالحادث الزائل أم كيف تماثل الصنعة الصانع أو تضارع الأفعال الفاعل لا تدركه الأبصار ولا تمثله الأفكار ولا يحيط به عقل عاقل انقطعت الاوهام وحارت الافهام وبحر المعرفة ليس له ساحل فالتسليم أسلم والتعظيم رد الامر إلى من هو أعلم فالعجز واقع والحصر حاصل فسبحان من نور أسرار أوليائه بذكره وعاملهم بالفضل التام والاحسان الشامل فهم عن بابه لا يبرحون وعلى بساط قربه يتنعمون وينشرحون وأنفاسهم اليه رسائل لهم في الدجى أنس بذكره وخدمته فهم أيقاظ والناس ما بين نائم وغافل فتبارك من قسم عطاءه بين خلقه وهو فى أحكامه عادل يدعو الفقراء الي نواله ويقول فى كل ليلة هل من مستغفر هل من سائل (أحمده) على جميع فضله الطويل المديد الوافر الكامل وأعتمد على كرمه اعتماد عبد أنضى الى بابه الرواحل وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له إله لا ينقص خزائن ملكه العطاء ولا تبرمه المسائل وأشهد أن محمدا عبده ورسوله انتخبه من أشرف القبائل وزينه بأكمل الفضائل وجعل أتباعه من أشرف الوسائل صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه بالغدو والاصائل (في قوله عز وجل) انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون (الايمان التصديق) فالمؤمن من صدق بأن الله تعالي هو الاله الحق الاول الآخر الظاهر الباطن القدوس الصمد الواحد الأحد الحي العليم القدير المدبر السميع البصير المتكلم بكلام قديم يجل عن التحديد الملك الفعال لما يريد وان الله تعالي أنزل الكتب وأرسل الرسل وانه يحي الموتى وان جميع ماجاء به الرسول حق فهذا أصل الايمان والاقرار به فرض مع الامكان وثمراته الخوف من وعيد الله تعالى ورجاء وعد الله تعالي وتعظيم جلال الله وامتثال أمر الله واجتناب محارم الله والصبر على أحكام الله والشكر لنعم الله تعالي ودوام الافتقار الى الله تعالى والزهد فيما يقطع عن الله تعالى والتوكل على الله تعالى والمحبة والشوق الى الله تعالى والرضا بما قضي الله تعالى واخلاص النية فى العمل لله تعالي والصدق فى السر فى

معاملة الله تعالى والمحاسبة للنفس والفكرة فى آلاء الله تعالى والمراقبة والحياء من الله تعالي وغيرذلك من الأوصاف المحمودة (واعلم) أن الايمان يزيد وينقص ويظهر تفاوته بالتفاوت فى ثمراته ويرجح بقدر اليقظة والذكر ويخف بقدر نسيان القلب وغفلاته (قال ﷺ لايزنى الزانى حين يزني وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن) وذلك انه غافل حالة المعصية عن الله تعالي خال عن عبادة الله تعالى فينقص ايمانه بذلك (وأما الاسلام) فهو الانقياد لأوامر الله تعالى واعتقاد وجوب طاعة الله تعالى فمن صدق بقلبه واعتقد وجوب طاعة الله تعالى ولم يوفق لفعلها فهو مؤمن مسلم غير محسن وايمانه ناقص (وأما الاحسان) فهو كمال الايمان ومعناه فعل ماأمر الله تعالى به وترك مانهى الله تعالى عنه فى صحيح مسلم عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه قال كان رسول الله ﷺ يوما بارزا للناس فأتاه رجل فقال يارسول الله ماالايمان قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ولقائه وتؤمن بالبعث الآخر قال يارسول الله ماالاسلام قال الاسلام أن تعبد الله لاتشرك به شيئا وتقيم الصلاة المكتوبة وتؤدى الزكاة المفروضة وتصوم رمضان قال يارسول الله ماالاحسان قال أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك قال يارسول الله متي الساعة قال ماالمسؤول عنها بأعلم من السائل الحديث ثم أدبر الرجل فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام ردوا على الرجل فأخذوا ليردوه فلم يرواشيئا فقال النبي ﷺ هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم * وعن عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ من مات وهو يعلم أن لااله الا الله دخل الجنة * وعن عبادة بن الصامت قال سمعت رسول الله ﷺ يقول من شهد أن لااله الا الله وأنى رسول الله حرم الله تعالى عليه النار * وعن عتاب بن مالك عن رسول الله ﷺ أنه قال لا يشهد أحد أن لااله الا الله وأنى رسول الله فيدخل النار * وعن سفيان بن عبد الله الثقفي قال قلت يارسول الله قل لى في الاسلام قولا لاأسأل عنه أحدا بعدك قال قل آمنت بالله ثم استقم * وعن أنس رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان من كان الله ورسوله أحب اليه مما سواهما وأن يحب المرء لايحبه الا لله وأن يكره أن يعود فى الكفر بعد أن أنقذه الله تعالي منه كما يكره أن يقذف فى النار * وعن

أنس أيضا رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال والذى نفسى بيده لا يؤمن عبد حتى يحب لجاره أو قال لأخيه ما يحب لنفسه * وعن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ الأيمان بضع وسبعون شعبة فافضلها قول لا إله إلا الله وادناها اماطة الأذي عن الطريق والحياء شعبة من الأيمان * وعن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما عن النبي ﷺ قال بنى الاسلام على خمس أولها أن يوحد الله وإقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان والحج الى بيت الله الحرام * وعن ابن عمر أيضا قال قال رسول الله ﷺ أخبرونى بشجرة تشبه الرجل المسلم لا يتحات ورقها تؤتى أكلها كل حين باذن ربها فسكتوا فقال هى النخلة وهذا الحديث يؤيده قوله عز وجل الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة وهى كلمة لا إله إلا الله كشجرة طيبة وهى النخلة أصلها ثابت كما ان أصل التوحيد مستقر في القلب وفرعها في السماء أى صاعد في العلو وكذلك فرع الايمان العمل الصالح والاحسان والعمل الصالح يصعد الى السماء قال الله تعالى والعمل الصالح يرفعه والنخلة لا يسقط ورقها والمؤمن لا يتغير ايمانه باختلاف اهواء أهل الباطل والمؤمن شريف المؤنة كالنخلة والنخلة اذا فرعت فرعت واذا فرعت اثمرت والمؤمن اذا ادب تأدب واذا هذب تهذب المؤمن خفيف المؤنة كالنخلة اذا وقعت على عود لم تكسره وهي تأكل طيبا ويصدر عنها طيب والمؤمن يأكل حلالا فيصدر عنه صالح الاعمال النخلة لعابها صاف وشرابها شاف والمؤمن رؤيته شفاء وموعظته دواء ينتفع برؤيته قبل روايته وخيره بادر وشره نادر (قال الفضيل) المؤمن قليل الكلام كثير العمل والمنافق كثير الكلام قليل العمل (وقال) ذو النون المؤمن بشره فى وجهه وحزنه فى قلبه أوسع شىء صدرا واخفى شيء نفسا زاجر عن كل شر آمر بكل خير لا حقود ولا حسود ولا مرتاب ولا سباب ولا عياب يكره الرفعة ويبغض السمعة طويل الهم كثير الغم حليف الصمت عزيز الوقت لا متفاخر ولا متهتك ضحكه تبسم واستفهامه تعلم ومراجعته تفهم لا يبخل ولا يعجل ولا يضجر ولا يجهل لا جزع ولا هلع ولا عنف ولا صلف قليل المنازعة جميل المراجعة عدل ان غضب رفيق ان طلب خليص الود وثيق العهد وفى الوعد شفوق وصول حليم حمول قليل الفضول راض عن مولاه مخالف لهواه لا يغلظ على من يؤذيه ولا يخوض فيما لا يعنيه ان سب وأوذي

لم يسب وان طلب ومنع لم يغضب ولا يشمت بمصيبة ولا يذكر أحدا بغيبة هشاش بشاش لا فحاش ولا غشاش كظام بسام دقيق النظر عظيم الحذر فهذا هو المؤمن حقا وفى الحديث المؤمن كالجمل الانوف ان قيد انقاد وان انيخ على جمرة استناخ ومعناه ان المؤمن اذا دعى لخير اجاب بسهولة كالجمل المخزوم فى انفه كما قيل (شعر)

خيانة أهل الحب ان يظهروا الشكوى * وصدقهم في الحب ان يكتموا البلوى
ومن لم يجد هجر الحبيب كوصله * فماذاق من طعم الغرام سوى الدعوي

وكما ان الجمل الانوف اذا أنيخ على جمرة استناخ كذلك المؤمن مقيم على باب مولاه صابر معه على بلواه كما قيل فيه (شعر)

ومازال بي شوقي اليك يقودنى * يذلل مني كل ممتنع صعب
اذا كان قلبي سائرا بذمامه * فكيف لجسمي بالمقام بلا قلب

(قال) عبدالواحد بن زيد مررت فى بعض الجبال بشيخ اعمي اصم مقطوع اليدين والرجلين وهو يقول إلهي وسيدى متعتنى بجوارحى حيث شئت واخذتها حيث شئت وتركت لى حسن الظن فيك يا بر ياوصول قال فقلت فى نفسى اى بر من الله على هذا وأي وصل فقال اليك عنى يا بطال اليس ترك لى قلبا يعرفه ولسانا يذكره فهو نعيم الدارين جميعا ويقال فى قول الله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الآية قالوا بألسنتهم ثم استقاموا فصدقوا بقلوبهم ويقال قالوها مصدقين ثم استقاموا بالطاعة على التصديق حتي ماتوا مؤمنين ويقال قالوها بالايمان ثم استقاموا بالطاعة والاحسان ويقال لا إله إلا الله مفتاح الجنة ولكن اسنانه الاعمال الصالحة فمن جاء بالمفتاح وله اسنان فتح له وأما قوله قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا فهؤلاء قوم منافقون اسلموا بظواهرهم ولم يصدقوا بسرائرهم فلما ادعوا الايمان أكذبهم الرحمن وقال ولما يدخل الايمان فى قلوبكم ثم بين وصف المؤمن فقال انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون ويقال الايمان كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك الايمان كسكينة موسي من كانت معه كان الظفر له الايمان كخاتم سليمان العز مع وجوده والذل مع فقده

الايمان كعصاموسى تلقف عصى السحرة وكذلك الايمان تنمحق عنده الشبهات والتخيلات وتغفر مع صحته السيآت الايمان كالماء الطهور يطهر ماقبله ومابعده ولا ينجس حتي يتغير الايمان كالحرم من دخله كان آمنا يقول الله تعالى لا إله إلا الله حصني فمن دخل حصني أمن من عذابى (رأى) بعض الصالحين عيسي ابن مريم عليه الصلاة والسلام فى المنام فقال انى أريد أن اصنع خاتما فما انقش عليه فقال عيسى عليه الصلاة السلام انقش عليه لا إله إلا الله الحق المبين فانها تذهب الهم والغم والاشارة ان نقشها في القلب يذهب هم الآخرة (كما قيل فى ذلك شعر)

نقشت اسم محبوبى علي فص خاتمى * وماغاب عن طرفى ولم يخل عن قلبي
ففي مسه برء السقام ولثمه * يبرد ماألقي من الوجد والكرب
حروف اسمه منقوشة فوق كل ما * اعاينه لكن تداويت بالكتب
حرام على قلبي السلو وانني * لعبد له في حالة البعد والقرب

(واعلم) ان أصل الايمان الهام يلقيه الله تعالى في القلب ثم يزداد بالنظر في المصنوعات قوة ووضوحا و ينمو بسماع القرآن وصحبة الصالحين ونحو ذلك قال الله تعالى ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم حبب اليكم الايمان و يسر لكم القرآن وكره اليكم العصيان وصرف عنكم الشيطان وخلق لكم الجنان وضمن لكم الغفران ووهبكم الرضوان وزين السماء بأنوار الكواكب وزين القلوب بأنوار المواهب فزينة السماء محروسة عن الشياطين وزينة القلوب محفوظة عن ابليس اللعين قال الله تعالي ان عبادى ليس لك عليهم سلطان وقيل معناه فى أصل الايمان فانهم وان وقعوا فى العصيان فانهم بين خوف العقاب ورجاء الغفران قلب المؤمن زينة الرحمن فهو كالبستان غرسه الملك المنان وحفظه من الشيطان ومن زرع زرعا سقاه ومن صنع معروفا ابقاه ومن زين موضعا وقاه الايمان من افضاله فهو أولي بحفظه واكماله كما قيل (شعر)

عندى حدائق ودغرس نعمتكم * قدمسها عطش فليسق من غرسا
فداركوها وفى أغصانها رمق * فلن يعود اخضرار العود ان يبسا
إنى صنيعة أيديكم وأنعمكم * فلاتتركوني فان القلب قددرسا

ان الكريم اذا أنشا حدائقه * من المروءة ان تسقي وتحرسا

مالاعلمك به فهو به اعلم وماقواك عليه فهو عليه اقوي وماحببه اليك فهو له أحب وقد حبب اليكم الايمان فاذا كان يحب ايمانكم فهو أولى بحفظ محبو به فلذلك لا يسهو عنك بسهوك ولا يغفل عنك بلهوك وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان المؤمن يكره فعل المعصية وان وقع فيها وانما يغطى على عقله وقت فعلها فلذلك اذا وقع فيها عاوده الندم والأسف قال الله تعالى أولئك هم الراشدون فضلا من الله ونعمة مدحهم على ما منحهم واثنى عليهم بما أودع لديهم ثم عرفهم ان ذلك من فضله ليشغلهم الشكر عن الاعجاب فان الاعجاب حجاب (خرج) أبو حفص النيسابورى فرأى يهوديا فوقع مغشيا عليه فلما افاق سئل عن ذلك فقال رأيت رجلا عليه لباس العدل وعلي لباس الفضل فخشيت ان يبدل الله لباسي بلباسه فسبحان من حبب الينا الايمان وسبب وزين وبين وايد وسدد وعصم وانعم واكمل واجمل وعرف والف واسمع واطمع وقرب وادنى وطيب واغني واقنى ثم مدحنا على فضله وتفضل بالجزاء وطاعتنا من فعله ليكون الثواب اهنى والفضل اتم واسني فله الحمد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم

الفصل الثانى في الثناء

الحمد لله الذى عز جلاله فلا تدركه الافهام وسما كماله فلا تحيط به الاوهام وشهدت افعاله أنه الحكيم العلام الموصوف بالحياة والعلم والقدرة والارادة والسمع والبصر والكلام صفاته قديمة لا تشبه صفات خلقه فمن شبه فقد شابه عبدة الاصنام جل الواحد الاحد الصمد فلا يحيط به فكر ولا يحده حصر ولا يحويه نظر فلا يجب عليه حق ولا يتوجه عليه ملام هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام تعرف الى خلقه بصنعته فنصب على معرفته الاعلام وأوضح الدليل على تمام حكمته وكمال قدرته بترتيب مخلوقاته على وصف الاتقان والاحكام وقسم عطائه بين خلقه فى الظاهر والباطن اقسام فالمؤمنون حبب اليهم الايمان وشرح صدورهم للاسلام والكافرون حجبهم عن بابه وجرت بشقاوتهم الاقلام والعلماء زينهم باقامة الحجج الدينية ومعرفة الاحكام والعارفون أودعهم لطائف سره فهم أهل المحاضرة والالهام والعاملون وفقهم لخدمته فهجروا لذيذ المنام واقام هممهم فاستقاموا وقاموا فى جنح الظلام والمحبون أذاقهم لذة قربه

وآنسهم فشغلهم عن جميع الأنام والغافلون أذهلهم عن النظر فى العواقب فجنحوا للآثام فسبحان من منح ومنع ووصل وقطع وفرق وجمع فبمشيئته الاحجام والاقدام يقبل التوبة ويكشف الحوبة ويغفر الاجرام تبارك اسم ربك ذى الجلال والاكرام (أحمده) على ما أولانا من جزيل الانعام وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من قال ربي الله ثم استقام وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وقد ارتفع من غبار الشرك قتام وسطع من غبر الكفر ظلام فلم يزل ﷺ يناضل بالحجج والسنان والحسام ويقاتل فى سبيل الله بعزم واهتمام حتى انقشع عن سماء الحق تراكم الغمام وطلع من أفق الايمان بدر التمام وأظهر حجج الله تعالى وبين الحلال والحرام ﷺ وعلى آله وأصحابه البررة الكرام ما وكف قطر واضطرب نهر وانفتح زهر ومال غصن وغرد حمام (فى قول الله عز وجل) تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام تبارك من البركة والبركة الدوام والبقاء وكثرة الخير والنفع والحق سبحانه وتعالى دائم البقاء كثير الخير دائم المعروف سبحانه ويقال تبارك أى تعاظم ربك ذو الجلال والجلال وصف العز والكبرياء والعظمة والعلو والرفعة ومعناها فى وصف الله تعالى تنزيهه عن مشابهة الخلق وتقديسه عن النقص وتعاليه عن ادراك الوهم وتمام سلطانه وانه ذو السطوة والقهر ومعنى الاكرام وصف الجمال والرحمة والرأفة والبر وانه ذو المغفرة والعفو فان الملك من هيبته يخشى فتوجب الرهبة ورأفته توجب الرغبة ليكون العبد بين خوف ورجاء وقبض وبسط وهيبة وأنس ومحو وصحو قال الله تعالى حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول لا إله إلا هو اليه المصير ح أقسم بحلمى م أقسم بمجدى فمن الجمال المجد والحلم ومن الجلال العز والعلم ثم من الجمال غافر الذنب وقابل التوب ثم من الجلال شديد العقاب ثم من الجمال ذى الطول أى الفضل ردك بين خوفه ورجائه وأقامك بين رأفته وكبريائه فارتع بسرك على بساط ثنائه وتنعم بقلبك فى رياض أسمائه (شعر)

فسبح باسم من تهوى ودعنى من الكنى * فلا خير فى اللذات من دونها ستر

لا راحة للمؤمن دون لقاء ربه فلا راحة له اليوم إلا فى ذكره لمولاه فانه نعيم قلبه (شعر)

القرب منك هو النعيم * وهو الصراط المستقيم
ان اللذيع من الهوى * شوقا هو القلب السليم

كيف يصبر عن قربه من وجد طعم حبه أم كيف لا ينقطع اليه من وجد التذلل بين يديه كان من دعاء رسول الله ﷺ أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وبك منك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك هذا سيد المرسلين وامام العارفين متذلل بين يدي رب العالمين ومشاهد عجز العقل عن ادراك كبريائه وقصور جميع الخلق عن حقيقة ثنائه جل الواحد الأحد فأنى بالوصل وتقدس القيوم الصمد فمن ذا الذي للقرب أهل (شعر)

فلا وصل إلا ذلة وتحيرا * وهيبة اعظام بعز جلاله
ولا قرب الا أن تكون مولها * بذكراه أو مستغرقا بجماله

أيها الفقير لازم باب المولى الكريم وتعزز بالمولى العزيز العليم وته عن كل الاكوان لمعبودك وهون الروح في طلب مقصودك فانه كريم من توسل اليه بطاعته تفضل عليه بنعمته ان أطاع أكرمه وفضله وان أضاع رحمه وأمهله فان تاب وأناب شكره وان عصي وأساء ستره عزيز شهد بجلاله جميع أفعاله ونطق بجماله جميع أفضاله ودل على ثبوته بدائع آياته وأخبر عن صفاته عجائب مخلوقاته كريم من دعاه لباه ومن توكل عليه كفاه ومن انقطع اليه آواه ومن رجع اليه رحمه وأدناه ومن سأله أكرمه وأعطاه ومن أعرض عنه ناداه ألف المحبون قربه فلا يصبرون عن لقياه وألف العارفون مجده فلا يستأنسون بسواه جلا علاه (شعر)

حبيب أرتجيه وإن جفاني * ويعلم مالقيت من الصدود
ويظهر فى الهوي عز الموالي * فيلزمنى له ذل العبيد

(عزيز) اعترف العارفون بالقصور عن إدراك صمديته جليل تمنعت العقول خجلا من الطمع فى الاحاطة بأحديته كريم صغرت الحوائج علي ساحات جوده

ورأفتـه رحيم تلاشت قطرات زلات عباده فى تلاطم أمواج بحـار رحمته هو الذى ربالك بنعمته وهـداك الى معرفته وزينك بمحبته فمـالك لاتنقطع بالـكلية اليـه ومالك لاتعتمد فى مهامك عليـه يامسكين ان أعرضت وابيت وفى جحودك تماديت فما افقرك الى وماأغنانى عنك يامسكين أنت ان لم تـكن لى فانا عنك غني وأنت المسـكين ان لم اكن لك من ذا الذى يحسن اليك من ذا الذي ينظر اليك من الذى يهتم بشأنك بمن تتوسـل اذا طردتك عني عبـدى انا لاارضى الا أن تـكون لي افترضي ان لا اكون لك (شعر)

ياقليل الوفا كثير التجنى * كيف ترضي بطول بعـدك عني
لوتحققت قـدر وصلي وقربي * لبـكيت الدما لمـا فات منى

لايليق الوله والغرام الا فى حب مولى ليس للوهم فيـه مرام عزيز أذل الـكون بجملته فى طلبه وهو عزيز فجميع الاعيان والآثار تنادي على أنفسـها بلسان الحال نحن عبيد من لم يزل ولا يزال (شعر)

اذا حـدث الراوى أحاديث حسنه
يقول الورى هـذا حديث مصدق

سبح كل شيء بحمده ونطق كل شيء بمجده (شعر)

وكل من بالغ في وصفه * أصبح منسوبا الي العى
وان نشرنا ذكر احسانه * أعجزنا النشر كما الطي

جبار جبر احوال من رحمه وتجـبر على من اقصاه وحرمه لطيف يعـلم خفايا تصنع العاملين ويغـفر عظائم ذنوب التائبين كريم يبصر ويسـتر ويغفر ويجـبر من اعتنى بشأنه غمره باحسانه فان تمـادى بعصيانه حال بينـه وبين اختياره بقهر سلطانه ان لم يلازم الطاعة باختياره ألجأه بالبلاء الى بابه باضطراره اختار قوما لاليننتفع بهم بل لينفعـهم واذل آخرين فطردهم ومنهم سـبوح سبحت أسرار المحققين فى بحر توحيده فوجـدوه بلا شاطىء فـلا خروج ولا براح فحازت أيديهـم جواهر التفريد فوضعوها فى تاج العرفان ولبسوها يوم اللقا (شعر)

احرى الملابس ان تلقى الحبيب به * يوم الزيارة في الثوب الذى خلعا

قدوس تعالى عن الوصول والاتصال ليس لمن عرفه الا التعظيم والاعتراف بالعجز عن ادراك الجلال وشهود الحقائق شهود الافعال عزيز لم تنفطر القلوب الا بنسيم إقباله ولم تتقطر الدموع الامن خوف هجره أو طمع فى وصاله عزيز دلت افعاله على جلال شأنه وذلت الرقاب عند شهود سلطانه كريم أرواح المحبين لذكره الفت واسرار الموحدين بساحات جلاله وقعت ونفوس العابدين بالعجز عن اداء حقه اتصفت وعقول العارفين بالعجز عن معرفة كبريائه اعترفت كريم بسط للمؤمنين بساط جوده انى بالوصل ولا نحوله وانى بالوجود ولا حد له من ذا الذى يدركه بالزمان والزمان خلقه من ذا الذى يحبسه فى المكان والمكان فعله من ذا الذي يعرفه إلا به يعرفه كريم من طلبه عرفه فاذا عرفه لاطفه فاذا وجد لطفه ألفه فاذا ألفه أنف أن يخالفه هدي قلوب الغافلين الى طلب الدنيا فعمروها وهدى قلوب العابدين الى طلب العقبي فكابدوها وهدى قلوب الزاهدين الى فناء الدنيا فرفضوها وهدي قلوب العلماء الى النظر فى آياته فلازموها وهدى المريدين الي عز وصفه فآثروه وهدي العارفين الي قدس نعته فراقبوه وهدى الموحدين الي علو سلطانه فتركوا ماسواه وهجروه وخرجوا عن كل مألوف ومعهود حين وجدوه وعلموا أنه وراء كل فصل ووصل فرجعوا الى وطن العجز فتوسدوه كريم اذا ذكره العاصون نسوا زلتهم في جنب كرمه ورحمته عزيز إذا ذكره المطيعون غابوا عن طاعاتهم فى جنب منته وعزته عزيز لاغرض له فى افعاله ولا عوض عنه فى جلاله وجماله عز لسان ذكره وأعز منه قلب عرفه وأعز منه روح أحبه وأعز منه سر شاهده ليس كل من طلبه وجده ولا كل من وجده بقى معه فسبحانه لا إله إلا الله العزيز الحكيم اللهم اجعل فى قلوبنا نورا نهتدي به اليك وتولنا بحسن رعايتك حتي نتوكل عليك وارزقنا حلاوة التذلل بين يديك فالعزيز من لاذ بعزك والسعيد من التجأ الي حماك وجودك والذليل من لم تؤيده بعنايتك والشقى من رضي بالاعراض عن طاعتك والحكم حكمك فما تغنى الحيل والامر أمرك فاليك تحقق الامل اللهم نزه قلوبنا عن التعلق بمن دونك واجعلنا من قوم تحبهم ويحبونك اغفر لنا

ولو الدينا ولجميع المسلمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا والحمد لله رب العالمين

الفصل الثالث في الذكر

الحمد لله الذي تفرد فى أزليته بعز كبريائه وتوحد في صمديته بدوام بقائه ونور بمعرفته قلوب أوليائه وطيب أسرار القاصدين بطيب ثنائه وسكن خوف الخائفين بحسن رجائه ونعم أرواح المحبين فى رياض معاني أسمائه وأسبغ على الكافة جزيل عطائه وقسم بين عباده فالقبول والرد والوصول والصد والخمول والجد بمشيئته وقضائه الحي العليم فلا يعزب عن علمه مثقال ذرة فى أرضه وسمائه الولي القدير فلا شريك له فى تدبيره وانشائه السميع البصير فلا يخفي عليه حركة ذرة فى لجة البحر عند تلاطم أمواجه وتراكم ظلماته المتكلم بكلام أزلى قديم لا يشبه كلام خلقه والقرآن كلام الله أنزله بنهيه وأمره ووعده وإيعاده وأنبائه الملك العزيز الذى من التجأ الي حماه عز بالتجائه وانقطع الفقير الى بابه وشكا مواجيد برحائه واكتفي بتدبيره لانه مطلع على مافى سويدائه فوجد عنده الشفاء ومن أولي منه بشفائه ظهرت شواهد وجوده فدليل توحيده في غاية ضيائه فالعلوي والسفلي والعرش والكرسي والجني والانسي فى دائرة الافتقار الى تدبيره وابقائه استوى على العرش من غير افتزار ولا افتقار ولا استقرار ولا كيفية لاستوائه له الجلال والجمال والكمال والثناء الذي قصرت الالباب عن احصائه فالصامت ناطق من حيث الدلالة والناطق صامت وان بالغ في الاقالة فان للعقل حدا يقف عند انتهائه فرط المعطل فما اهتدى وأفرط المشبه واعتدى فهلكا فى قفار الجهل وبيدائه فالعارف أشرق قلبه بمعرفة الله تعالى وأطرق سره لهيبة الله فتسربل بجماله فسبحان من تقرب برأفته ورحمته ونور هدايته الي قلوب أحبابه وتعرف لعباده بمحاسن صفاته فانبسطوا لذكره ودعائه ودعانا اليه بقوله سبحانه وتعالى ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه (أحمده) حمد معترف بالعجز عن عدد آلائه منتظرا زوائد بره وآلائه ونعمائه مستجيرا من بعده واقصائه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ضمن الحسنى لقائلها يوم لقائه ووعده بزيادة النظر اليه وهو أحق بوفائه وأشهد أن محمداً عبده ورسوله خاتم

أنبيائه وسيد أصفيائه المخصوص بالمقام المحمود في اليوم المشهود لجميع الانبياء تحت لوائه صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وخلفائه وعلى من اقتفى أثرهم الى يوم الدين ففاز باقتفائه صلاة دائمة مادر وابل واهتز من الروض معاطف أرجائه وقر سائل فمكث فى الارض خالص مائه (فى قول الله عز وجل) يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا الآية المؤمن يذكر الله بكله لانه يذكر الله بقلبه فتسكن جميع جوارحه الى ذكره فلا يبقى منه عضو الا وهو ذاكر فى المعنى واذا امتدت يده الى شيء ذكر الله فكف يده عما نهى الله تعالى عنه واذا سعت قدمه الى شيء ذكر الله فوقف عن السعي إلا فيما يرضى الله واذا طمحت عينه الى شيء ذكر الله فغض بصره عن محارم الله وكذلك سمعه ولسانه وجوارحه مصونة بمراقبة الله تعالى ومراعاة أمر الله والحياء من نظر الله تعالي فهذا هو الذكر الكثير والذكر القليل ذكر المنافقين يذكرون الله تعالي بألسنتهم رئاء الناس وليس فى قلوبهم من الذكر شيء (قال الله تعالي) يراؤن الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا والذكر المطلوب ذكر القلب وانما اللسان طريق اليه فمن لازم ذكر الله تعالى بلسانه مخلصا لله تعالى وصلت بركة الذكر الي قلبه فعاش قلبه بذكر الله تعالي فعند ذلك يكون ذكره كثيرا وقد أمر الله تعالي بالذكر ورغب فيه بآيات كثيرة في كتابه * فقال تعالى فاذكروني أذكركم ومعناه أذكروني بخدمتي أذكركم بنعمتي أذكروني بالتوحيد أذكركم بالتأييد أذكروني بالشكر أذكركم بالمزيد أذكروني بالمحبة أذكركم بالقربة أذكروني بالخوف أذكركم بالأمان أذكروني بالرجاء أذكركم بتحقيق الآمال * وقال تعالى واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون * وقال تعالي الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب * وفى الصحيح عن أبي هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل أنا عند ظن عبدي وأنا معه حين يذكرني ان ذكرني فى نفسه ذكرته فى نفسي وان ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه وان تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا وان تقرب الى ذراعا تقربت اليه باعا وان أتاني يمشي أتيته هرولة معناه من جاهد نفسه قليلا فى خدمتي تقربت الى قلبه برحمتي ونشرت عليه كثيرا من الطاعات بحلاوة ورغبة ورزقته لذة مناجاتي وحلاوة الانس بذكري فيصير

محمولا بعد أن كان حاملا * وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال ان لله تعالى ملائكة سيارة فضلاء يتبعون مجالس الذكر فاذا وجدوا مجلسا فيه ذكر قعدوا معهم وحف بعضهم بعضا باجنحتهم حتى يملأوا ما بينهم وبين سماء الدنيا فاذا تفرقوا عرجوا وصعدوا إلى السماء قال فيسألهم الله عز وجل وهو اعلم بهم من أين جئتم فيقولون جئنا من عند عباد لك فى الارض يسبحونك ويكبرونك ويهللونك ويحمدونك ويسألونك قال وماذا يسألوني قالوا يسألونك جنتك قال وهل رأوا جنتي قالوا لا أى رب قال فكيف لو رأوا جنتى قالوا ويستجيرونك قال ومم يستجيروني قالوا من نارك رب قال وهل رأوا نارى قالوا لا قال فكيف لو رأوا نارى قالوا ويستغفرونك قال فيقول قد غفرت لهم وأعطيتهم ما سألوا وأجرتهم مما استجاروا قال يقولون رب فيهم فلان عبد خطأ انما مر فجلس معهم قال فيقول وله قد غفرت هم القوم لا يشقى بهم جليسهم * وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ من قال حين يصبح وحين يمسى سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به الا أحد قال مثل ما قال أو زاد عليه * وعن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه ان رسول الله ﷺ قال من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به الا أحد عمل أكثر من ذلك ومن قال سبحان الله وبحمده مائة مرة في يوم حطت عنه خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر * وعن سعيد بن أبى وقاص قال كنا جلوسا عند رسول الله ﷺ فقال ايعجز أحدكم ان يكتسب كل يوم ألف حسنة فسأله سائل كيف يكتسب أحدنا ألف حسنة قال يسبح مائة تسبيحة فيكتب له ألف حسنة أو ينحط عنه ألف خطيئة * وعن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ قال استكثروا من الباقيات الصالحات قيل وماهن يارسول الله قال التكبير والتهليل والتسبيح والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم * وقال معاذ بن جبل ما عمل ابن آدم عملا أنجي له من عذاب الله من ذكر الله * وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال يا أيها الناس ارتعوا فى رياض

الجنة قيل ومار ياض الجنة يارسول الله قال مجالس الذكر اغدواوروجوا واذكروا من كان يحب ان يعلم منزلته عندالله فلينظر كيف منزلة الله عنده فان الله تعالى ينزل العبد منه حيث أنزله بنفسه * و يروي أن فى الجنة ملائكة يغرسون الاشجار للذاكرين فاذاترك الذاكر وقف الملك و يقول ترك صاحبي الذكر * وفى الحديث يقول الله تعالى انا مع عبدى ماذكرنى أو تحرك بذكري شفتاه أيما عبد اطلعت على قلبه فرأيت الغالب عليه التمسك بذكرى توليت سياسته وكنت جليسه وأنيسه * ويروى أن بيوت الذاكرين لها نور يراه الملائكة بقدرمافيها من الذكر كما نرى نحن النجوم في السماء * وقال سهل بن عبدالله ان الله تعالي يقول عبدى ماأنصفتني اذكرك وتنسانى وادعوك الى وتذهب الى غيرى واذهب عنك البلايا وأنت معتكف على الخطايا يا ابن آدم ماتقول غدا اذاجئتنى *وقال ذوالنون من ذكرالله على الحقيقة نسى فى جنب ذكراه كل شيء وحفظ الله عليه كل شيء و كان له عوضا من كل شيء * و يقال ذكر اللسان حسنات وذكر القلب قربات ودرجات * و يقال الاشارة فى قوله تعالى اذكروا الله ذكرا كثيرا أى أحبوا الله فان فى الحديث من أحب شيأ أكثر من ذكره فالمحب لا ينسى محبوبه في بعد ولا قرب ولا وصل ولا هجر * وفي التوراة يقول الله تعالى اذا كان الغالب على عبدى الاشتغال فى جعلت نعيمه ولذته فى ذكرى فاذا جعلت نعيمه ولذته فى ذكرى أحبنى وأحببته ورفعت الحجاب بينى و بينه لا يسهوا اذاسها الناس أولئك كلامهم كلام الأنبياء أولئك الذين اذا أردت باهل الارض عقوبة ذكرتهم فصرفت بهم عنهم ﴿وفى﴾ بعض الكتب يقول الله عزوجل ياابن آدم اذاذكرتنى ذكرتك واذا تركتني تركتك والساعة التي لاتذكرنى فيها عليك لالك * وأوحى الله تعالي الى داود عليه الصلاة والسلام ياداود انا بدك اللازم فالزم بدك معناه انا الذي لا بدلك منى فالى اين تذهب عني هل يقدر غيرى ان يغنيك اذا فقرتك أو يستطيع أحد أن يقربك ان أبعدتك كم يتعرف اليك من هو غنى عنك وتتجاهل عنه مع فقرك اليه (قال) ابن عباس رضي الله عنهما جعل الله تعالى لجميع الطاعات أوقات محدده ولم يرض من الذكر الا بالكثير من غير تحديد اذكروا الله ذكرا كثيرا (وقوله) وسبحوه بكرة واصيلا التسبيح

الصلاة والذكر والبكرة ربع النهار الاول والاصيل ربع النهار الآخر هو الذي يصلي عليكم وملائكته صلاة الله تعالى رحمته وصلاته صلته وبره وثناؤه على عباده بما ألهمهم من ذكره وصلاة الملائكة استغفارهم ودعاؤهم للمؤمنين ليخرجهم من الظلمات الى النور من ظلمات الكفر والجهل والغفلة والخذلان الي نور الايمان والعلم والذكر والاحسان وفى الآخرة يخرجهم من ظلمات الموقف وشدائده الي نور الرضوان ونعيم الجنان تحيتهم يوم يلقونه سلام ينظرون الله عزوجل ويسمعون سلامه عليهم فيكمل لهم النعيم (قال) الله تعالى سلام قولا من رب رحيم ويقال فى قوله تعالي ولذكر الله أكبر فان الذكر بالقلب أفضل من العبادات مع الغفلة وأكثر أجرا قاله سلمان الفارسي وقتادة وقيل معناه ان ذكر الله بالقلب ومراقبته والحياء من نظر الله تعالى أكبر زجرا ونهيا عن المعاصى من جميع الطاعات قاله عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه * وقال ابن عباس وأبو الدرداء ومجاهد وعكرمة معناه ذكر الله لكم أكبر من ذكركم لله * قال الله تعالي ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان أي وسوسة من الشيطان تذكروا ان الله ناظر اليهم فاذاهم مبصرون * اللهم ياذا الجلال والاكرام ياعزيز لا تحيط بجلاله الاوهام يامن لا غني لشيء عنه يامن لا بد لكل شيء منه يامن رزق كل شيء عليه ومصير كل شيء اليه يامن يعطي من لا يسأله ويجود على من لا يؤمله ها نحن عبيدك الخاضعون لهيبتك المتذللون لعزك وعظمتك الراجون جميل رحمتك أمرتنا ففرطنا ولم تقطع عنا نعمتك ونهيتنا فعصينا ولم تقطع عنا كرمك وظلمنا أنفسنا مع فقرنا اليك فلم تقطعنا مع غناك عنا يا كريم الهى ردنا اليك بفضلك ورحمتك ووفقنا للاقبال عليك والاشتغال بخدمتك واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الفصل الرابع في الفكر

الحمد لله الذى تقدس فى أزليته وأبديته وأحديته عن النظير والشبيه وتنزه فى جماله وجلاله وكماله عن مقالات أهل التمويه الغني عن جميع خلقه فلا أمد يحصره ولا أحد ينصره ولا ضياء يظهره ولا حجاب يخفيه الواحد الأحد القدوس الصمد الذى لا شك فيه شهدت بكمال قدرته عجائب صنعته فكل ماسواه موجده ومدبره ومنميه الحي

العليم القدير السميع البصير الملك الكبير فلا مقرب لمن يبعده ولا مبعد لمن يدنيه المتكلم بكلام قديم أزلي جل عن التكييف ومن عطل أو شبه فقد وقع في التيه حسب للمؤمن اثبات صفات الكمال والعجز عن ادراك الجلال فهذا القدر يكفيه ومن رام الوقوف على غاية أو ظن المعرفة لها نهاية فقد تعدى طوره ومن حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه * أما المصنوعات فالنظر فيها مقنع وأما خطيب الوجود فقد بلغ وأسمع وأما وقوفك حيث أوقفك مولاك فأسلم وأنفع ردد نظرك في آلائه فهي آلات التنبيه السماء قبة مرفوعة فيها عجائب الاشكال ولا بقاء للاشكال اذا صح الدليل عند الفقيه انظر الي النجوم في طلوعها وارتفاعها وتوسطها وغروبها وهبوطها كل يشهد بحكمة مجرية والشمس في صعودها على سحائب النعم وكفت نحو الشمال وهبوطها نحو الجنوب ٣ والقمر في محاقه وتجليه والسحاب مسخرات بقدرته والرياح مبشرات برحمته وعطشان الارض يستسقي مولاه فيسقيه فاذا خرج الى رياض توقيع الكرم وكفت عليه سحائب النعم وكفت كفها فاختال كل غصن يميس في تثنيه فالنسيم يحرك عيدان الاشجار والشوق يستنطق أطيار الاوكار والروض يشرق أقطار الافكار فسبحان من يميته ثم يحييه فالعاقل اذا نظر في بدائعه أدرك بسره تسبيحه لصانعه والغافل يشغله ويلهيه جل ذو العز والجبروت وتبارك ذو الجلال والملكوت فله الثناء الذي لا يصل اليه العقل ولا يحصيه * أحمده وهو أهل الحمد والثناء والعز والكبرياء والمجد والآلاء بيده الخير فهو مانحه ومعطيه وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ولا نهاية لعلمه ولا معقب لحكمه ولا معارض له فيما يقضيه وأشهد أن محمدا عبده ورسوله شفيع الامة وكاشف الغمة يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومتبعيه ما تبسم وجه الارض ضاحكا بالنبات شاهدا بقدرة مبديه وانهمل دمع الغمام سائلا بالقطر دلالة على حكمة مبقيه * في قول الله تعالى أولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء وان عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأي حديث بعده يؤمنون أولم ينظروا أي يتفكروا ويتدبروا في عجائب المملكة وبدائع ما في السموات والارض ويتفكروا ما خلق الله من كل شيء فيجدوا فيه دلالة على حكم الله تعالى ويتفكروا في اقتراب

الآجال وانقطاع الآمال فبادروا الى صالح الاعمال فبأي حديث بعد هذا القرآن يؤمنون والفكر فى المصنوعات من أعظم القربات * وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال تفكروا فى خلق الله ولا تفكروا فى الله فانكم لن تقدروا قدره * وقال الحسن تفكر ساعة خير من قيام ليلة * وقال ابراهيم بن أدهم الفكرة حج العقل والقلب * وفى بعض * كتب الله المنزلة انى لست أقبل كلام كل حكيم ولكن انظر الى همه وهواه فان كان همه وهواه الى جعلت همته تفكرا وكلامه حمدا وان لم يتكلم (والفكرة على ثلاثة أقسام) الاول الفكر فى المصنوعات والاستدلال بها على الله تعالى وهو شأن العلماء بالله تعالي ﴿والثانى﴾ الفكر في لطائف صنع الله وفواضل نعم الله وهو مادة الشكر لله ﴿والثالث﴾ الفكر في الاعمال وتخليصها وهو شأن العابدين * قال الفضيل رحمه الله تعالى الفكرة مرآة تريك حسناتك وسيئاتك * فاما الفكرة فى المصنوعات فهو المراد فى هذه الآية وأمثالها وأقرب المصنوعات اليك نفسك ففي نظرك الى خلقك وتركيبك وهيكلك وشهواتك وحواسك كفاية فى الأعتبار قال الله تعالى وفي أنفسكم أفلا تبصرون ثم فى كل جزء من المصنوعات دلالة كافية وعبرة شافية فان الله تعالى كان في الاول وحده ثم خلق ماخلق * ويروى ان الله تعالي خلق اللوح المحفوظ من درة بيضاء حافتاه من ياقوت أحمر وخلق القلم من جوهرة طوله خمسمائة عام ثم نظر اليه نظرة هيبة فانشق نصفين نبع منه النور ثم قال له اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فكتب ثم قال له اكتب ماهو كائن الي يوم القيامة فاجراه الله تعالى فكتب ماهو كائن وان له ترجيعا بالتسبيح كالرعد وكتابته نور ثم خلق الله تعالي جوهرة خضراء غلظها غلظ السموات والارض ثم ناداها فاضطربت من هيبة الله تعالى فذابت فصارت ماء ثم اضطربت فارتفع منها زبد ودخان ثم خلق الله تعالى العرش جوهرة خضراء لا يوصف عظمها ولا نورها له قوائم بين كل قائمتين خفقان الطائر المسرع ألف سنة وان العرش يكسى كل يوم سبعين ألف لون من النور لا يستطيع أحد من الخلائق أن ينظر اليه وان للعرش ألف لسان يسبح الله تعالى بانواع اللغات * ويروى ان فى العرش مثال ماخلق الله تعالى فى البر والبحر فان كل انسان له تمثال تحت العرش فاذا عمل المؤمن حسنة تصور تمثاله كذلك فظهرت حسنته واذا عمل سيئة ارخى الله

تعالى ستراعلى صورته ليسترسيئته * و يروي ان الكرسى من لؤلؤة لا يعلم طولها الا الله تعالى وان العرش خلق قبل الكرسي بالفي عام فالسموات والارض فى الكرسي كحلقة ملقاة في فلاة والكرسي فى العرش كحلقة ملقاة في فلاة ثم خلق الله تعالى الريح فكان العرش على الماء والماء على الريح ثم خلق الله تعالي حملة العرش أربعة ما بين كعب أحدهم الى أسفل قدمه مسيرة خمسمائة عام يحملونه على كواهلهم فاذا كان يوم القيامة أيدوا بأربعة فهو قوله تعالى ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ثم خلق الله تعالي من الزبد الذى فوق الماء الارض طبقة واحدة ثم فتقها سبعا غلظ كل أرض مسيرة خمسمائة عام و بينها و بين التي تحتها خمسمائة عام ثم بعث الله تعالي ملكا من تحت العرش فهبط حتي دخل الارضين فوضعها على عاتقه وأمسك أطرفها بيده فلم يكن لقدميه موضع قرار فاهبط الله تعالي من الفردوس ثورا له أربعة آلاف قائمة فسنامه موضع قدمي الملك وقرون الثور خارجة من اقطار البحر وتحت الثور صخرة غلظها غلظ السموات والارض وهى الصخرة التي عناها لقمان عليه الصلاة والسلام بقوله يا بنى انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة الآية والصخرة على الحوت وهو البهموت وتحت الحوت ماء وتحت الماء ظلمة وعندها انقطع علم الخلق * وروى ان تحت كل أرض بحرا وتحت البحر السابع والارض السابعة جهنم وهى مغلقة فاذا فتحت يوم القيامة احرقت البحار السبعة * وروى ان الارض كانت تميد على الماء فخلق الله تعالى الجبال رواسى تمنعها ان تميد وخلق جبلا محيطا بالدنيا من زمرذة خضراء وهو جبل ق * وروى ان خلف جبل ق أرضا من ثلج مسيرة خمسمائة عام ومثلها من برد ومن وراء ذلك جهنم ثم خلق الله تعالي الجنان وهي ثمان ثم خلق الله تعالى السموات سبعا غلظ كل سماء خمسمائة عام من نار و بين كل سماء وسماء كذلك فالسفلي السماء الدنيا فيها ملائكة خلقوا من نار وريح وعليهم ملك اسمه الرعد موكل بالمطر وتسبيحهم سبحان ذى الملك والملكوت ﴿والثانية﴾ فيها ملائكة بانواع شتي تسبيحهم سبحان ذي العزة والجبروت ﴿والثالثة﴾ فيها ملائكة ذوو اجنحة شتى ووجوه شتى وألسنة شتي رافعى أصواتهم يقولون سبحان الحى الذي لا يموت ﴿والرابعة﴾ كلون الفضة فيها ملائكة عدد ملائكة السموات الثلاث التى تحتها مرتين

وهم قيام وركوع وسجود يقولون سبوح قدوس ربنا الرحمن لا إله الا هو وكذلك ملائكة كل سماء على الضعف من الذين تحتهم (والخامسة) كاون الذهب فيها ملائكة ركوع وسجود لا يرفعون أبصارهم الى يوم القيامة فاذا كان يوم القيامة رفعوا ابصارهم ورؤوسهم وقالوا سبحانك ماعبدناك حق عبادتك (والسادسة) من ياقوت أحمر فيها الكروبيون جند الله الاكبر رافعى أصواتهم بالتهليل والتسبيح والتقديس عليهم ملك معه سبعون ألف ملك كل ملك منهم معهم سبعون ألف ملك ﴿والسابعة﴾ من درة بيضاء فيها ملك له سبعمائة ألف ملك كل ملك منهم له من الجنود عدد كل شيء خلقه الله تعالى فما في السموات السبع موضع الا وعليه وجه ملك ساجدا أو قدم ملك قائما أو راكعا * وروى ابن مسعود ان بين السماء السابعة والكرسي مسيرة خمسمائة عام وبين الكرسي وبين العرش خمسمائة عام والعرش فوق ذلك كله لا يعلم منتهاه الا الله عز وجل * وروي ان سدرة المنتهى أصلها تحت الكرسي واغصانها تحت العرش اليها ينتهى أمر الخلائق تحت كل ورقة منها أمة من الامم وعليها ملائكة لا يعلم عددهم الا الله تعالى ومقام جبرائيل في وسطها * وروي ان جبريل عليه الصلاة والسلام ترعد فرائصه من هيبة الله أحيانا ويخلق الله تعالى من كل رعدة مائة ألف ملك فهم صفوف قائمون ناكسوا رؤوسهم لا يؤذن لهم في الكلام فاذا كان يوم القيامة اذن لهم فى الكلام فقالوا كلهم لا إله إلا الله فهو قوله تعالى لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا فالصواب لا إله إلا الله * وروي ان جبرائيل له ستمائة جناح كلها مرصعة بالدر والياقوت وجلاجل الذهب محشوة بالمسك لكل جلجل صوت لا يشبه الآخر لو نشر جناحا من أجنحته لسد الافق وان اسرافيل له اثنا عشر ألف جناح جناح بالمشرق وجناح بالمغرب والعرش على كاهله ورجلاه تحت الارض السابعة وأنه اذا سبح عطل علي الملائكة تسبيحهم لحسن صوته وأنه يتصاغر احيانا من هيبة الله تعالى حتي يصير مثل العصفور فما يحمل عرش ربك الا قدرة ربك وهذا كله فى قدرة الله تعالى كخلق خردلة قال الله تعالى ماخلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة فمن نظر فى المخلوقات بعين الاعتبار علم ان الله تعالى هو الاله الحق الاول الآخر الظاهر الباطن الواحد الاحد القدوس الصمد الحي العليم القدير المدبر السميع البصير المتكلم الملك الكبير أول

ليس له ابتداء وآخر ليس له انتهاء ظاهر يثبته العقل باطن لا يدركه الوهم كل مخلوق محصور بحد مأسور في سور بطود والخالق بائن مباين يعرف بعدم مألوف التعريف أين الازلى من الزائل ارتفعت لعدم الشبه الشبهة اتحد الاحد فهو أحد انما يقع الاشكال فى وصف من له الاشكال وانما تضرب الامثال لمن له امثال فاما من لم يزل ولا يزال فاللحس معه مجال عظمت عظمته عن نيل كف الخيال كيف يقال له كيف والكيف في حقه محال انى تتخايله الاوهام وهى صنعه كيف تحده العقول وهى فعله كيف تحويه الاماكن وهى وضعه انقطع سير الفكر ووقف سلوك الذهن وقصرت اشارة الوهم وعجز لطف الوصف وعشيت عين العقل وخرس لسان الحس لا طور للقدم فى طور القدم عز المرقي فبئس المرتقى بحر المعرفة لا يتمكن منه غائص وليل لا يتبين للحس فيه كوكب

مرام شط مرمى العقل عنه * فدون مرامه بيدا تبيد

جادة التسليم سليمه وادي النقل بلا نقع انزل عن علو غلو التشبيه ولا تعل قلل أباطيل التعطيل فالوادى بين الجبلين المشبه اعشي والمعطل أعمى ماعرفه من كفيه ولا وحده من مثله ولا عبده من شبهه بما ينزه عنه ومايجب نفيه عنه جل وجوب وجوده عن وصم لعل سبق الزمان فلا يقال متي كان تمجد فى وحدانيته عن زحام مع تفرد بالانشاء فلا يستفهم عن الصانع بمن ابرز عرائس المخلوقات من كن بت الحكم فلا يعارض بلم تعالى عن بعضية من وتقدس عن ظرفية في وتنزه عن شبه كأن وتعاظم عن نقص لو ان وعز عن عيب الاان وسما كماله عن تدارك لكن ان وقف ذهن بوصف صاح العزجز وان صار الفكر نحوه قالت الهيبة عدوان قعد القلب عن ذكره قال الشوق قم وإن سكت المذنب حياء قال الحكم قل لا ينال عظمته سانح تمثيل ولا يدرك قعر بحر حكمته سابح تخييل منزه الذات عن الشبه والند والضد والمثل والعديل ثابت الصفات وقد ضل أهل التعطيل حال الفكر حول حمى قدسه ثم رجع كالذليل سار الوهم يجول فى حندس الحس نحو انيته فسد فى وجهه السبيل وتاه فى عرصة النادى وحار الحادى وضل الدليل إحدي الذات قديم الوجود ازلى الصفات بذاته فوجود صفاته كذاته فلا وجه للجحود كف الكيف مشلولة و باب التشبيه مسدود تنزهت عن المثلية ذاته

وتقدست عن الكيفية صفاته وتعالت عن شبه الشكوك بيناته ووضحت للعيون والعقول آياته سبق الاشياء كلها فكلها مصنوعاته عرى دليل وجوده عن ابناس الالباس وعز باظهار عزته عن مماثلة الانواع والاجناس وتعالى عن اثبات صفة من صفاته بالمشابهة والقياس ويئس الحس عن ادراكه فرجع حسيرا منكسر الرأس فسبحانه من إله تنزه في ذاته عن مساواة المعلومات ومضاهاة العلل وتعالى من قيوم تقدس في ذاته وصفاته عن الشبه والضد والند والمثل لايجوز عليه الحركات ولا تغيره النقل يفعل ولا يقال للمالك لم فعل عدل في حكمه فما مال ولا عدل أحاط بكل شيء علما فما نسي ولا غفل أظهر في تكوين الكائنات اسرار ما حكم في الازل من الخلق والخلق والسعادة والشقاوة والرزق والاجل تنزهت حكمته ان توهن قاعدتها مرامى منجنيق الاعتراض فقد جلت عن خلل في أسره مصارع الابطال وفي قبض قهره تصرف الهدي والضلال فمن ضمن علمه عدا الحب والنوي والقطر والذر والرمال عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال

الفصل الخامس في ذكر النبي صلى الله عليه وسلم

الحمد لله الذى نظم عقود المصنوعات فهى الشاهدة بالهيته متفقة وبين بحدوثها قدم صفاته فالعقول على كمال علمه وقدرته مطبقة وباين بارادته بين صفاتها فهي بتصريف اراداته مفترقة فالسماء كانها قبة لازوردية والنجوم فيها قناديل معلقة والشمس كالملك والقمر كالوزير والنجوم حوله جنود محدقة والارض قبل نزول الغيث كالفقير المسكين فهى بالحرارة واليبس محترقة فاذا ساقت اليها يد الانعام تحف الغمام سقاها من الماء عذبه فالآن يابسها وزان يائسها ونسج طرازها فاحسن رونقه فالرياض تهتز من طرب الوصال والاغصان تميل فى حلل الجمال ونسيم السحر يفتح من الزهر مغلقه وخطيب الازهار والاطيار على منابر الأوكار يغرد فى الاسحار بنغمات العز مطلقة والاكوان كلها تنادى بلسان الحال تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام الذى خلق الانسان من نطفة ثم من علقة وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة والافكار تسرح فى رياض آلائه فاذا انتهت الى حمى كبريائه رجعت قاصرة معترفة مطرقة فسبحان من حجب الاوهام

عن الاحاطة بصمديته فهي في بحار تعظيمه مغرقة وفتح باب كرمه الى القاصدين اذا ظلت أبواب غيره مغلقة وقبل توبة من أناب اليه وأقلع عن أفعاله الموبقة وسمع شكوى العبد الضعيف اذ الاذ بحماه الشريف يطلب الصدقة فاجاب سؤاله وحقق آماله وآمن خوفه ومن عليه وأعتقه وشرف نوع الانسان عن جنس الحيوان بما ألهمه من البيان وأنطقه وأكرم المؤمن بتحف الايمان والعرفان فهداه ووفقه ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم الذى أحسن كل شىء خلقه * أحمده على آلائه التي أصبحت القلوب بصفائها مشرقة واضحت الاسرار ببهائها رياضا مونقة * وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ولا راد لأمره فنفوس الخائفين من سطوته مشفقة وقلوب العارفين بعروة كرمه الوثقى متعلقة * وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أرسله بحق شرعه وشرع حققه وأخمد بنور برهانه لهب الباطل وأزهقه ودمغ بسيف تحقيقه دماغ البهتان فأزال بخسه ورهقه صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن آمن به وصدقه كما أكمل نعمه لديه بحسن خلقه وخلقه (فى قول الله سبحانه وتعالي) يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا * فضائل رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من أن تحصى ومعجزاته ومناقبه ومحاسنه لا تستقصي (شعرا)

فبالغ وأكثر لن تحيط بوصفه * فاين الثريا من يد المتناول

نعم ذكره يزيد فى الايمان ويضيء القلوب والاسرار بأنوار العرفان فان الله تعالى جعل محبته مشروطة بمحبته وطاعته منوطة بطاعته وذكره مقرونا بذكره وبيعته معقودة ببيعته * قال الله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله * وقال الله تعالى ان الذين يبايعونك إنما يبايعون الله * وقال تعالى ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وقال تعالى ورفعنا لك ذكرك * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاني جبريل فقال ان الله ربي وربك يقول أتدري كيف رفعت ذكرك قلت الله ورسوله أعلم قال اذا ذكرت ذكرت معي ويقال معناه جعلت تمام الايمان بذكرك معي ويقال معناه جعلتك ذكرا من ذكرى فمن ذكرك ذكرني ومن أثبتك أثبتني ومن أنكرك فما عرفني ويقال معناه لا يذكرك أحد بالرسالة الا وذكرني بالربوبية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول نور خلقه الله نوري وروى أن الله تعالى لما خلق العرش كتب عليه لا اله الا الله محمد رسول الله بالنور

فلما خرج آدم من الجنة رأي على ساق العرش وعلى كل موضع فى الجنة مكتوبا باسم محمد مقرونا باسم الله تعالى فقال يارب هذا محمد من هو فقال الله تعالى ولدك الذى لولاه لما خلقتك فقال يارب بحرمة هذا الولد أرحم هذا الوالد فنودي يا آدم لو تشفعت الينا بمحمد فى أهل السموات والارض لشفعناك * واعلم ان معجزات رسول الله ﷺ كثيرة واعلاها قدرا وأوضحها ذكرا هذا القرآن العزيز الذى عجزت الفصحاء عن معارضته وأيست العقلاء عن الاتيان بشىء من مثله (فمن) اعجازه حسن تأليفه والتئام كلمه وفصاحته وايجازه وبلاغته ومن اعجازه حسن تصرفه واسلوبه الذي لا يشبه نظم ولا نثر * ومن اعجازه ما أخبر من المغيبات المستقبلة فوقع كما أخبر * ومن اعجازه ذكر قصص الماضين مع كون النبي ﷺ أميا لم يقرأ الكتب ولم يخالط علماء أهل الكتاب وكذلك مافيه من ذكر الملكوت الأعلى والملائكة وذكر القيامة ومافيها وذكر الجنة والنار ونحو ذلك * ومن اعجازه انقطاع الاطماع عن معارضته وعجز العقول عن مقابلته مع فصاحة أهل زمانه وشدة عداوتهم وماذاقوا فى القتال من الاهوال والنزال ولم تخطر لهم المعارضة على بال ثم ومن آيات رسول الله ﷺ انشقاق القمر بمكة حين سألوه ذلك فانشق فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه ورآه أهل الآفاق كلهم كذلك وفيه انزل الله تعالي اقتربت الساعة وانشق القمر * ومن آياته أنه أسري به فى ليلة واحدة من المسجد الحرام الي المسجد الأقصى راكب البراق وجمعت له الأنبياء كلهم وصلي بهم اماما ثم عرج به من بيت المقدس الى السماء ففتحت له كل سماء وسلم عليه من فيها من الملائكة حتي جاوز السموات السبع ووصل الى سدرة المنتهى ثم جاوزها الى ان وصل الى مقام يسمع فيه صرير الاقلام فوقف موقف الكرامة والزلفي وأقيم فى مقام النجوى فكان في قرب الاكرام قاب قوسين أو أدنى فسمع خطاب العلى الاعلى ورأي من آيات ربه الكبرى وفرضت عليه الصلوات الخمس ثم رجع فى بقية ليلته الى مكة وورد بذلك القرآن وانتشرت بفضله الاخبار واستمرت على ذلك الآثار * ومن آياته نبع الماء من بين أصابعه وتكثير قليله ببركته في أوقات كثيرة رويت باحاديث صحيحة أحدها انهم كانوا بالزوراء عند سوق المدينة وجاءت صلاة العصر فوضع يده فى آناء فتوضأ منه نحو ثلثمائة رجل قال أنس فرأيت الماء ينبع من بين

أصابعه * وروى ابن مسعود قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس معنا ماء فقال اطلبوا من معه فضل ماء فأتي بماء فصب في اناء ثم وضع كفه فيه فجعل الماء ينبع من بين أصابعه * وروي جابر قال عطش الناس يوم الحديبية فأتوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فشكوا اليه ذلك وكانت بين يديه ركوة فيها ماء قليل فوضع يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كامثال العيون قيل لجابر كم كنتم قال لو كنا مائة ألف لكفانا نحن كنا خمس عشرة مائة يعني ألفا وخمسمائة * وروي جابر أيضا ان الناس عطشوا في غزوة بواط فأمر بجفنة فوضعت والتمسوا فوجدوا قليلا من الماء فصبه فيها وبسط يديه فيها وفرق بين أصابعه ثم سارت الجفنة واستدارت حتى امتلأت واستقى الناس حتى اكتفوا * وروى معاذ بن جبل ان النبي صلى الله عليه وسلم أتي عين تبوك وهي تبض بشيء من ماء فغرفوا منها شيئا يسيرا فغسل به وجهه ويديه واعاده فيها فانخرق من الماء ماله حس كحس الصواعق وجرت عينا معينا بماء كثير ثم قال يوشك يامعاذ ان طالت بك حياة ان ترى ماههنا قد ملىء جنانا وكان كذلك وغرس سهما من كنانته في قليب ليس فيه ماء فجرى بماء كثير حتى اكتفى الناس يوم الحديبية * وروي ان أباطالب قال للنبي صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره ليس معي ماء فضرب بقدمه الارض فخرج الماء والاحاديث في هذا كثيرة صحيحة ذكرنا بعضها * ومن آياته البركة في الطعام القليل حتي كفي الجمع الكثير وبقي الزمان الطويل دخل صلى الله عليه وسلم على أبي طلحة وعندهم أقراص من شعير فأمر بها ففتت وعصروا عليها سمنا وقال ماشاء الله ان يقول ثم قال ائذن لعشرة فأذن لهم فأكلوا حتي شبعوا ثم خرجوا وأذن لعشرة كذلك حتى أكل القوم وهم نحو ثمانين رجلا * وصنع جابر يوم الخندق صاعا من شعير فاطعم منه ألف رجل وخرجوا والطعام لم ينقص منه وأعطي رجلا نصف وسق من شعير فقام به وأهله وضيفه زمانا طويلا حتي كاله وصنع أبو أيوب الانصاري للنبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر الصديق من الطعام قدر كفايتهما ودعاهما فأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يدعو ثلاثين من الانصار فدعاهم فأكلوا حتى تركوه وقال ادع ستين فدعاهم فأكلوا ثم قال ادع تسعين قال أبو أيوب فأكل من طعامي مائة وثمانون رجلا * وروى سمرة ابن جندب قال أتى النبي صلى الله عليه وسلم بقصعة فيها لحم فتعاقب القوم من غدوة الي

الليل يأكل منها قوم بعد قوم وأطعم جميع أهل الصفة من صحفة * قال أبو هريرة رضى الله عنه وخرجنا وتركناها كما وضعت إلا أن فيها أثر الاصابع وسقاهم كلهم من قدح لبن وخرجوا وتركوه بحاله * وروى عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه أن النبي ﷺ دعا بني عبد المطلب وكانوا أربعين رجلا منهم من يأكل الجذعة ويشرب الفرق فصنع لهم مدا من طعام فأكلوا منه حتى شبعوا وبقي كما هو ثم دعا بعس فسقاهم فشربوا حتي تركوه وكانه لم يشرب والعس إناء يروى ثلاثة أو أربعة * وروي أنس أن النبي ﷺ صنع طعاما ودعا أصحابه فتواردوا على الطعام نحو ثلثمائة فأكلوا كلهم ثم قال لى ارفع فلا أدرى حين وضعت كان أكثر أو حين رفعت * وروى أبو هريرة أن النبي ﷺ فى بعض أسفاره وكان فى مخمصة قال له هل من شيء قلت نعم شيء من التمر فى المزود قال فأخرج بيده قبضة فبسطها ودعا بالبركة فأكل منها الجيش حتى شبعوا كلهم ثم قال خذ ما جئت به وأدخل يده وقبض منه فقبضت على أكثر مما جئت به * قال أبو هريرة فلم أزل آكل منه وأطعم في حياة رسول الله ﷺ وخلافة أبي بكر وعمر وعثمان رضى الله تعالى عنهم حتي قتل عثمان فانتهت مني (وجاع) الناس فى غزوة تبوك فأمرهم بجمع أزوادهم فجمعوا تمرات يسيرة فأطعمهم منها وملؤا مزاودهم وهي بحالها حين وضعت والاخبار فى هذا الباب أيضا كثيرة * ومن آياته كلام الشجر واجابتها دعوته * وروى ابن عمر رضى الله تعالي عنهما أن النبى ﷺ وجد في بعض أسفاره اعرابيا فدعاه الى الاسلام فقال له من يشهد على ما تقول فقال النبى ﷺ هذه الشجرة ثم دعا بشجرة فأقبلت تخد الارض حتي قامت بين يديه وقالت أشهد أن لا إله الا الله وأنك رسول الله ثلاث مرات ثم رجعت الي مكانها * وعن بريدة الاسلمي أن اعرابيا سأل النبى ﷺ أن يريه آية فقال له قل لتلك الشجرة ان رسول الله ﷺ يدعوك قال فجاءت تجر عروقها حتي وقفت بين يديه وقالت السلام عليك يارسول الله ثم أمرها فرجعت الى مكانها * وفى حديث جابر أن النبى ﷺ دعا شجرتين مفترقتين فاجتمعتا ثم أمرهما فرجعت كل واحدة الى مكانها والاخبار في هذا كثيرة صحيحة * ومن هذا الباب حنين الجذع وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يستند الى جذع ويخطب فلما صنع له المنبر وخطب عليه حن له ذلك الجذع وتشقق

وسمع الناس له بكاء حتي بكي الناس ببكائه فدعاه النبي ﷺ فجاء يخد الارض فالتزمه ثم أمره فعاد الى مكانه روى هذا الحديث بضعة عشر من أكابر الصحابة * ومن آياته نطق الجمادات له وقد اشتهرت بذلك الاخبار * قال أنس أخذ النبي ﷺ كفا من حصي فسبح فى يده حتي سمعنا التسبيح وقال ابن مسعود كنا نأكل الطعام مع النبي ﷺ ونحن نسمع تسبيحه وقال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه كنا مع النبي ﷺ بمكة فخرج الي بعض نواحيها فما استقبله شجر ولا جبل الا وقال السلام عليك يارسول الله * ومن آياته ماروى عن عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان فى محفل من أصحابه اذ جاءه رجل من بني سليم بضب فطرحه بين يديه وقال لا أؤمن بك حتى يؤمن بك هذا الضب فقال له النبي ﷺ يا ضب فقال بكلام حنين حتى سمعه القوم كلهم لبيك وسعديك يازين من وافى القيامة قال من تعبد قال الذي فى السماء عرشه وفى الارض سلطانه وفى البحر سبيله وفى الجنة رحمته وفى النار عقابه قال فمن أنا قال رسول رب العالمين وخاتم النبيين قد أفلح من صدقك وقد خاب من كذبك فأسلم الاعرابي * وروى أبو هريرة وأبو سعيد وغيرهما ان الذئب كلم راعيا وأخبره ببعث النبي ﷺ فجاء فأسلم * ومن المشهور كلام الذئب لأهبان بن أوس وكان يرعى غنما فوقف عنده وقال العجب منك وأنت واقف عند غنمك وتركت نبيا لم يبعث الله قط نبيا أعظم منه قدرا قد فتحت له أبواب الجنة وأشرف أهلها على أصحابه ينظرون قتالهم وما بينك وبينه الا هذا الشعب فتصير فى جنود الله تعالى فذهب وأسلم * وروى ابن وهب رضى الله تعالى عنه أن أبا سفيان وصفوان بن أمية وجدا ذئبا يطلب ظبيا حتي دخل الظبي الحرم فوقف الذئب فتعجبا منه فقال لهما الذئب أعجب من ذلك محمد بن عبد الله صلي الله عليه وسلم بالمدينة يدعوكم الي الجنة وتدعونه الى النار * ومن المشهور ان جملا شكا الى النبى صلى الله عليه وسلم ان أصحابه استعملوه زمانا طويلا فلما كبر أرادوا نحره فشفع فيه رواه جماعة من الصحابة * ومن آياته كلام الظبية التى أطلقها من يد الصياد لترضع أولادها فذهبت وهى تقول أشهد أن لا إله إلا الله وانك رسول الله * وكذلك كلام الحمار الذي أصابه يوم خيبر * وروي الواقدى أن النبى صلي الله عليه وسلم وجه ستة نفر من أصحابه فى يوم واحد رسلا الى ملوك ستة ذوي لغات شتى فأصبح كل واحد منهم

يتكلم بلسان القوم الذين بعث اليهم (ومن المشهور) كلام الشاة المسمومة له حين صنعتها له يهودية بخيبر وأتى بصبي في حجة الوداع يوم ولد فقال له من أنا فقال رسول الله فقال صدقت بارك الله فيك فسمي مبارك اليمامة وكان ثابت بن قيس قد قتل باليمامة ودفن فسمعه الناس حين وضع فى قبره يقول محمد رسول الله أبو بكر الصديق عمر الشهيد عثمان البر الرحيم (ومن آياته) ابراء ذوى العاهات (روى) ان قتادة بن النعمان أصيبت عينه يوم أحد فخرجت على وجنته فردها النبي ﷺ فعادت أحسن ما كانت وقال أبو قتادة أصابنى فى وجهى سهم فتفل فيه رسول الله ﷺ فما ضرب على ولا قاح وأتاه أعمي فسأله رد بصره فأمره ﷺ أن يصلي ركعتين ويقول اللهم انى أسألك وأتوجه اليك بمحمد نبي الرحمة أن ترد على بصرى ففعل فرد الله تعالى بصره وتفل فى عين على رضى الله تعالى عنه يوم خيبر وكان به رمد شديد فبرىء من وقته (وكذلك) تفل فى جرح سلمة بن الاكوع وفى ضربة سيف فى زيد بن معاذ (وكذلك) معوذ بن عفراء قطعت يده يوم بدر فألصقها النبي ﷺ وتفل فيها فعادت كما كانت (ومن آياته) اجابة دعائه فيمن دعا له فتلحق بركة دعائه الرجل وولده وولد ولده (ومن آياته) دعاؤه فى الاستسقاء وغيره ونفوذ دعوته فيما دعا عليه وهذا الباب أعظم من أن يحصي وقد ورد فيه اخبار كثيرة في كتب الائمة المبسوطة نحو كتاب الشفا فى تعريف حقوق المصطفى للقاضى أبي الفضل عياض رحمه الله تعالى * ومن آياته ما ورد من ذكره فى كتب الله كالتوراة والانجيل وما بشر به علماء أهل الكتاب قبل مبعثه وما نطقت به الكهان وهتف به هواتف الجان وقد جمع عبد الله بن ظفر كتابا بأسماه خير البشر بخير البشر * ومن فضائله ما وصفه الله تعالى فى كتابه العزيز من حسن اخلاقه وما حلاه به من المكارم وما خصه به من المحاسن وادخر له من الوسيلة والشفاعة يوم القيامة والمقام المحمود والحوض المورود والكوثر وغير ذلك فتأمل تجد ذلك فى كتاب الله العزيز كثيرا فهو الشاهد لمن آمن به واهتدى وعلى من جحد واعتدي والبشير بالثواب لمن اطاع مولاه والنذير بالعقاب لمن آثر هواه والداعى الى الله باذنه اظهارا للحجة والسراج المنير لمن آمن به واستضاء بنوره فابصر المحجة لم يزل نوره صلى الله عليه وسلم من زمن آدم عليه الصلاة والسلام مستور الصورة منشور الذكر عرفه آدم فتوسل

به وأخذ ميثاق جميع الانبياء له أخذ صفوة آدم و نوح نوح فى بعض درسه علم ادريس فى ضمن وجده حزن يعقوب فى سرو جده صبر أيوب فى طي جوفه بكاء داود بعض غني نفسه يزيد على ملك سليمان حاز خلة الخليل و نال تكلم موسي الكليم وزاد رفعة على الملكوت الاعلى فكان برهانه أوضح وأجلي فهو واسطة العقد وزينة الدهر يزيد على الانبياء زيادة الشمس على البدر والبحر على القطر فهو صدرهم وبدرهم قطب ولايتهم عين كتيبتهم واسطة قلادتهم نقش فصهم بيت قصيدتهم نقطة دائرتهم شمس ضحاهم هلال ليلهم تحرك لتعظيم هيبته السوا كن لحن الجزع وسبح في كفه الحصى وتزلزل الجبل و تكلم الذئب والجمل نظر المشركون الى صورته دون معناه فقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم مرضوا لقوة الحسد فرأوه بغير عينه يا محمد هذا نقش ترهاتهم لا لون وجهك يا أيها المزمل يا أيها المدثر يا طيب ثمار كن يا محولا عنه بقل قم أنت امام الارض فاصعد الى الملكوت الاعلى لتكون امام أهل السماء يالها من ليلة قل فيها علت آية الارض على آية السماء فأقبلت رؤساء الملائكة يحيون الرئيس الاكبر فنوره أنور و برهانه أزهر وسره أظهر وفضله وقدرته أعلى وذكره أحلي وصورته أجمل ودينه أكمل ولسانه أفصح ودعاؤه أنجح وعلمه أرفع ونداؤه أسمع وحوائجه أقضي وشفاعته أمضى نصره مؤيد واسمه محمد جسمه أعبد ورسمه أوحد واسمه أحمد هو حبيب المولي وهو بالمؤمنين أولى ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم

الفصل السادس في القيامة ومقدماتها

الحمد لله الذى نور بجميل هدايته قلوب أهل السعادة وطهر بكريم ولايته أفئدة الصادقين فاسكن فيها وداده وحرس سرائر المؤمنين فطرد عنها الشيطان ودادة ودعاها الي ماسبق لها من عنايته فاقبلت منقادة الذي بين أدلة معرفته فتحققت قلوب المؤمنين وجوده وحدانيته وقدمه و بقاءه وانفراده الحميد المجيد الموصوف بالحياة والعلم والسمع والبصر والكلام والقدرة والارادة شهد الله أنه لا إله إلا هو وفق من شاء لهذه الشهادة القدوس الذي لايدركه كيف ولايحيط به أين ولا تدرك صفاته بالقياس والعادة وفق من أراد كرامته فألهمه رشاده وأيقظه بحسن نظره فتذكر معاده ويسر له سبيل طاعته فحصل زاده وتولاه برعايته فأعطاه أمله وزاده وخذل

من شاء بحكم قهره فجعل حظه بعاده وأدار دائرة السوء على من كفر به وأباده وأهلك القرون الاولي من قوم نوح وشد الوطأة على عاد وشداد فلم ينفعه ماشاده وأهلك حجر ثمود فطمس عيونه وأثماده وسلط بعوضة على نمرود فمنعه مراده وزعزع ملك فرعون وقلع أوتاده وأخمد نار أبي جهل وقد كانت بالجهل وقادة ومزق الوليد بعد التمهيد فدمره بعد أن كثر ماله وأولاده وعجل عقوبة عقبة وكذا عاقبة من أسلم للهوي قياده فكم مغرور بدنياه أرداه وأزال اعتماده وعاجله ريب المنون فاجيح زرعه قبل أن يبلغ حصاده فسبحان من أعطى ومنع وخفض ورفع ووصل وقطع ومهد لمن ارتضاه فاحسن مهاده * أحمده على ما أولي من فضل وأفاده وأشكره معترفا بأن الشكر منه نعمة مستفاده * وأشهد أن لا إله الا الله وحده لاشريك له شهادة وعد قائلها الحسني وزيادة * وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى أقام به منابر الايمان ورفع عماده وأزال به سنان البهتان ودفع عناده صلي الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم الذين استخلفهم على دينه وملكهم قياده وأوضح بهم حجج الدين وأحكام العبادة (فى قول الله عز وجل كل نفس ذائقة الموت وانما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور) ذكر الموت عون على الزهد فى الدنيا والرغبة فيما عند الله تعالى * قال رسول الله ﷺ كفى بالموت واعظا * وقال رسول الله ﷺ اكثروا من ذكر الموت فانه يمحص الذنوب ويزهد فى الدنيا (وسئل) رسول الله ﷺ عن أكيس الناس فقال أكثرهم للموت ذكرا وأشدهم له استعدادا أولئك الاكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة * وقال الحسن فضح الموت الدنيا فلم يترك لذى لب فرحا * وكان عمر بن عبد العزيز يجمع الفقهاء فيتذاكرون الموت والقيامة ثم يبكون حتى كأن بين أيديهم جنازة * وكان الحسن البصرى لايذكر فى مجلسه الا الموت والآخرة والنار * وقال سفيان الثورى رأيت فى مسجد الكوفة شيخا يقول أنا منذ ثلاثين سنة فى هذا المسجد أنتظر الموت ان ينزل بي فلو أتانى ما أمرت ولا نهيت عن شىء ومرض اعرابى فقيل له انك تموت فقال الى أين يذهب بى قالوا الى الله تعالى قال كيف أكره أن أذهب الى من لا أري الخير الا منه وهذا حال من كان يتهيأ للموت ولا يشتغل بالدنيا فاما من كان غافلا عن الآخرة

حتى يأتيه الموت على غرة فانما يجد لقدومه غما وحسرة * وقال وهب بن منبه ركب ملك من الملوك فاعجبه ماهو فيه من زينة الدنيا وكثرة الغلمان والأعوان والملابس الحسان فامتلأ تيها وكبرا فبينما هو كذلك اذجاء شخص رث الهيئة فسلم عليه فلم يرد عليه السلام فاخذ بلجام فرسه فقال له أرسل اللجام فلقد تعاطيت أمرا عظيما فقال ان لي اليك حاجة أسرها اليك فادني اليه رأسه فساره وقال له أنا ملك الموت فتغير لونه واضطرب لسانه وقال دعني حتي أرجع الى أهلي فاودعهم فقال لا والله لا ترى أهلك أبدا فقبض روحه فوقع كانه خشبة ثم مضي ملك الموت فرأي عبدا مؤمنا يمشي في الطريق فسلم عليه فرد عليه السلام فقال ان لى اليك حاجة وساره وقال أنا ملك الموت فقال مرحبا وأهلا بمن طالت غيبته والله مامن غائب أحب الي أن ألقاه منك فقال ملك الموت اقض حاجتك التى خرجت اليها فقال والله مامن حاجة أحب إلي من لقاء الله تعالي قال فاختر أي حالة أقبض روحك عليها فقد أمرت بذلك فقال دعنى أصلي واقبض روحي فى السجود فصلي فقبض روحه وهو ساجد وقال أبو بكر بن عبد الله المدنى جمع رجل من بنى اسرائيل أموالا كثيرة فلما أشرف على الموت أمر باحضار أمواله فنظر اليها وبكى فقال له ملك الموت مايبكيك والله ما أنا خارج حتي أفرق بين روحك وبدنك قال فامهلنى حتي أفرق أموالى قال هيهات انقطعت المهلة هلا كان ذلك قبل حضور أجلك فقبض روحه * وروي أن رجلا جمع أموالا كثيرة وصنع يوما طعاما لأهله وقعد على سريره وهم بين يديه يأكلون وقد وضع رجلا على رجل وهو يقول لنفسه تنعمي فقد جمعت لك مايكفيك فبينما هو كذلك إذ أقبل ملك الموت في زى مسكين فقرع الباب فخرج اليه بعض الغلمان فقالوا له ماحاجتك قال ادعوا الى سيدكم فانتهروه وقالوا له مثلك يخرج اليه سيدا فقال نعم فجاؤونا وأخبروا سيدهم بذلك فقال هلا ضربتموه فعاد وقرع الباب قرعا شديدا فخرجوا اليه فقال اخبروا سيدكم انى ملك الموت فلما سمعوا وقع على الجميع الذل ودخل ملك الموت عليه فاحضر أمواله ونظر اليها تحسرا وأسفا وقال لعنك الله من مال أنت شغلتني عن عبادة ربي فانطق الله اليه المال فقال لم تسبني وقد كنت تدخل على الملوك بى وترد المتقين عني وقد كنت تنفقني فى سبيل الشر فلا أمتنع منك ولو أنفقتني في سبيل الخير لنفعتك ثم قبض ملك الموت روحه وانصرف * وقال يزيد الرقاشي بينما جبار من الجبابرة فى

بيته اذ دخل عليه شخص فثار اليه مغضبا وقال من أنت ومن أدخلك داري فقال أما الذي أدخلني الدار فهو ربها وأما أنا فالذي لا يمنع مني الحجاب فارتعد الجبار ووقع ثم قام وقال أنت اذاً ملك الموت قال نعم قال أمهلني حتي أحدث عهدا قال هيهات انقطعت مدتك وانقضت أنفاسك قال والى أين يذهب بي قال الي عملك الذي قدمته وبيتك الذي مهدته قال فاني لم أعمل عملا صالحا قال فألى لظي نزاعة للشوى ثم قبض روحه (وقال) عطاء بن يسار يدفع الي ملك الموت ليلة النصف من شعبان صحيفة فيها اسم من يموت في تلك السنة * وروى أن سليمان عليه الصلاة والسلام سأل ملك الموت عن عدله بين الناس فى قبض الارواح فقال انما هي صحف تلقي الي فيها أسماء * وروى ان الارض بين يديه كالمائدة يتناول منها حيث يشاء ويقال ان ملك الموت يقبض الارواح ثم يسلمها لملائكة الرحمة أو لملائكة العذاب فهو قوله تعالى قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم قال توفته رسلنا قيل معناه ان الرسل تأخذ الروح من ملك الموت والقابض على الحقيقة هو الله تعالى قال الله تعالى الله يتوفى الأنفس حين موتها واعلم ان الموت مفارقة الروح الجسد فالروح باقية مدركة منعمة فى الجنة أو معذبة فى النار وأول ماتدرك الروح عند مفارقة الجسد تختلف بحال الانسان فالمؤمن المقبل على الله المتنعم بذكره كان جسده سجنا لروحه وحياته طريقا الى مقصوده وليس له فى الدنيا الا بلغة يتزودها فى سيره فاذا مات فقد خرج من السجن ووصل الي محبوبه الذى كان يتنعم بذكره ولم يبال بما تركه من الزاد بعد ان عاين مطلوبه ثم ينكشف له ثواب طاعته فيتم سروره وبالعكس منه من كان غافلا عن المولى معرضا عن الاولى مشتغلا بالدنيا متنعما بزهراتها فهو كسارق دخل دار الملك فجعل يأكل ويشرب ويلهو ونسى صولة الملك وبطشه فاذا أخذه الملك وأزعجه عن داره تحسر عن مفارقة ما كان فيه من اللذات وانكشف له عاقبة ماقدم من الجنايات (قال الله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) أي آمنوا واتقوا تتنزل عليهم الملائكة أى ملائكة الرحمة عند قبض أرواحهم يقولون لاتخافوا مما بين ايديكم فان مصيركم الي رحمة الله تعالي ويحضرون معهم بريحان من ريحان الجنة وحرير من حريرها ولا تحزنوا على مافارقتم من الدنيا فقد صرتم الى احسن مما كنتم فيه وابشروا

بالجنة التي كنتم توعدون * و يروى ان الملائكة يقولون للمؤمن السلام عليك ياولي الله أبشر بالجنة فحينئذ يحب لقاء الله تعالى وهو قوله صلي الله عليه وسلم من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه * وروى ان ملك الموت يقول أنا بكل سخي رفيق * وروي أن الله تعالي اذا أراد قبض روح المؤمن قال لملك الموت اذهب فأتني بروح ولي فحسبي من عمله اني قد بلوته في السراء والضراء فوجدته حيث أحب فيذهب ملك الموت ومعه مسك من الجنة وحرير أبيض و يهبط فى أثره خمسمائة ملك مع كل واحد ريحان من الجنة فيحدقون بالولي و يقول له ملك الموت ياولى الله ارتحل من الدنيا الدنية فليست لك بموطن فملك الموت باستخراج روحه الطف من الوالدة الشفيقة بولدها ثم يرفعها لملائكة الرحمة فيصعدون بها الى السماء فتفتح لها أبواب السموات و تستغفر لها الملائكة و تفوح لها رائحة كرائحة المسك حتي توقف بين يدي الله تعالي فيقول الله تعالى مرحبا بالنفس الطيبة ابشري برحمة ثم يؤمر بها فيعرض عليها مقعدها من الجنة ثم ترد الى الميت عند مسئلة منكر و نكير فيعود حيا كما كان و يسئل عن الايمان بالله تعالى والرسول فيثبته الله تعالي بالقول الثابت كما أخبر سبحانه فاذا شهد بالواحدنية والرسالة نادى مناد صدق و نفعه الصدق فيفسح له فى قبره و يفتح له باب الى الجنة يجد منه لذة النعيم وتخرج الروح فتكون فى عليين جنة المأوى عند سدرة المنتهي فى صدور طير بيض وخضر تسرح حيث تشاء وتزور القبر يوم الجمعة فتكون عليه فالروح منعمة مدركة والجسد فى التراب وان فنى و تلاشى فان الله تعالى قادر أن يخلق فيه ادراكا كما يشاء وفى الحديث ان الملكين يقولان للمؤمن نم هنيأ فقد كنت تقول ذلك من قبل فوالله ما نومته تلك الى ان ينفخ فى الصور الا كنومة نامها أحد كم ثم استيقظ قبل أن يرى رؤيا وأما الفاجر فتحضره ملائكة العذاب ومعهم اغلال ومسوح من النار فتخرج روحه بعنف وشدة وتدفع لملائكة العذاب فيصعدون بها فتفوح لها رائحة خبيثة و تلعنها الملائكة وتغلق دونها أبواب السماء و ترد الى الجسد عند سؤال منكر و نكير فيفتن فى قبره ولا يشهد بالحق فيفتح له باب من النار فيكون الجسد معذبا الى يوم القيامة والروح محبوسة فى سجن صخرة سوداء على شفير جهنم تحت الارض السابعة فاذا أراد الله تعالى ان يميت جميع الخلائق عند انقضاء الدنيا أمر

اسرافيل عليه الصلاة والسلام ينفخ في الصور وهو قرن فى فمه عرض القرن عرض السموات والارض فينفخ فيه نفخة فيموت كل من فى السموات والارض الامن شاء الله وهم جبرائيل واسرافيل وميكائيل وعزرائيل عليهم الصلاة والسلام فانهم لا يموتون بالنفخة ولكن يميتهم الله تعالى بعد ذلك بقدرته ثم تمكث الخلائق موتى أربعين سنة ثم يحيي الله تعالى اسرافيل فيأمره أن ينفخ ثانية وتجمع له الارواح جميعا فى الصور لكل روح باب تخرج منه ويعيد الله تعالى الاجساد كما كانت في الدنيا فتكون على ظهر الارض ملقاة تنبت من الارض نباتا فاذا نفخ فيه أخرى تخرج كل روح الى جسدها فاذا هم قيام ينظرون فالسعيد من أيقظه الله تعالي للاستعداد وتحصيل الزاد والغافل عن ذكر الموت والمعاد مصدق بقلبه مكذب بعمله يهتم للشتاء والصيف قبل دخوله وهو يغفل عن الموت وطوله فهو كمن أخبره مخبران هذا الطعام مسموم فقال صدقت ومد يده فأكل فهو مصدق بقلبه مكذب بفعله فنسأل الله تعالى أن يلهمنا رشدنا بمنه وكرمه وفضله ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم (في قول الله سبحان وتعالى) ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشري فى الحياة الدنيا وفى الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم (قال) أبو الدرداء سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية فقال ما سألنى عنها أحد قبلك هى الرؤيا الحسنة يراها المؤمن أو تري له واعلم ان المرء لا يموت حتي يعلم الي أين مصيره ولما حضرت معاذ بن جبل الوفاة قال اللهم انى كنت أخافك وأنا اليوم ارجوك اللهم انك تعلم انى لم أكن أحب الدنيا لجرى الانهار ولا لغرس الاشجار ولكن لظما الهواجر ومكابدة الساعات ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر فلما اشتد النزع به قال وعزتك انك لتعلم ان قلبي يحبك ثم أغمى عليه ثم أفاق وكان له ولد قتل شهيدا فقال أى ولدي فاخبرنى أنه لحق بالذين أنعم الله عليهم وان رسول الله ﷺ قد جاءني فى مائة ألف من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ومائة ألف من الملائكة المقربين يتلقون روحي ويصلون علي ويشيعونى الي قبرى ثم جعل يصافح قوما لم نرهم ويسلم عليهم حتي طلعت روحه فلما مات رؤى فى المنام على فرس ابلق وخلفه زحام كزحام منى رجال بيض عليهم ثياب خضر على خيل بلق وهو يقول يا ليت قومى يعلمون بما غفر لي

ربي وجعلني من المكرمين ولما حضرت بلالا الوفاة قالت امرأته واحزناه فقال بل واطرباه غدا نلقي الاحبة محمدا وحزبه ولما احتضر ابن المبارك فتح عينه وضحك وقال لمثل هذا فليعمل العاملون * وقال الجريري حضرت الجنيد عند وفاته وهو يقرأ القرآن فختم فقلت يا أبا القاسم فى مثل هذه الحالة فقال ومن أولى بهذا مني والآن تطوى صحيفتي وقيل للجنيد ان أبا سعيد الخراز كان كثير التواجد عند الموت فقال لم يكن بعجيب أن تطير روحه اشتياقا واحتضر بعضهم فبكت عليه امرأته فقال لها ابكي على نفسك فأما أنا فقد بكيت لهذا اليوم أربعين سنة وقال الجنيد دخلت على السري في مرضه فقلت له كيف تجدك فقال (شعر)

كيف اشكو الى الطبيب لما بى * والذي قد أصابني من طبيبي
ليس لى راحة ولا لى شفاء * من سقامى الا بوصل حبيبي

ودخل رجل على الجنيد فى مرضه فوجده شاخصاً فسلم عليه وجلس فرد الجنيد عليه السلام بعد ساعة وقال اعذرنى فاني كنت فى وردى وقيل للكسائي لما حضرته الوفاة ما كان عملك قال لولم يقترب أجلي ما أخبرتكم وقفت على باب قلبي أربعين سنة كلما مر عليه غير الله تعالى رددته عنه ولما احتضر مكحول ضحك وكان الغالب عليه الحزن فقيل له لم ضحكت فقال دنا فراق من كنت أحذره ولقاء من كنت أرجوه (وقال أبو على الروذبارى) مات عندنا رجل فقير غريب فغسلته وصلينا عليه ووضعته فى لحده فكشفت عن وجهه ليصيبه التراب فقال يا أبا على اتذللنى بين يدي من ذللنى فقلت ياسيدي أحياة بعد موت فقال انا حي وكل محب لله حي لأنصرنك غدا بجاهى يا روذبارى وكان على بن سهل يقول لاصحابه انى عند موتى ادعي فأجيب فبينما هو يمشي يوماً إذ صاح لبيك ووقع ميتاً ولما احتضر خير النساج نظر الى ناحية فى البيت فقال قف عافاك الله فانما أنت عبد مأمور وانا عبد مأمور والذى أمرت به لا يفوتك والذي أمرت به لا يفوتني ثم احرم وصلى ايماء ثم غمض عينيه ومات ولما دفن سهل بن عبد الله جاء شيخ يهودى كبير فصاح اترون ماارى قالوا ماذا ترى قال أرى ملائكة ينزلون من السماء يتبركون بالجنازة * وقيل لذى النون وهو فى النزع أوصنا فقال لا تشغلونى فانى متعجب في محاسن لطف الله تعالى بى ولما احتضر مالك بن أنس قيل له كيف أنت قال لا ادرى ما اقول لكم ستعاينون من فضل الله وعفوه مالم يكن

لكم فى حساب ثم مات رحمه الله تعالى * وروي أن أبا يزيد البسطامى عند موته بكى ثم ضحك فرؤى بعد موته فقيل له رأيناك بكيت عند موتك ثم ضحكت قال تصور لى إبليس وقال يا أبا يزيد تفلت من شبكتي وأنت سالم فبكيت فنزل على ملك الموت فبشرني بالجنة فضحكت وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يمسك لسانه ويقول هذا الذى أوردنى الموارد فلما مات رؤى فى المنام فقيل له ما الذى أوردك لسانك فقال لا اله الا الله فاوردنى الى الجنة * ورؤى يوسف بن الحسين فى المنام فقيل له ما فعل الله بك قال غفر لى كل ذنب الا ذنبا واحدا فانه أوقفني فيه حتى سقط لحم وجهي من الحياء قيل له كيف هو قال نظرت الى غلام بشهوة * ورؤي مجمع فى المنام بعد موته فقيل له كيف رأيت الأمر قال رأيت الزاهدين فى الدنيا ذهبوا بخير الدنيا والآخرة * ورؤى عطاء السلمى فقيل له كنت طويل الحزن فى الدنيا قال أما والله لقد أعقبنى ذلك فرحا طويلا قيل له ففي أى الدرجات أنت قال مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين (ورؤى) زرارة بن أوفي فقيل له أى الاعمال أفضل عندكم قال الرضا وقصر الأمل وقال يزيد بن مذعور رأيت الاوزاعي في المنام فقلت يا أبا عمرو دلني على عمل أتقرب به الى الله تعالى فقال ما رأيت هناك أرفع من درجة العلماء ثم درجة المحزونين فلم يزل يزيد يبكي حتى ذهب بصره (ورؤى) سفيان الثورى فقيل له ما فعل الله بك قال وضعت إحدى رجلي على الصراط والاخري فى الجنة (ورؤى) الجنيد فى المنام فقيل له ما فعل الله بك قال طاحت تلك الاشارات وذهبت تلك العبارات وما حصلنا الا على ركعات كنا نصليها بالليل (ورؤي) أبو سليمان الدارانى فقيل له ما فعل الله بك قال رحمني وما كان شيء أضر على من اشارات القول وقال سفيان بن عيينة رأيت سفيان الثورى بعد موته وهو فى الجنة يطير من شجرة الى شجرة ويقول لمثلي هذا فليعمل العاملون فقلت له أوصني قال أقلل من معرفة الناس (ورؤي) الشبلي فقيل له ما فعل الله بك قال حاسبنى فلما رأي اياسى تغمدنى برحمته (ورؤى) بعضهم فسئل عن حاله فقال

حاسبونا فدققوا ثم منوا فاعتقوا

(ورؤى) الامام مالك بن أنس فقيل له ما فعل الله بك قال غفرلى بكلمة كان يقولها عثمان بن عفان رضي الله تعالي عنه عند رؤية الجنازة سبحان الحي الذي لا يموت * ولما مات الحسن البصرى رأى إنسان كأن أبواب السماء مفتحة

ومناد ينادي ألا ان الحسن البصرى قد قدم على الله وهو عنه راض . وقال بعضهم رأيت الليلة التي مات فيها داود الطائي نورا وملائكة نزولا وملائكة صعودا فقلت أي ليلة هذه قالوا مات داود الطائى وقد زخرفت الجنة لقدوم روحه وقال أبو سعيد الشحام رأيت الاستاذ أباسهل الصعلوكي فى المنام فقلت ياشيخ فقال دع الشيخ قلت الاحوال التي شاهدناها قال لم تغن عنا شيئا قلت مافعل الله بك قال غفرلى بمسائل كان يسئل عنها العجزة ورآه آخر على حالة حسنة فقال ياأستاذ بم نلت هذا قال بحسن ظنى بربي وقال ابن راشد رأيت ابن المبارك بعد موته فقلت ماصنع الله تعالى بك قال غفر لى مغفرة أحاطت بكل ذنب قلت فسفيان الثورى قال بخ بخ ذاك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وقال الربيع بن سلمان رأيت الامام الشافعى رضي الله عنه في المنام فقلت ماصنع الله بك قال أجلسنى على كرسي من ذهب ونثر على اللؤلؤ الرطب ولما مات الحسن البصرى رأى إنسان منادياينادي أن الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين واصطفى الحسن بن أبى الحسن على أهل زمانه (ورؤي) بعضهم فقيل له أى الأعمال وجدتم أفضل قال البكاء من خشية الله تعالى وماتت صبية زمان الطاعون فرآها أبوها في المنام فقال يابنية أخبريني عن الآخرة قالت قدمنا على أمر عظيم نعلم ولا نعمل وتعلمون ولا تعملون والله لتسبيحة أو تسبيحتان أو ركعة أو ركعتان في صحيفتي أحب إلى من الدنيا ومافيها وقال موسى بن حماد رأيت سفيان الثوري فى الجنة فقلت بماذا نلت هذا قال بالورع قلت فعلى بن عاصم قال ذلك لا يري الا كما يري الكوكب الدري ورأى بعض التابعين النبي ﷺ فى المنام فقال يارسول الله عظنى فقال نعم من لم يتفقد النقصان فهو فى نقصان ومن كان فى نقصان فالموت خير له . ولما مات مالك بن دينار رأى انسان كأن أبواب السماء قد فتحت ومناد ينادى ألا ان مالك بن دينار أصبح من سكان الجنة ولما مات كرز بن وبرة رأى إنسان أهل المقبرة التي دفن فيها خرجوا من قبورهم وعليهم حلل بيض فقال ماهذا فقيل ان أهل القبور كسوا ثيابا بيضا لقدوم كرز عليهم (ورؤى) بشر الحافى فى المنام فقيل ما فعل الله بك قال قال لي مرحبا يا بشر لقد توفيتك يوم توفيتك وما على وجه الارض أحب الي منك . (فى قول الله تعالى واتقوا يوما

ترجعون فيه الي الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون) اذا قام الناس من قبورهم لفصل القضاء حشروا على أحوال مختلفة فمنهم من يكسي ومنهم من يحشر عريانا ومنهم راكب وماش ومسحوب على وجهه ومنهم من يذهب الى الموقف راغبا ومنهم من يذهب خائفا ومنهم قوم تسوقهم النار سوقا وتبدل الارض غير الارض ويزاد فيها وتصير بيضاء عفراء وتمد مد الاديم وتذهب جبالها وأشجارها وأوديتها فاذا اجتمع الاولون والآخرون في صعيد واحد تناثرت النجوم من فوقهم وطمس ضوء الشمس والقمر واشتدت الظلمة ويعظم الأمر ثم تنشق السماء على غلظها وصلابتها فتسمع الخلائق لانشقاقها صوتا عظيما منكرا فظيعا تدهش لهوله الالباب وتخضع لشدته الرقاب ثم ينظرون الي الملائكة هابطين الي الارض فتنزل ملائكة سماء الدنيا فيحيطون بالخلائق ثم ملائكة السماء الثانية خلفهم دائرة ثانية وكذلك حتي تكون سبع دوائر في كل دائرة ملائكة سماء ثم تسيل السماء فتكون كالمهل وهو النحاس المذاب فيطوى بعضها على بعض ثم تنهار وتذوب وتذهب حيث شاء الله تعالى وتدنوا الشمس من رؤس الخلائق حتي تكون قدر ميل فيشتد الكرب من الزحام ويكثر العرق كما قال رسول الله ﷺ ان العرق يوم القيامة ليذهب فى الارض سبعين باعا وأنه ليبلغ الى افواه الناس وآذانهم رواه مسلم فى الصحيح ويكون الناس يومئذ فى العرق مختلفين فمنهم من يبلغ ركبتيه وحقويه وأذنيه ولا ظل يومئذ الا ظل الله وهو ظل يخلقه الله تعالى فى المحشر لا يكون فيه الا من أراد الله تعالى اكرامه فيقف الناس كذلك شاخصين الى نحو السماء قدر أربعين سنة من سنين الدنيا لا ينطقون فاذا طال انتظارهم طلبوا من يشفع لهم ليستريحوا من الوقوف والانتظار والكرب فيأتون آدم فيطلبون منه الشفاعة فيقول لست لها بشافع ان ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ويدلهم على نوح فيقول لهم كذلك ويدلهم على ابراهيم فيقول لهم كذلك ويدلهم على موسى فيقول كذلك ويدلهم على عيسى فيقول كذلك ويدلهم على نبينا محمد ﷺ وعليهم أجمعين فيقوم ويشفع حينئذ باذن الله تعالى فهذا أول الشفاعة لاراحة الناس من كرب الموقف فيقوم ﷺ مقاما عن يمين العرش لا يقوم فيه أحد من الخلق غيره ويسجد لله ويثني عليه بثناء يلهمه إياه

الله تعالى في ذاك الوقت لم ينطق به غيره قط و يبقى قائما منتصبا فيقول الله تعالى ما تريد ان اصنع بأمتك فيقول عجل حسابهم * روي ان المقام المحمود مقامه الذي يشفع فيه * وروى أنه يكون على الكرسي عن يمين العرش ﷺ * وروى ان الناس يفزعون اذا نزلت الملائكة فزعا شديدا فيقولون للملائكة سبحان الله ربنا تعظيما لله تعالى ولكنه آت من بعد فيبقى الناس منتظرين فبينماهم كذلك اذ ظهر نور عظيم يشرق منه أرض المحشر وهو نور العرش فترعد فرائص الخلق و يتيقنون ان الجبار عزوجل قد تجلي لفصل القضاء فيظن كل واحد منهم أنه هو المأخوذ المطلوب ثم يأمر الله تعالى جبرائيل عليه الصلاة والسلام ان يأتي بجهنم فيأتيها فيجدها تلتهب غيظا علي من عصى الله تعالى فيقول ياجهنم اجيبي لخالقك ومليكك فتثور وتفور وتشهق فتسمع الخلائق لها صوتا عظيما تمتلىء القلوب منه فزعا ورعبا ثم تزفر ثانية فيزداد الرعب والخوف ثم تزفر ثالثة فتخر الخلائق على وجوههم وتبلغ القلوب الحناجر و ينظر المجرمون من طرف خفي فاول من يدعي للحساب اسرافيل عليه الصلاة والسلام فيسئل عن تبليغ الرسالة فيقول بلغتها لجبرائيل فيصدقه جبرائيل و يقول بلغتها للرسل فيدعى أول المنذرين وهو نوح عليه الصلاة والسلام فيسئل فيقول بلغتها قومى فيدعى قومه فيسئلون فمن صدق منهم فهو من المؤمنين ومن كذب وانكر شهدت أمة محمد بما أخبرهم الله تعالي فى القرآن و يصدقهم محمد صلي الله عليه وسلم فهو قوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس و يكون الرسول عليكم شهيدا ثم يسئل جميع الرسل عن البلاغ وهو قوله تعالى فلنسألن الذين أرسل اليهم ولنسألن المرسلين وقوله تعالي يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا قيل معناه لا علم لنا الآن ولا ندرى ماذا نقول وذلك لما استغرقهم من هيبة الله تعالى فاذا سكن روعهم قالوا بلغنا قومنا فمنهم مصدق ومنهم مكذب وقيل معناه لا علم لنا بمن صدقنا ولا بمن كذبنا فانا لا نطلع على السرائر يدل عليه قوله انك أنت علام الغيوب وسؤال الملائكة والرسل اظهارا للعدل واقامة للحجة على من كذب وزيادة تخويف للجاحدين فكيف يكون عقول الخلائق اذا عاينوا الملائكة والرسل قد دعاهم الله تعالي للحساب والسؤال ثم تقبل الملائكة على الخلائق فينادى كل انسان باسمه من غير كنية يافلان هلم الى

موقف العرض فمن المؤمنين من لم يحاسب ومنهم من يحاسب حسابا يسيرا يستره الله تعالى عن جميع الخلائق ويكلمه ويقرره بذنوبه ويقول له سترت عليك فى الدنيا وأنا أغفر لك اليوم ومن عصاة المؤمنين من يشدد عليه الحساب حتي يستوجب العذاب فيشفع فيه من يأذن الله له من الانبياء والاولياء والصالحين فهذه الشفاعة الثانية يشترك فيها الانبياء والاولياء والصالحون ولنبينا محمد ﷺ أكثرها وأوفرها * روى ابن عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال يوضع للانبياء منابر يجلسون عليها ويبقي منبرى لا أجلس عليه الا قائما بين يدى ربي منتصبا فيقول الله تعالى ماتريد ان اصنع بأمتك فيقول يارب عجل حسابهم فيدعى بهم فيحاسبون فمنهم من يدخل الجنة برحمته ومنهم من يدخل الجنة بشفاعتي ولا ازال اشفع حتي اعطي اصكاكا برجال قد أمر بهم الى النار حتي ان خازن النار ليقول ماتركت يا محمد لغضب ربك في أمتك من نقمة وقال صلى الله عليه وسلم لاشفعن يوم القيامة لاكثر أهل الارض من حجر وشجر وقال ﷺ يدخل الجنة بشفاعتي رجال من أمتي أكثر من ربيعة ومضر * وروى ان من المؤمنين من يشفع في رجل واحد ومنهم من يشفع في رجلين ومنهم من يشفع في قبيلة على قدر درجاتهم (وفى) الصحيح يدخل الجنة من هذه الامة سبعون ألفاً بغير حساب وفى رواية مع كل واحد منهم سبعون ألفا ومن العصاة من لا يشفع فيه فيؤمر به الى النار (وأما الكفار) فليس لهم حسنات وانما يوقفون للتوبيخ والنكال ومقاساة الاهوال فيقف الكافر للعرض فيقول الله تعالى ألم أكرمك واسودك وازوجك واسخر لك الخيل والابل وأذرك ترأس وترتع فيقول بلى يارب فيقول افظننت انك ملاقي فيقول لا فيقول انى أنساك كما نسيتني ومنهم من ينكر الكفر ومنهم الذين يقولون والله ربنا ما كنا مشركين فيختم على أفواههم وتنطق جوارحهم بالشهادة عليهم كما أخبر الله تعالى ثم ان الله تعالى مع علمه باعمال العباد يظهر العدل ويقيم الحجة فتنصب الموازين لوزن الاعمال ويؤتى بالصحف التى كتبتها الملائكة على العباد فيخلق الله تعالى فيها ثقلا وخفة على قدر الاعمال ويؤتي بكل انسان فتوضع صحيفة حسناته فى كفة وصحيفة سيآته فى كفة حتى يتبين له ولغيره رجحانه ونقصانه وتتطاير الصحف فيعطى لكل عبد كتاب فيه جميع اعماله يقرؤه من كان يكتب ومن لا يكتب كل

ذلك اظهار العدل ثم تتعلق المظلومون بالظالمين هذا يقول هذا قتلني وهذا يقول هذا ضربني وهذا يقول هذا أخذ مالي أو غشني في معاملة أو بخسني في وزن أو كيل أو شهد على بزور وهذا يقول هذا سبني أو شتمني أو اغتابني أو استهزأ بي أو نظر الى نظرة كبرا واحتقار فتفرق حسنات الظالم على المظلومين فاذا لم يبق حسنة جعل على الظالم من سيآت المظلوم حتي يستوفى كل ذى حق حقه فان الرجل ليأتي بحسنات كثيرة فيأخذها خصومه وتطرح عليه سيآت ما كان عملها فيقول ماهذا فيقال سيآت من ظلمته * وروي ان الناس يقفون فى الظلمة أربعين سنة فاذا تجلي الله تعالى لفصل القضاء أمر المؤمنين بالسجود فيسجدون و يؤمر غيرهم فلا يستطيعون ذلك وهو قوله تعالى و يدعون الى السجود يعني الكفار فلا يستطيعون وقد كانوا يدعون فى الدنيا الي السجود وهم سالمون فلا يسجدون ثم يقال للمؤمنين ارفعوا رؤوسكم فيرفعون رؤوسهم وقد اعطى كل مؤمن نورا على قدر عمله واحد كالشمس وآخر كالنجم وآخر كالمصباح فاذا وقع السؤال ونصبت الموازين للاعمال وتطايرت الكتب ووضع الصراط على متن جهنم أحد من السيف وأرق من الشعر يؤمر الناس بالجواز عليه فاول من يجوز عليه أمة محمد فيمر أولهم كالبرق الخاطف ثم كالريح ثم كالطير ثم كالخيل ثم عدوا ثم مشيا ومن الناس من يزحف زحفا ومنهم من يسحب سحبا فمنهم من يسلم ومنهم من يزل فيقع في النار ومنهم من تخطفه كلاليب فتلقيه في النار و يسمع للواقعين فى النار جلبة عظيمة وصياح شديد يدهش العقول و يقول الأنبياء اللهم سلم سلم ولا ينطق حينئذ الا الرسل و يتصور لكل أمة كافرة ما كانت تعبد و ينادى مناد لتتبع كل أمة ما كانت تعبد فتلقي أصنامهم فى النار وأوثانهم وما كانوا يعبدون من الجمادات و يتبعهم من عبدهم وهو قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون فهذا ورود الكفار والفجار وأما ورود السعداء فهو العبور على الصراط وتكون جهنم وحرها تحت أرجلهم كشحمة جامدة حتي يجوزوا على الصراط سالمين فهو قوله ﷺ من مات له ثلاث من الولد لم يبلغوا الحنث لم تمسه النار الا تحلة القسم يعني لا يدخلها بل يمر عليها تحلة القسم فى قوله تعالى وان منكم الا واردها وهذا قسم فانه معطوف على قوله فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم قال وان منكم

إلا واردها أي وما منكم إلا يرد النار فمنكم من وروده عبور ومنكم من وروده دخول ثم ينجي الله الذين اتقوا فيسلمون ويمرون على الصراط وينجى الله عصاة المؤمنين فيخرجهم بالشفاعة أو برحمته ويذر الظالمين فيها جثيا فاذا وقع الذين وجب عليهم العذاب وجاز الفائزون كلهم وردوا على حوض رسول الله صلي الله عليه وسلم على نهاية ماهم فيه من العطش وما عاينوه من الاهوال فهذا أيضا من خواص فضائل رسول الله صلي الله عليه وسلم وقد ورد الحوض في الصحيح من رواية عبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص وأبى هريرة وجابر بن سمرة وحارثة بن وهب وجندب وأبى ذر وثوبان وعقبة بن عامر وأسماء بنت أبى بكر فى حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال رسول الله صلي الله عليه وسلم حوضى مسيرة شهر وزواياه سواء وماؤه أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك كيزانه كنجوم السماء من شرب منه فلا يظمأ بعده أبدا * وفى حديث أسماء آني على حوضى حتي أنظر من يرد على منكم وسيؤخذ أناس دونى فأقول يارب أمتي ومن أمتى فيقول ماشعرت ماعملوا بعدك والله مابرحوا بعدك يرجعون على أعقابهم وهؤلاء قوم ارتدوا بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكفروا فتخطفهم جهنم هذا أحسن ماقيل فى هذا الحديث* وكان ابن أبى مليكة اذا ذكر هذا الحديث يقول اللهم انا نعوذ بك ان نرجع على أعقابنا أو نفتن عن ديننا وعليه يحمل حديث مالك فى الموطأ الذى فيه فيذاد رجال عن الحوض ثم يذهب المؤمنون الى الجنة فأول من يدخلها رسول الله صلي الله عليه وسلم ثم الانبياء عليهم الصلاة والسلام ثم يدخل الجنة الذين لاحساب عليهم من هذه الأمة من الباب الأيمن فاذا وصل أهل الجنة الى الجنة بقيت آمالهم متعلقة بنجاة العصاة من المسلمين الذين دخلوا النار فيطلب الصالحون الشفاعة لهم من الرسل فهذه أول الشفاعة الثالثة وقد وردبها الاخبار المسندة الصحيحة ان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم يستأذن ويسجد بين يدى الله تعالى فيقول الله تعالي ارفع رأسك وسل تعط وقل يسمع لك واشفع تشفع فيقوم فيشفع فيخرج الله تعالى من كان في قلبه مثقال دينار من الايمان ثم يسجد الثانية ويشفع فيخرج بشفاعته من كان فى قلبه مثقال شعيرة من الايمان ثم يسجد الثالثة فيخرج من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل ثم يسجد الرابعة ويشفع ويقول ائذن لى فيمن قال لا إله الا الله فيقول الله تعالى

ليس ذلك لك ولكن وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال لا إله إلا الله * وروي مسلم في الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال آخر من يدخل الجنة رجل وهو يمشي مرة ويكبو مرة وتلحفه النار مرة فاذا جاوزها التفت اليها وقال تبارك الذي نجاني منك لقد أعطاني الله شيئا ما أعطاه لأحد من الاولين والآخرين وذكر الحديث بطوله وفيه انه يرى شجرة فيسأل الله تعالي أن يدنيه منه ويعاهده ان لا يسأله غيرها فاذا دنا منها رأى شجرة ثانية أحسن منها فيطلبها ثم يرى ثالثة عند باب الجنة فيطلبها وربه يعذره لانه يرى مالا صبر له عنه فاذا سمع أصوات الجنة قال يارب أدخلنيها فيعطيه الله تعالى فى الجنة قدر الدنيا مرتين وقد ورد فى صحيحى البخاري ومسلم ان العصاة من المسلمين يموتون في النار ويحمل على أنهم يعذبون على قدر ذنوبهم فيكون نهاية عذابهم فاذا وقعت الشفاعة أحياهم الله تعالى وأخرجهم فتأملوا رحمكم الله تعالى هول الموقف وشدته اذا بعثرت القبور وقام الخلائق للنشور وحشر المتقون الى الرحمن وفدا وسيق المجرمون الي جهنم وردا ووقف الخلائق وطال بهم الوقوف واشتد الزحام والتحمت الصفوف وكثر القلق وألجمهم العرق وأدهشهم الفرق واختلطت الفرق واشتد الغضب واحتد اللهب وجاءت جهنم بظل ذى ثلاث شعب لا ظليل ولا يغني من اللهب ورمت بشرر كقطع الخشب وجثا الخلائق على الركب وغلب على الجميع الخوف والرهب وأيقن المجرمون بالعطب وعاين الظالمون سوء المنقلب وبرزت الملائكة صفوفا خاشعين وقام الناس لرب العالمين وحشر الوحوش والهوام وجميع الطير والانعام وجرى بينهم القصاص إظهارا لعدل الحاكم وانتصف المظلوم من الظالم ثم قيل لها كوني ترابا فصارت ترابا فعندها يتمنى الكافر لو صار مثلها ولم يلق عذابا ثم وقع العتاب وحرر الحساب ونشرت الدواوين ونصبت الموازين ومد الصراط على متن جهنم ووقع الفصل بين الابرار والفجار وسلم السعداء الي دار القرار وزل الاشقياء الى دار البوار فياله من يوم ما أعظمه وديان ما أحكمه وجبار ما أعلمه وخطب ما أصعبه وموقف ما أتعبه يوم هو في الحقيقة كألف سنة من هذه السنين وهو قدر خمسين ألف سنة فى الصعوبة على المجرمين وتخفف أثقاله عن قلوب المكرمين

اذا حصلت لهم البشرى والامان وصح لهم رأس مال الايمان وسلمت لهم تجارة الاحسان وفازوا بما نالوا من رضا الرحمن فذهبت الاوجال وزالت الاهوال وسكنت الزلازل والمرء ابن وقته وقد زال مازال فصار الحساب عندهم كصلاة ركعتين والوقوف كوسن من بين الجفنين وصاروا الى كرامة الابد وعاشوا في جوار الواحد الاحد الصمد فهل فى لذة الشهوات ما يوازن هذه اللذات أم في تعب الاعمال ما يقابل هذه الاهوال لا والله ولكن غلب على النفوس حب العاجلة فتحملت في طلبها المتاعب وتكلفت جميع المشقات لتحصيل المآرب وآثرت الشهوات الفانية على اللذات الباقية واستصعبوا التعب القليل فى الاعمال الصالحة ولم يسلكوا طريق السلامة مع كونها واضحة اللهم أيقظنا من نوم الغفلة والجهالة وعافنا من دار الفتن والبطالة وارزقنا الاستعداد لما وعدتنا كما عودتنا وتوفنا على الايمان كما أمرتنا وأتمم اللهم علينا ما به أكرمتنا واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين آمين

الفصل السابع في الوعيد

الحمد لله الذى زين قلوب أوليائه بانوار الوفاق ورفع قدر اصفيائه فعلا ذكرهم فى الدارين وفاق وسقى اسرارأحبابه شرابا لذيذ المذاق فهان عليهم حمل المشقة لما حملهم من الاشواق رضي قلوبهم لغرس ولايته فأرسل اليها غيث عنايته وساق وطهرها وسقاها ووقاها حتى استوى نبات المعاملة على ساق وأكرمهم بالتحية والرؤية يوم التلاق الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق واظهر عدله بابعاد قوم فحكم عليهم بالمخالفة والشقاق وجعل لهم من الخذلان اغلالا جمعت الايدى والاعناق لهم عذاب في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة اشق ومالهم من الله من واق فقلوبهم معذبة بين صدود وابعاد وحجاب وفراق اجسامهم مترددة بين كرب وضرب واحراق هذا فليذوقوه حميم وغساق هذه آثار سطوة الجبار وبطشه لا يطاق ولهذا ألزم قلوب الخائفين الوجل والاشفاق لما علموا ان القسمة سابقة فى الشقاوة والسعادة والآجال والارزاق فلا يعلم الانسان فى أى الدواوين كتب ولا في أى الفريقين يساق فسبيل العقلاء المبادرة والمسارعة والسباق ومد كف الافتقار ولبس ثياب الاملاق والوقوف على باب الغنى والانتظار لخروج الاوراق فان سامح فبفضله وان عاقب

فبعد له ولا اعتراض على الملك الخلاق (أحمده) حمد معترف بالعجز عن شكره متذلل بين خجل واطراق واشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة صفا موردها وراق وزاد نورها على حد الأسفار والاشراق واشهد ان محمداً عبده ورسوله البشير النذير السراج المنير الذى عم نوره الآفاق والنور الذى لا يعترض ضياءه كسوف ولا محاق والحبيب المقرب الذى اسري به على البراق الى أن جاوز السبع الطباق ﷺ وعلى آله وأصحابه مفاتيح الاغلاق السابقين الي الايمان والهجرة والانفاق (فى قول الله عزوجل) يا أيها الذين آمنوا قوا انفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون يا أيها المؤمنون بالله اعملوا بطاعة الله ولا تهملوا نفوسكم فى معصية الله فان النفس كدابة جموح قائدها ثواب الله تعالى وسائقها خوف عقاب الله تعالى فان تعطلت من الخوف والرجاء و بقيت فى طبائعها رتعت في مراتع الهلاك فمن امسكها عن هواها فقد وقاها ومن أطلقها فقد أرداها قال الله تعالي قد أفلح من زكاها أى طهرها عن المخالفات ورفع قدرها بالطاعات وقد خاب من دساها أي وضع قدرها بالمخالفات فاوقعها فى الهلكات وقوله وأهليكم ناراً أى علموا أهليكم واتباعكم ووقفوهم وعظوهم وادبوهم ثم وصف النار وصعوبتها وشدة خزنتها وقال لها سبعة أبواب لكل باب منها جزء مقسوم أى هى سبع طباق بعضها فوق بعض بين كل طبقتين مسيرة سبعين سنه فالاولى جهنم لعصاة المسلمين والثانية لظى تتلظي أى تتلهب فتنزع الجلود ثم تحتها الحطمة تحطم أهلها فتسحقهم سحقا ثم تحتها السعير تتسعر فيأكل بعضها بعضا وتحتها سقر تذيب الجلود واللحوم ثم تحتها الجحيم ومعناه الجمر الغليظ وتحتها الهاوية من دخلها لم يستقر فيها ولكنه يهوى فيها أبدا فاول ما تمتلي الهاوية ثم التي فوقها حتى تمتليء كلها وقوله لكل باب منهم أى من اتباع الشياطين جزء مقسوم فمعناه لكل طبقة أهل قد جعلهم الله تعالى لها * وروى ان كل طبقة أعظم عذابا من التي فوقها بسبعين ضعفا وان أهونها لو أن رجلا بالمغرب وكشف عنها بالمشرق لسال دماغه من حرها * وروى مسلم عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها * وعن أبى هريرة ان رسول الله ﷺ

قال نار كم هذه التي يوقدها ابن آدم جزء من سبعين جزءا من جهنم قالوا والله يارسول الله ان كانت لكافية قال فانها فضلت بتسعة وستين جزءا كلها مثل حرها * وعن سمرة بن جندب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال منهم من النار تأخذه الى كعبه ومنهم من تأخذه النار الى ركبتيه ومنهم من تأخذه النار الى حجزته ومنهم من تأخذه النار الى ترقوته * وعن النعمان ابن بشير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أهون أهل النار عذابا من له نعلان من نار وشراكان من نار تغلي منها دماغه كما يغلي المرجل مايرى ان أحدا أشد منه عذابا وانه لأهونهم عذابا * وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرس الكافر أو ناب الكافر مثل أحد وغلظ الجلد مسيرة ثلاث يعني يعظم الله تعالى جثته ليكثر عذابه ويتضاعف ألمه * وعن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم يؤتي بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة فيصبغ في النار صبغة ثم يقال ياابن آدم هل رأيت خيرا قط هل رأيت نعيما قط فيقول لا والله يارب ويؤتي بأشد الناس بؤسا في الدنيا من أهل الجنة فيصبغ صبغة فى الجنة فيقول ياابن آدم هل رأيت بؤسا قط هل رأيت شدة قط فيقول لا والله ياربي مامر بي من بؤس قط ولا رأيت شدة قط * وروى الترمذى عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو ان قطرة من الزقوم قطرت في الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معايشهم فكيف بمن يكون طعامه وقال الحسن البصرى تأكل النار أهلها كل يوم سبعين ألف مرة كلما نضجت جلودهم أعيدوا كما كانوا وتتعلق أرواحهم فى حناجرهم فلا يموت أحدهم فيستريح ولا يحيا حياة طيبة وقال أبو الدرداء ومحمد بن كعب يلقى على أهل النار الجوع حتي يعدل ماهم فيه من العذاب فيستغيثون فيؤتون بالضريع وهو نبات يشبه نباتا فى الدنيا لا تقدر الابل على أكله من شدة مرارته فيأكلون فيغصون فيطلبون ما يسيغون به الغصص فيؤتون بالحميم وهو ماء حار يقربه أحدهم الى فيه فتقع جلدة وجهه فاذا شربه قطع أمعاءه فيقولون لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب فتقول لهم الخزنة ألم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلي قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين الا فى ضلال فيدعون فلا يجابون فاذا أيسوا نادوا يامالك ليقض علينا ربك معناه بالموت طلبوا الموت ليستريحوا

فيسكت عنهم مالك مقدار ثمانين سنة وهو في مجلس له يري أقصاها كما يري أدناها ثم يقول لهم انكم ماكثون أي مخلدون فيقول بعضهم لبعض اصبروا فلعل الصبر ينفعنا فانما سلم أهل الجنة بصبرهم في الدنيا فيصبرون زمانا طويلا فلا ينفعهم فيقولون سواء علينا أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص فيأتون الي ابليس فيقولون أنت أغويتنا فكيف الخلاص مما نحن فيه فيقوم ابليس على تل من نار يسحب سلاسله ويخطب خطبة ويقول فيها ان الله تعالي وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان أي ما كان لى عليكم حجة ولا قهر ولا حملتكم على المعصية كرها ولكن دعوتكم فاستجبتم لي طوعاً وتابعتم هوى نفوسكم فلا تلوموني ولوموا أنفسكم فانها طلبت هواها فأرداها ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي أى مغيثكم فلا أقدر لكم على فرج ولا تقدرون لي على فرج اني كفرت بما أشركتموني أى بشرككم أى وأنا برىء منكم فعندها يمقتون أنفسهم مقتا شديدا فتناديهم الملائكة لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم لما دعاكم الي الايمان فكفرتم فعندها يسألون الله تعالى أن يعيدهم الى الدنيا ليعملوا صالحا فيقولون ربنا أمتنا اثنتين معناه فأنت قادر أن تعيدنا الى الدنيا وقد اعترفنا وآمنا فينادون ذلكم بأنه اذا دعى الله وحده كفرتم والاحياء مرتين احياء فى الدنيا بعد ان كانوا نطفا أمواتا ثم أحياهم في الآخرة للبعث والموتتان كونهم أمواتا نطفا ثم موتهم عند انقضاء آجالهم من قول ابن عباس وقول الضحاك ويدل عليه قوله تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون وقال السرى الحياة الاولي والموتة الثانية فى القبر عند مسألة الملكين ثم يموتون وقال ابن زيد الحياة الاولى حين أخرجهم كالذر وقال ألست بربكم والاول أصح ثم ان أهل النار يستغيثون مرارا فيجابون بما يكرهون حتى يقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا فيقول الله تعالى اخسئوا فيها ولا تكلمون فينقطع حينئذ رجاؤهم ولا يتكلمون بعدها أبدا ويصير بعضهم ينبح فى وجه بعض كالكلاب قال الحسن كلما لفحتهم لفحة لم تدع لحما ولا جلدا الا ألقته على العراقيب وفى النار واد يسيل صديدا له سواحل فيها حيات وعقارب كالبخت فاذا اشتد عليهم حر النار هربوا لتلك السواحل ليستريحوا من حر النار فتشتد عليهم الحيات والعقارب فتأخذ شفاههم وتنهش لحومهم فيهربون الي

النار قال ابن مسعود أنه يسمع للهوام فى باطن جلد الكافر جلبة كجلبة الوحش في البرية وان الحميم ليصب على رأس أحدهم فيذوب دماغه و ينزل الى بطنه فتقع امعاؤه وجلده وان أحدهم ليضرب بمقامع الحديد فكلما ضرب ضربة سقطت اعضاؤه كل عضو على حاله وقال الفضيل بن عياض فى قول الله تعالى كلما أرادوا ان يخرجوا منها أعيدوا فيها قال ماطمعوا فيها بالخروج فان الارجل والأيدى لموثقة ولكن يرفعهم لهبها وتردهم مقامعها * و يروي أنهم يتنفسون فى النار وأن النار لتضيق بهم كما يضيق الرمح فى الزج و تغل أيديهم مع أعناقهم و يقرن كل كافر مع شيطانه في سلسلة * وروى ان أول من يكسى فى النار ابليس فيكسى حلة و يصيح واثبوراه فيصيح أهل النار واثبوراه فيقال لهم لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا والثبور الهلاك والخسران قال كعب الاحبار ينظر الله تعالي الى عبد فيقول خذوه فتخطفه مائة ألف ملك حتي يتفتت من أيديهم فيقول أما ترحمون فيقولون كيف نرحمك ولم يرحمك أرحم الراحمين * وروى ان خزان جهنم تسعة عشر مع كل واحد منهم ألف من الخزان وان على باب من أبواب جهنم لأربعمائة ألف ملك ليس فى قلب واحد منهم مثقال ذرة من الرحمة لوطار طائر من منكب أحدهم لطار شهرين قبل ان يصل الى منكبه الآخر يعرفون الكفار بسيماهم بزرقة العيون وسواد الوجوه فيأخذون الكافر فيجمعون بين رأسه وقدمه من وراء ظهره كالقوس و يلقونه فى النار فيهبط هبوطا فهو قوله تعالى يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والاقدام ثم لايزال كذلك حتي يخرج منها المسلمون فلا يبقى فيها الا الكفار وهو يوم الحسرة اذ قضى الأمر فتغلق أبواب النار على الكفار و يجعل كل واحد من الكفار في تابوت من الحديد و يضاعف عليهم العذاب كل يوم أضعافا فيخلدون فيها أبدا من غير نهاية نسأل الله تعالى العافية فحق على كل عاقل ان يكون خائفا فان الخلود في النار وان كان مخصوصا بالكفار فان العبد لا يدرى بماذا يختم له وان ختم للعبد بالايمان فقد يؤخذ بالعصيان ومن دخل النار ولو ساعة فقد ذاق ألما شديدا لا يوجد مثله في الدنيا بوجه من الوجوه بل لو توعد الملك أحدا ان يسجنه في الحمام أو فى المكان الحار فى الصيف أو يتركه فى الشمس ان أكل طعاما يشتهيه لترك شهوته

خوفا من تلك العقوبة قال أحمد بن حرب والله انا لنؤثر الظل على الشمس ولا نؤثر الجنة على النار اللهم سلمنا من هذه الاحوال بفضلك وكرمك وتوفنا على الأيمان فانت أولى بتمام نعمتك وتجاوز عن سيآتنا باحسانك وتغمدنا برحمتك وغفرانك انك أنت أرحم الراحمين

الفصل الثامن في الجنة

الحمد لله الذى رسم فى جميع مصنوعاته على وجوده وكماله دليلا ووسم بالعجز سائر مخلوقاته فكل تراه مفتقرا ذليلا وحسم الافكار عن الاحاطة بذاته وصفاته فلم يجعل لها اليه سبيلا الحى العليم القدير المريد السميع البصير المتكلم الملك الكبير لا يدركه الوهم ولا يحده الفكر تمثيلا تعالي ذو الملك والملكوت ولم يزل ولا يزال عظيما مقتدرا جليلا من شبهه بخلقه فقد شابه عبدة الاوثان وأضحى ايمانه عليلا ومن نفى صفات الكمال فقدا نتحل جحودا وتعطيلا تقدس ذو العزة والجبروت فلا تستطيع الاوهام اليه وصولا قسم عطاءه بين خلقه فجعل منهم كافرا ومنهم مؤمنا ومعرضا ومقبلا انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا وفق من ارتضاه لخدمته وأعدله أجرا جزيلا وبوأه دار رضوانه وأكرم مثواه فجعل له فى دار فضله مقيلا لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا لهم فيها أزواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا (أحمده) على نعمه التي لا تحصي جملة ولا تعد تفصيلا (وأشهد) أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إله لم يزل على كل شيء وكيلا (وأشهد) أن محمدا عبده ورسوله المنزل عليه يا أيها المزمل قم الليل الا قليلا صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه بكرة وأصيلا (فى قول الله عز وجل قل أؤ نبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وازواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد) ذكر الله تعالى أصناف الاموال المحبوبة فى الدنيا بقوله تعالي زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث الآية ثم قال قل اؤ نبئكم أى قل يا محمد هل أخبركم بما هو خير من هذه الشهوات الفانية وهو ما وعد الله تعالى للمتقين من النعم الباقية جنات تجري من تحتها الانهار والجنات ثمان دار الجلال ودار السلام وجنة المأوى

ودار الخلد وجنة النعيم ودار القرار وجنة عدن وجنة الفردوس * روى ان فى الجنة مائة درجة بين كل درجتين كما بين السماء والارض وذكر الله تعالى فى سورة الرحمن أربع جنات فقال ولمن خاف مقام ربه جنتان ثم قال ومن دونهما جنتان (وفى الحديث الصحيح) مثله وهو قوله صلى الله عليه وسلم جنتان من ذهب آنيتهما ومافيهما وجنتان من فضة آنيتهما ومافيهما ولا تناقض بين هذه الاعداد فان منزل كل مؤمن جنة له فيها جنات كثيرة وكل طبقة من هذه الطبقات جنة وكل ماتقارب شبهه فى مساكنه واهله سمى جنة بمفرده وقد ورد فى موضع وجنة عرضها كعرض السموات والارض وفي موضع جنات بالجمع (وفي الصحيح) عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ قال الله عز وجل أعددت لعبادي الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر اقرؤا إن شئتم فلا تعلم نفس ماأخفي لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون وفي الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها اقرؤا ان شئتم وظل ممدود وموضع سوط فى الجنة خير من الدنيا ومافيها اقرؤا ان شئتم فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور * وروي مسلم عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ ان أول زمرة تدخل الجنة من أمتي على صورة القمر ليلة البدر ثم الذين يلونهم على أشد نجم فى السماء اضاءة ثم هم بعد ذلك منازل لا يتغوطون ولا يبولون ولا يتمخطون ولا يبصقون امشاطهم الذهب ومجامرهم الالوة ورشحهم المسك اخلاقهم على خلق رجل واحد على طول أبيهم آدم ستون ذراعا وعن أبى سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل يقول لأهل الجنة ياأهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك والخير فى يديك فيقول هل رضيتم فيقولون ومالنا لانرضي يارب وقد اعطيتنا مالم تعط أحدا من خلقك فيقول الا اعطيكم افضل من ذلك فيقولون يارب وأى شيء افضل من ذلك فيقول أحل عليكم رضوانى فلا اسخط عليكم بعده أبدا ويؤيد هذا قوله تعالى ورضوان من الله أكبر * وعن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل أهل الجنة فيها ويشربون ولا يتغوطون ولا يبولون ولا يتمخطون ولكن طعامهم رشح كرشح المسك يلهمون التسبيح والحمد

كما يلهمون النفس * وعن أبي موسى ان رسول الله ﷺ قال ان فى الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة عرضها ستون ميلا فى كل زاوية منها أهلون ما يرون الآخرين يطوف عليهم المؤمن * وعن أنس أن رسول الله ﷺ قال ان فى الجنة لسوقا يأتونها فى كل جمعة فتهب ريح الشمال فتحثو فى وجوههم وثيابهم فيزدادون حسنا وجمالا فيرجعون الى أهليهم وقد ازدادوا حسنا وجمالا فيقول لهم أهلوهم والله لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا فيقولون وأنتم والله لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا وقال أبو هريرة انهار الجنة تتفجر من تحت جبال المسك * وروي ان أدني لؤلؤة فى الجنة تضيء ما بين المشرق والمغرب * وروي زيد بن أرقم عن رسول الله ﷺ قال والذى نفسي بيده ان أحدهم ليعطى قوة مائة رجل فى المطعم والمشرب والجماع وقال ابن عمر فى قول الله عز وجل يطاف عليهم بصحاف من ذهب قال يطاف علي كل مؤمن بسبعين ألف صحفة من ذهب كل صحفة فيها لون من الطعام ليس فى الأخرى وقال ابن مسعود فى قوله تعالى ومزاجه من تسنيم قال عين تتنسم أى تجرى صاعدة فى العلو يمزج فيها شراب أهل اليمين ويشرب بها المقربون صرفا (وفي الصحيح) لوان امرأة من نساء الجنة اطلعت الي الارض لاضاءت ما بينها وقال ابن عمر ان أدنى أهل الجنة منزلة من يخدمه ألف خادم كل واحد على عمل ما عليه الآخر * وروي ان سوق الجنة فيه مجتمع من الحور فمن اشتهي زيادة ذهب فاخذ ما شاء * وروى ان الرجل فى الجنة اذا اشتاق الى أحد من إخوانه الذين كان يحبهم فى الدنيا فى الله تعالي سار سريره حتى ينتهى الى سرير الآخر فيتحدثان ويتذاكران ما كان بينهما من الصحبة فى الله تعالى ثم يسير سريره الي مكانه وقرأ على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا فقال اذا انتهوا الي أبوابها وجدوا عند كل باب شجرة يخرج من تحتها عينان تجريان فيشربون من إحداهما فيذهب الله عنهم كل بأس وداء وغل ويتطهرون من الأخرى فتجري عليهم نضرة النعيم ثم يتقدمون الى الأبواب فتقول لهم الملائكة سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وتتلقاهم الولدان فرحين ثم يذهبون الولدان فيبشرون الحور العين فتفرح كل حوراء بزوجها حتى انهن ليقفن على أبواب القصور منتظرات للمؤمنين فاذا دخل الرجل الى منزله رأى

أساس بنيانه جنادل اللؤلؤ فوقه حيطان من ذهب وفضة فاذا دخل وجد أزواجا مطهرة وأكوابا موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة فيتكىء حينئذ ويقول الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله فاذا التقى كل زوج مع زوجته ناداهم مناد يا أهل الجنة تحيون فلا تموتون أبدا وتقيمون فلا تظعنون أبدا وتصحون فلا تمرضون أبدا (وقال) الحسن البصري أهل الجنة كلهم أبناء ثلاث وثلاثين سنة بيض كحل جرد مرد قد اطمأنت بهم الدار وطاب لهم القرار وان أنهارها لتجرى على رضراض من ياقوت وزبرجد وترابها الزعفران وطينها المسك الأذفر وان رائحتها لتوجد من مسيرة خمسمائة عام وان لهم فيها لخيلا وأبلا هفافة ورحالها وزمامها وسروجها من ياقوت يتزاورون عليها وأزواجهم من الآدميات المؤمنات ومن الحور العين قد طهرت أخلاق الجميع من كل سوء وطهرت أجسامهم من كل دنس وتغير (وفي الحديث) لا يقطع رجل ثمرة من الجنة فتصل الي فيه حتى يبدل الله تعالي مكانها خيرا منها وثمارها يتناولها القائم والقاعد والمضطجع قال الله تعالى وذللت قطوفها تذليلا متكئين على رفرف خضر وهى المجالس المرتفعة فى الرياض النضرة وعبقرى حسان وهى البسط من الديباج وهى الزرابى أيضا والنمارق الوسائد * وروي ان الملائكة اذا أتوا الي المؤمن وهو فى قصره يقولون لغلمانه نحن رسل الله فاستأذنوا لنا على ولى الله فيدخلون ويسلمون ويناولونه كتابا فيه من الحي الذي لا يموت الى الحى الذى لا يموت عبدى قد اشتقت اليك فزرنى عبدي هل أنت عنى راض فهذا هو الملك الكبير ثم ان لأهل الجنة مع هذا النعيم والملك الدائم المقيم اكمال السرور وتمام الحبور بالنظر الى الله تعالى عيانا من غير شك ولا ريب ولا حجاب ينظرون الى الله تعالى بأعينهم كما أخبر الله تعالي فى كتابه بقوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة أى بهجة مسرورة الى ربها ناظرة ولهذا كانت الاولى بالضاد من النضارة والثانية بالظاء من النظر وقال تحيتهم يوم يلقونه سلام ينظرون الى الله تعالى ويسلم عليهم بكلامه الذى لا يشبه كلام الخلق تعالي ربنا وتقدس عن التشبيه والتكييف ولكن تراه الابصار منزها عن معهود ومألوف ليس كمثله شيء وهو السميع البصير فمن نفى الرؤية فهو معطل ومن شبه فهو مجسم

ومذهب أهل السنة اثبات الرؤية فى الآخرة مع نفى التشبيه وقد وردت الاحاديث الصحيحة بذلك عن رسول الله ﷺ رواها عدد كثير من الصحابة رضى الله تعالى عنهم * روى أبو هريرة وأبو سعيد الخدري ان قوما قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا عز وجل يوم القيامة فقال هل تضارون فى رؤية الشمس فى الظهيرة ليس دونها سحاب هل تضارون فى رؤية القمر ليلة البدر قالوا لا قال ما تضارون في رؤية ربكم يوم القيامة الا كما تضارون فى رؤيتهما وعن صهيب قال قرأ رسول الله ﷺ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة فقال اذا دخل أهل الجنة الجنة نادى مناد ان لكم عند الله عهدا يريد أن ينجزكموه فيقولون ماهو ألم يثقل موازيننا ألم يبيض وجوهنا ألم يدخلنا الجنة ألم يجرنا من النار فيكشف عنهم الحجاب فينظرون الله عز وجل فما من شيء أحب اليهم من النظر اليه ثم ان الله تعالى بين أوصاف سكان أهل هذه الدار فقال تعالى الذين يقولون ربنا اننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار وصفهم بالايمان ثم بالاستغفار من الذنوب ولا يصح الاستغفار الا بالتوبة من الأوزار ثم وصفهم بالخوف من العقاب وأنهم يسألون الله تعالى السلامة من العذاب ثم وصفهم بالصبر والصبر تمام الامر وهو الصبر على المكاره والمصائب رجاء ثواب الله تعالى والصبر عن الشهوات المحرمة خوف عقاب الله تعالى والصبر على ملازمة فرائض الله تعالى قال ﷺ حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات وقال رسول الله ﷺ ألا أخبركم بأهل الجنة قالوا بلى يارسول الله قال كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره ألا أخبركم بأهل النار قالوا بلى قال كل عتل جواظ متكبر * قال يحي بن معاذ ترك الدنيا شديد وفوت الآخرة أشد وترك الدنيا مهر الجنة وقال أيضا فى طلب الدنيا ذل النفوس وفى طلب الآخرة عز النفوس فيا عجبا لمن يختار المذلة في طلب ما يفني على العز في طلب ما يبقى ثم وصفهم بالصدق في معاملة الله تعالى وهو استواء السر والعلانية لله تعالي واخلاص القصد في العمل لوجه الله تعالى رؤية المنة فى الطاعات من الله تعالي ثم وصفهم بالقنوت وهو الخضوع والانقياد لطاعة الله تعالي ثم وصفهم بالانفاق فى أموالهم لطاعة الله تعالى ثم وصفهم بالاستغفار في الاسحار والوقوف على الباب بوصف الافتقار فمن طمع

فى الجنة فليعرض أعماله على أعمالهم وليقايس أحواله بأحوالهم والا كان مغرورا متمنيا قال رسول الله ﷺ الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والفاجر من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني وكان ذو النون المصري يقول يامعشر العلماء طريق الجنة لا تقطع بالكلام وانما تقطع بالسعي والاهتمام فكيف يطمعون بالوصول الي الجنة بالكلام وقال بعضهم لا نعلم شيئا يباع فى الدنيا بالكلام ولاحزمة بقل ويمكن شراء الجنة بالكلام يعني ذكر الله تعالى وتلاوة القرآن والكلام فى الخير وقد ذكر الله تعالى أوصاف أهل الجنة أيضا فى قوله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة الى قوله تعالى وبشر المؤمنين لقد عظم الله تعالي قدرك أيها المؤمن حيث اشتراك مولاك وخالقك وجعل الجنة ثمنك فنعم المشترى الجبار ونعم الدلال المصطفي المختار ونعم الثمن دار القرار ياهذا سلم المبيع فتستحق الثمن ولا تؤخر تسليمه فانه حيوان وربما يتلف قبل التسليم المالك غنى عنك وقد اشتراك لمنفعتك ألا تري أن نفع الشمس والقمر عائد اليك اشتراك مولاك أولا واستولي عليك الشيطان بموافقتك إياه ولا حق للغاصب ليس لعرق ظالم حق اشتراك وهو عالم بعيوبك فلا يردك بالعيب وهو قادر علي اصلاحك بحسن نظره والرفاء يشتري الثياب الممزقة ويقول أنا أصلحها بصنعتى وأستر عيوبها بحسن معرفتي والأمير اذا اشترى ضيعة عمرها بجاهه وانقطعت أطماع الظلمة عنها وقد اشتراك مولاك ولا عيش الا في حماه المنيع ولا عز الا فى حسنه الرفيع كأنه يقول من دعانى أجبته ومن سألني أعطيته ومن أطاعنى شكرته ومن عصانى سترته ومن التجأ الى جبرته ومن استنصر بى نصرته العبد اذا أبق عن باب مولاه لا يستقر قلبه بخدمة سواه فاذا كان المولى قادرا على رده الى الباب وكان عنده من جملة الأحباب رده بألطاف واكرام وجذبه بالاحسان والانعام ياعبدي أنت تتمرعنى وتعرض عن طاعتى وأنا أردتك الى خدمتي وأنت تعرض عن شكرى وأنا أسبغ نعمتى عليك (ورد فى الحديث) أن جابر بن عبد الله اعتل جمله فى بعض أسفاره فاشتراه منه النبي ﷺ وتركه تحت جابر الى المدينة فمن حين اشتراه صار يسبق الركب فلما وصل الى المدينة وفاه الثمن وتركه تحت جابر وما كان قصده بشرائه الا اصلاحه وقد اشتراك مولاك

لاصلاحك فسلم المبيع فسيرجع اليك الكل ان الله لغنى عن العالمين قال الجنيد أخبرهم بأنه اشتراهم ليخرجهم عن التدبير ويكلوا الأمر الى الملك الكبير وقال أبو بكر الوراق اشترى منهم أنفسهم حتى لا يبقى لهم التفات الى أعمالهم وأموالهم وقال أبو عثمان اشتراها حتى لا يبقى لهم ما يتخاصمون عليه فاذا كانت الجنة ثمنا لنفسك ومالك ولم تبذل نفسك فى طاعة الله تعالي ولم تنفق مالك لله تعالى فطلب الثمن مع إمساك المبيع ومنعه لا يصح طلب الجنة بغير عمل أماني وغرور وطلب القرب ممن لا تطيعه تعطيل وفتور فى الجنة عينان تجريان لمن له اليوم عينان تجريان من خشية الله تعالى قاصرات الطرف فى الخيام لمن قصر طرفه عن الآثام رفع الحجاب لمن ترك الاعجاب بساتينها زاهرة لمن له عين ساهرة قصورها عالية وأثمارها غالية ظلها ممدود لمن لا يتعدى الحدود عيشها مقيم لمن يؤمن بالله ويستقيم فنسأل الله تعالى أن يوفقنا لما يحب ويرضي من القول والعمل ويخلصنا من هذا التسويف والفتور والكسل ويؤمن روعتنا يوم التوبيخ والخجل ويعيذنا يوم الفزع الأكبر من خيبة الأمل انه غفور رحيم شكور حليم

الفصل التاسع في الخوف

الحمد لله الذى تفرد بعز كبريائه عن ادراك البصائر وتقدس بوصف علاه عن الاشباه والنظائر وتوحد بكمال جبروته فالعقل فى تعظيمه حائر وتفرد في ملكوته فهو الواحد القاهر الاول قبل كل أول والآخر بعد كل آخر الظاهر بما أبدع من صنعته فدليل وجوده ظاهر الباطن فلا يخفى عليه ماهجس في الضمائر الحى العليم الخبير السميع البصير القادر المتكلم بكلام قديم أزلى هو به ناه وآمر صفات كماله ظاهرة ثابتة بالادلة فمن عطل فهو جاحد ومن شبه فهو جائر كيف تشبه الصنعة بالصانع أو تماثل الفطرة الفاطر زين قلوب العارفين بنور هدايته فاضاءت منها السرائر واختطف هممهم اليه فنسيم توحيده عاطر شمر فى طلب معبودك واحذر فوت مقصودك وبادر تعرض لنفحات جوده وفضله وخف من سطوة قهره وعدله وحاذر فكم آمن تحت عطاء بره فجاءته نفثات مكره فذبل من رياض سروره الغصن الناضر ياخيبة من أبعده مولاه وقطعه ياحسرة من صده عن بابه ومنعه

ياضيعة من أهانه ووضعه ياشقاوة من خذله وصرعه ومن خذله مولاه فليس له ناصر قلب تعزز بغيره ماأذله عبد أعرض عن خدمته ماأضله عمرا نفق في غير طاعته ما اقله من رضى بدونه فهو الخائن الغادر الشقي من حرمه والسعيد من رحمه والطريد من حجبه والقريب من جذبه والنادم من أهانه والسالم من أعانه * وقد علم الولى والعدو والرابح والخاسر فسبحان من أوضح الدلالة وبين وحبب الايمان الي المؤمنين وزين وطبع على قلوب الجاحدين فهم يجادلون فى الحق بعدما تبين جلت عظمته عن الادراك فالوهم حسير قاصر (أحمده) على إحسانه الوارد والصادر واشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له شهادة عبد لاحكامه صابر ولآلائه شاكر واشهد أن محمدا عبده ورسوله اختاره من أطيب العناصر واصطفاه من أنجب العشائر واختصه بأشرف الذخائر وادار على من عاداه أفظع الدوائر صلي الله عليه وعلي آله وأصحابه مادار فلك دائر وسار كوكب في الجو سائر (في قول الله تعالي وأما من خاف مقام ربه ونهي النفس عن الهوي فان الجنة هى المأوى) الخوف من مقام الله وحسابه يدعو الى المواظبة على العمل والعلم لتنال رتبة القرب من الله تعالي والخوف سوط الله تعالى يقوم به الشاردين عن بابه فمن خاف المقام بين يدى ربه يوم العرض ونهى النفس عن هواها وردها عن غيها فان الجنة هى المأوى وينبغى للمؤمن ان يكون كثير الفكر فيما بين يديه من الاهوال كثير المحاسبة لنفسه فى عد نعم الله تعالى وعد جنايات نفسه ليدوم بذلك خوفه فان الخوف اذا فارق القلب خرب والغالب على النفس الفتور والامن والكسل عن الطاعات والميل الى الشهوات ودواء ذلك الخوف فأما من دام عليه الخوف حتي مال الى القنوط والإياس من رحمة الله تعالى فينبغى أن يداوى بالرجاء ويذكر سعة رحمة الله تعالى فمثال الخوف والرجاء كمثال الحرارة والبرودة فمن غلب عليه أحدهما حتى خيف عليه الانحراف والتلف يداوي بالآخر حتي يرجع الى حد الاعتدال (فقد ورد فى الحديث) لووزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا وفائدة الخوف التقوي والورع والمبادرة والاجتهاد فاذا مال الى حد يخرج عن حد الاعتدال وقع فى القنوط وبطل العمل وذهبت فائدة الخوف واذا دخل عليه الرجاء والطمع رده الى التقوى والورع فالمطلوب التقوى وانما

الخوف والرجاء هما طريقان * روى عن رسول الله ﷺ أنه قال اذا جمع الله الاولين والآخرين لميقات يوم معلوم يقول الله تعالى يا أيها الناس اني قد جعلت نسبا وجعلتم نسبا فوضعتم نسبي ورفعتم نسبكم * قلت ان أكرمكم عند الله أتقاكم وأبيتم الا فلان بن فلان وفلان اغنى من فلان فاليوم اضع نسبكم وارفع نسبي أين المتقون فينصب للقوم لواء فيتبعون لواءهم الى منازلهم فيدخلون الجنة بغير حساب (وفي الصحيح) عن رسول الله ﷺ أنه قال سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله امام عادل وشاب نشأ في عبادة الله عز وجل ورجل قلبه معلق بالمسجد اذا خرج منه حتى يعود اليه ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وافترقا عليه ورجل دعته امرأة ذات حسن وجمال فقال انى أخاف الله ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى لا تعلم شماله ما انفقت يمينه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه (وكان) رسول الله ﷺ اذا وقف يصلي بالليل يسمع لدمعه وقع كوكف المطر (وكان) اذا تغيرت الريح تغير وجهه ويتردد خارجا وداخلا خوفا على أمته من عذاب الله تعالى قال رسول الله ﷺ ماجاءني جبريل قط الا وهو يرعد فزعا من الجبار عز وجل ولما مكر بابليس لعنه الله طفق جبرائيل وميكائيل عليهما الصلاة والسلام يبكيان فأوحى الله تعالى اليهما مالكما تبكيان كل هذا البكاء قالا يارب ما نأمن مكرك فقال الله تعالى هكذا كونا لا تأمنا مكري (وكان) ابراهيم الخليل ﷺ يسمع لقلبه أزيز اذا وقف يصلي كحس المرجل وبكى داود عليه الصلاة والسلام أربعين يوما ساجدا لا يرفع رأسه حتى نبت المرعي من دموعه فنودي ياداود أجائع أنت فتطعم أم ظمآن فتسقي أم عار فتكسى فانتحب عند ذلك حتى احترق العشب من حر جوفه (وكان) لا يمد يده الى طعام ولا شراب الا تذكر خطيئته فيبكي حتى يؤتى بالقدح ناقصا فيتمه بالدموع ومارفع رأسه الى السماء حتى مات (وكان) يقول إلهي اذا ذكرت خطيئتي ضاقت على الارض برحبها واذا ذكرت رحمتك ارتدت لي روحي سبحانك اني أتيت اطباء عبادك ليداووني فكلهم دلوني عليك فبؤسا للقانطين من رحمتك الهي أمدعيني بالدموع وضعفي بالقوة حتى ابلغ رضاك عني وذكر ذنبه يوما فوثب صارخا واضعا يده على رأسه حتى لحق بالجبال

فاجتمعت عليه السباع فقال ارجعوا لا أريدكم انما أريد كل بكاء على خطيئته فلا يستقبلني الا بالبكاء ومن لم يكن ذا خطيئة فما يصنع بداود الخاطيء (وكان) يعاتب في بكائه فيقول دعونى أبكى قبل خروج يوم البكاء وقبل انحراق العظام واشتعال الحشا وقبل أن يؤمر بي ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون مايؤمرون ولما طال بكاؤه وضاق ذرعه واشتد غمه قال يارب أما ترحم بكائى فأوحى الله تعالى اليه ياداود نسيت ذنبك وذكرت بكاءك فقال إلهي وسيدى كيف أنسى ذنبي وكنت اذا تلوت الزبور كف الماء الجاري عن جريه وسكن هبوب الريح وأظلتني الطير على رأسى وأنست الوحوش بى إلهى وسيدى كم هذه الوحشة بيني وبينك فأوحي الله تعالى اليه يا داود ذلك أنس الطاعة وهذه وحشة المعصية ان آدم خلق من خلقي خلقته بيدي ونفخت فيه من روحى وأسجدت له ملائكتي وألبسته ثوب كرامتي وتوجته بتاج وقارى وشكا الى الوحدة فزوجته بحواء أمتي وأسكنته جنتي وعصانى فأخرجته من جواري عريانا ذليلا ياداود اسمع مني والحق أقول أطعتنا فأطعناك وعصيتنا فأمهلناك وان عدت على ما كان منك قبلناك * ويروى ان داود عليه الصلاة والسلام كان اذا أراد أن ينوح على ذنبه مكث سبعة أيام لا يأكل ولا يشرب ولا يقرب النساء ثم يخرج له منبر الي البرية ثم يأمر سليمان عليه الصلاة السلام ان ينادى بصوت عال من أراد ان يسمع نوح داود فليأت فتأتى الوحوش من البرارى والآكام وتأتى الهوام من الجبال والطيور من الاوكار وتخرج العذاري من خدورهن وتجتمع الخلائق لذلك اليوم فيأتى داود فيرقي المنبر فيحيط به بنو اسرائيل على طبقاتهم وكل صنف من الخلائق على حدته وسليمان عليه الصلاة والسلام واقف على قدميه عنده فيأخذ داود فى الثناء على الله تعالى فيضجون بالبكاء والصراخ ثم يأخذ فى ذكر الجنة والنار فيموت خلق كثير من الناس والوحوش والهوام والطيور ثم يأخذ فى أهوال القيامة وينوح على نفسه فيموت من كل صنف طائفة عظيمة فاذا رأى سليمان كثرة الموتى قال ياأباه مزقت المستمعين كل ممزق وماتت طائفة من بني اسرائيل ومن الوحوش والطير فيأخذ فى الدعاء حتى يقع مغشيا عليه فيحمل الى منزله وتكثر الجنائز فى الناس فيقال هذا قتيل

ذكر الله وهـذا قتيل خوف الله وهـذا قتيل ذكر الجنة وهـذا قتيل ذكر النار ثم يدخل داود بيت عبادته ويغلق بابه ويقول يا إله داود أغضبان أنت على داود ولا يزال يناجي حتى يأتي سليمان فيستأذن ويدخل ويقدم اليه قرصا من شعير فيقول يا أبت تقو بهـذا على ما تريد فيأكل ماشاء الله تعـالي ثم يخرج الى بنى اسرائيـل وقال يزيد الرقاشى خرج داود عليـه الصلاة والسـلام مرة ينوح على نفسه ومعه أربعون ألفا فمـات منهم ثلاثون ألفا فمـا رجع الا فى عشرة آلاف (وكان) اذا جاءه الخوف سقط واضطرب حتي يقعد انسان على رجليه وآخر على صـدره لئلا تتفرق أعضاؤه ومفاصله وقال عمر بن عبد العزيز دخل يحي بن زكريا عليه الصـلاة والسـلام بيت المقـدس وهو ابن ثمـان سـنين فرأى عباد بني اسرائيـل وقد لبسوا مدارع الصوف والشـعر ونظر الى اجتهادهم وما يصنعون بانفسـهم فهاله ذلك فرجع الى أبويه فسالهما فالبساه مدرعـة من شـعر ولازم بيت المقـدس فـكان يخدمه نهـارا وينقطع فيـه ليلا حتي أتت عليه خمس عشرة سنة فخرج الى البرارى والجبـال والغـدران والشعاب فخرج أبواه فى طلبه فوجـداه على بحيرة الأردن ورجـلاه فى المـاء وقد كاد العطش أن يهلـكه وهو يقول وعزتك وجـلالك لا أذوق بارد الشراب حتى أعلم أين مكانى منك فساله أبواه ان يفطر على قرص شـعير كـان معهما ويشرب المـاء ويرجع معهما ففعل ذلك وكفر عن يمينه فلذلك مدحـه الله تعـالى بالبر فقال وبرا بوالديه فرجع الي بيت المقـدس فكان اذا قام يصـلى يبكى حتي يبكي معه الشجر والمدر ويبكي زكريا لبكائه فمازال يبكي حتي طرق الدمع في خده طريقين فقال له أبوه يا بني سالت ربى أن يهبك لى لتقر عيني بك فمـا هذا البكاء قال يا أبت ان جـبريل أخبرني ان بين الجنة والنار مفازة لا يقطعها الا كل بكاء فقال زكريا فابك يا يحيي * وروى ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام كان كثير البكاء فاتاه جبريل وقال له الجبار يقرئك السـلام ويقول هل رأيت خليـلا يخاف خليـله فقال يا جـبريل اذا ذكرت خطيئتي نسيت خلتي هـذا خوف المرسلين مع عصمتهم من المخالفات وطهارتهم عن الزلات وانمـا كانت خطاياهم نظرة الى مباح أو لفظة فى ظاهرها مكروه وفى باطنها صـلاح ابراهيم عليه الصـلاة والسـلام كسر الاصنام وقال بل فعله كبيرهم هـذا

يعني على زعمكم ليخصم قومه ويظهر الحجة عليهم فى عبادة من لا يقدر على شيء
وقال أيضا اني سقيم أي ما آل الي السقم حتي لا يخرج معهم فى لهوهم وقال في
زوجته سارة هذه أختي يعني فى الاسلام ليخلصها من يد ظالم وليس فى شيء من
هذا إثم فلا وزر وداود عليه الصلاة والسلام نظر الى امرأة جاره أول مرة ثم غض
بصره ولا إثم في ذلك ثم اشتهي أن تكون زوجته فى الحلال فخرج زوجها فى
الغزو فقتل من غير أن يتسبب داود فى قتله بشيء هذا أعظم ماورد فى قصته وما
زاد على هذا فهو باطل وقيل انه ساله أن يطلقها قاله ابن عباس وابن مسعود وقيل
انما كان خاطبا وسأله أن ينزل عن خطبتها وليس فى شيء من هذا إثم وانما كانوا
أعلم بالله وأشد خشية وتعظيما فصارت هذه الأشياء عندهم عظائم لشدة
إجلالهم لله تعالي وتعظيمهم لهيبته وجلاله فلا يغتر الجاهل المسكين بما يسمع من
ذكر معاصى هؤلاء بل ينبغى أن يشتد خوفه ووجله واشفاقه من ذنوبه وينظر شدة
خوفهم مع رفيع مقامهم وخفة هفواتهم فكيف يطمئن قلب من لا يعلم عاقبة أمره
أم كيف يسكن قلق من ضيع فى المخالفات سالف عمره فنسأل الله تعالى أن يتغمدنا
برحمته واحسانه انه هو الغفور الرحيم (في قول الله عزوجل إنما المؤمنون الذين
اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون)
المؤمن حقا من كانت هذه صفاته الوجل عند ذكر الله تعالى والخشوع عند سماع كتاب
الله تعالى والتوكل على الله تعالي ولزوم طاعة الله تعالي والجود بما أعطاه الله تعالى
(وفى الصحيح) عن رسول الله ﷺ انه قال لا يدخل النار من بكي من خشية الله تعالي
حتى يلج اللبن فى الضرع وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تدخل النار عين
غضت عن محارم الله ولا تدخل النار عين بكت من خشية الله قرأ عمر بن الخطاب رضى
الله عنه إذا الشمس كورت فلما بلغ واذا الصحف نشرت خر مغشيا عليه وسمع
مرة أخرى قارئا يقرأ في سورة والطور فوقف فلما بلغ قوله تعالى إن عذاب
ربك لواقع ماله من دافع استند الى حائط ساعة وذهب الى منزله فمرض شهرا
والناس لا يدرون ماسبب مرضه (وكان) سفيان الثورى اذا جلس مع الناس
كأن النار أحاطت به لما يرى من شدة خوفه وجزعه (وقال) فرقد

السنجي دخلت بيت المقدس خمسمائة عذراء من بني اسرائيل لباسهن الصوف فتذكرت ثواب الله تعالى وعقابه فمتن كلهن في يوم واحد وصلى زرارة بن أوفى بالناس صلاة الصبح فقرأ فاذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير فوقع ميتا رحمه الله تعالي ولما نزل قوله تعالى وان جهنم لموعدهم أجمعين صاح سلمان الفارسي صيحة ووضع يده على رأسه وهام على وجه ثلاثة أيام (وكان) عبد الله بن عمرو ابن العاص يقول ابكوا فان لم تبكوا فتباكوا فوالله لو يعلم أحدكم لصرخ حتى ينقطع صوته وصلى حتى ينكسر صلبه * واجتمع أصحاب الحديث يوما على باب الفضيل رحمه الله تعالي فاطلع عليهم من كوة وهو يبكي و يرجف فقال عليكم بالقرآن عليكم بالصلوات وهذا زمان بكاء وتضرع ودعاء كدعاء الغريق هذا زمان إحفظ لسانك واخف مكانك وعالج قلبك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر وهذا أخذه الفضيل من حديث عقبة بن عامر لما ذكر النبي ﷺ اختلاف الزمان فقال ما النجاة يارسول الله قال أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك (وكان) الفضيل يوما يمشي فقيل له الى أين قال لا أدرى وكان والها من الخوف ووقف قوم بعابد يبكي فقالوا له ما يبكيك قال روعة يجدها الخائفون في قلوبهم قالوا وما هي قال روعة النداء بالعرض على الله تعالى (وكان) الخواص يبكي ويقول الهى كبرت وضعف جسمي عن خدمتك فاعتقني * وجاءت مولاة لعمر بن عبد العزيز فقصت عليه انها رأت فى المنام كأن الصراط قد مد على جهنم وهى تزفر على أهلها وذكرت انها رأت رجالا مروا على الصراط فأخذتهم النار قالت ورأيتك ياأمير المؤمنين * وقد جيء بك فوقع مغشيا عليه وبقى زمانا يضطرب وهى تصيح في أذنه رأيتك والله قد نجوت (وكان) طاوس يفرش فراشه و يضطجع عليه فيتقلي كما تتقلى الحبة فى المقلاة ثم يقوم فيطويه ويصلي الى الصبح ويقول طير ذكر جهنم نوم الخائفين (وكان) الحسن البصرى اذا جلس كأنه أسير قدم ليضرب عنقه ومكث أربعين سنة لم يضحك وقال رجل لبعض الصالحين أوصنى قال ياأخى ان استطعت ان تكون كرجل احتوشته السباع والهوام فهو خائف أن يغفل فتفترسه السباع أو تنهشه الهوام فهو خائف حذر وجل القلب فهو فى الخوف فى ليله وان أمن

المغترون وفي الحزن فى نهاره وان فرح البطالون فقال زدني رحمك الله قال يا أخي الظمآن يجزيه من الماء يسيره * وعوتب عطاء في كثرة بكائه فقال اذا ذكرت أهل النار مثلت نفسي بينهم فمالى لا أبكي * وقال أبو طارق شهدت ثلاثين رجلا أتوا الي مجلس الذكر صحاحا فتصدعت قلوبهم من خوف الله تعالى فماتوا كلهم في مجلس واحد (شعر مفرد)

قصوا على حديث من قتل الهوي * ان التأسي روح كل حزين

قال منصور بن عمار دخلت الكوفه فبينما أمشي في ظلمة اذ سمعت بكاء رجل بصوت شجي من داخل الدار وهو يقول إلهي وعزتك وجلالك ما أردت بمعصيتي مخالفتك ولكن عصيتك بجهلي فالآن من ينقذنى من عذابك وبحبل من اعتصم ان قطعت حبلك عني واذنوباه واغوثاه يا الله قال منصور بن عمار فابكانى كلامه فوقفت فقرأت يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون فسمعت للرجل اضطرابا شديدا وصياحا فوقفت حتي انقطع صوته ومضيت فلما أصبحت اتيت الى الدار فوجدت الرجل قدمات والناس فى تجهيزه وعجوز تبكى فسألت عنها فقيل هي أمه فتقدمت اليها وسألتها عن حاله فقالت كان يصوم النهار ويقوم الليل ويكتسب الحلال فيقسم كسبه أثلاثا ثلث يفطر عليه وثلث ينفقه على وثلث يتصدق به فلما كان البارحة مر انسان وهو يقرأ فسمع آية من القرآن ففارق الدنيا * وسمع مرزوق ابن محمد قارئا يقرأ يوم نحشر المتقين الي الرحمن وفدا ونسوق المجرمين الي جهنم وردا فشهق شهقة لحق فيها الآخرة * وقال صالح المرى قدم علينا ابن السماك فقال أرنى بعض عجائب عبادكم فذهبت به الي رجل فى خص فاستأذنا ودخلنا فاذا هو يعمل الخوص فقرأت عليه ألم تر الى الذين يجادلون في آيات الله انى يصرفون الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا فسوف يعلمون اذ الاغلال فى أعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم ثم فى النار يسجرون فشهق الرجل ووقع مغشيا عليه فخرجنا وذهب الى آخر وقرأ عليه الآية فوقع مغشيا عليه ثم جئت به الي ثالث فقال ادخلوا ان لم تشغلونا عن ربنا فدخلنا فقرأت عليه

ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد الآيات فوقع مغشيا عليه فأدرته على ستة رجل كل واحد نخرج ونتركه مغشيا عليه ثم أتينا الي السابع فدخلنا علي شيخ فان وهو في مصلاه فسلمنا فلم يشعر بسلامنا فقلت بصوت عال ان للخلائق غدا مقاما فصاح بين يدي و بقي مبهوتا فاتحا فاه يصيح بصوت ضعيف نخرجنا وتركناه ثم بعد ذلك سألت عن أحوالهم فقيل لي مات منهم ثلاثة و بقي الشيخ علي حاله ثلاثة أيام ثم أفاق وسمع يحيي البكاء رجلا يقرأ ولو ترى اذ وقفوا على ربهم فصاح صيحة مرض منها أربعة اشهر يعاد من أطراف البصرة (واعلم) ان الخائفين على مراتب نخوف العارفين خوف اجلال و تعظيم لما غلب على قلوبهم من ذكر جلال الله تعالى وعظمته من غير فكرة في شيء من أفعاله وهذا خوف الانبياء والملائكة وخواص الاولياء وأما خوف أكثر المؤمنين فيذكروا الوعد والوعيد وأهوال القيامة مع فكرتهم في الجنايات والتفريط واتهامهم لنفوسهم أن يكون فيها من الآفات الباطنة مايربى على المعاصي الظاهرة كالعجب والرياء والحسد والكبر ونحوها واشد مايهيج خوف هؤلاء ويزعج قلوبهم خوف السابقة والخاتمة اذ العبد لا يدرى هل سبق له في علم الله تعالى السعادة أو الشقاوة والخاتمة تجرى على ماجرت به السابقة فمن سبق له في علم الله تعالى السعادة ختم له بخاتمة الايمان ومن سبق له في علم الله تعالى الشقاوة ختم له بخاتمة الخذلان قال الله عزوجل واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وقال رسول الله ﷺ يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا ويمسى مؤمنا ويصبح كافرا وأكثر مايمكر عند الموت بأرباب البدع وأصحاب الآفات الباطنة والظلمة المجاهرين بالمعاصي فمن كان في ظاهره الصلاح ومكر به فلآفات باطنة ذكر ان فتي من أصحاب الفضيل بن عياض مات فرآه الفضيل في المنام فسأله عن حاله فأخبره أنه مكر به ومات يهوديا فقال له لم ذلك قال لاني كنت أظن أني أفضل أصحابك فكنت أتكبر عليهم وكانت بي علة باطنة فوصف لي شرب الخمر فكنت أشرب الخمر في كل سنة قدحا (وحكى) ان رجلين اصطحبا في العبادة زمانا طويلا ثم سافر أحدهما زمانا طويلا فبينما الآخر في غزاة من غزوات المسلمين يقاتلون الروم اذ برز فارس من عسكر الروم فطلب المبارزة فقتل ثلاثة من المسلمين فبرز اليه ذلك العابد وتطاردا فحسر الرومي عن وجهه فاذا هو رفيقه الذي كان معه

فى العبادة فقال يافلان ماهـذا الخبر فقال ان الأ بعـد ارتدعن الاسلام وتزوج من الروم وصارله فيهم مال وأولاد فسأله أن يرجع الى الاسلام فأبي فقال له يافلان كنت تقرأ القرآن كثيرا قال لاأذكر اليوم منه حرفاواحـدا فقال له انصرف فقد قتلت ثلاثة فانصرف المرتد فتبعه العابد فقتله فبعد تلك المجاهدات والعبادات قتل على غير الاسلام فكم من مغبوط فى أحواله انعكس عليـه الحال ورمى بمقارنة قبح الأعمال فبدل بالانس وحشة وطردا وبالقرب غيبة وبعـدا كما قيل (شعر)

أحسنت ظنك بالأيام اذحسنت * ولم تخف سوء مايأتي به القدر
وسالمتـك الليالى فاغـتررت بها * وعند صفو الليالى يحدث الكدر

وخرج عيسى عليه الصلاة والسلام يوما ومعـه عابدمن عباد بنى اسرائيل فتبعهما رجل عاص فمقته العابد وقال اللهم لاتجمع بيني وبين هذا العاصي فقال العاصي اللهم اغفرلى فأوحي الله تعالى الي عيسى عليه الصلاة والسلام قداستجبت دعاءهما فرددت الصالح وغفرت للمحروم . وقال سهل بن عبـدالله خوف الصديقين خوف سوء الخاتمة عند كل خطرة وحركة (وكان) سفيان الثورى كثير البكاء والجزع فقيل له ياأبا عبـدالله عليك بالرجاء فان عفو الله أعظم من ذنوبك فقال أوعلى ذنوبى أبكي لوعلمت أنى أموت على التوحيد لم أبال بمثل الجبال من الخطايا ومرض بعض العارفين فقال لبعض اخوانه اقعد عند رأسى حتي أموت فان مت على التوحيد فاشتر بجميع ماأملكه لوزا وسكرا وفرقه على صبيان البلد وقل هذا عرس فلان وان لم يكن كذلك فأعلم الناس حتى لايغتروا بجنازتى فقعد عنـد رأسه حتي مات على الايمـان فاشتري اللوز والسكر وفرقه على صبيان البلد هذا خاف فسلم ومن لم يخف من سلب الايمان فهو على خطر (شكا) نبي من أنبياء الله تعـالى الجوع والفقر فأوحي الله تعـالى اليه عبـدي أما رضيت ان عصمت قلبك من أن تكفر بي حتى تسألنى الدنيا فأخذ التراب ووضعه على رأسه وقال بلى يارب قد رضيت ويقال فى قول الله تعالي أخبارا عن أهل الجنة انا كنا قبل في أهلنا مشفقين أى كنا ونحن فى الدنيا بين أهلينا خائفين من سوء الخاتمة فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم أى من علينا وتوفانا على الايمـان * وكان على بن أبى النجم يبـكى ويقول إلهي إن

ابتليتنى بكل معصية فلا تبتلينى بأن أجحدك فتخلدني فى النار * وكان حبيب العجمى يبكى ويقول من ختم له بلا اله الا الله دخل الجنة ثم يبكى ويقول ومن لى بأن يختم لى بلا اله الا الله . وقال حامد اذا صعدت الملائكة بروح المؤمن تقول الملائكة كيف سلم هذا من دار فتن فيها خيارنا * وقال سفيان الثورى رأيت رجلا متعلقا بأستار الكعبة وهو يقول اللهم سلم سلم فقلت له يا أخى ماقضيتك قال كنا أربعة اخوة مسلمين فتوفى منا ثلاثة كل واحد يفتن عند موته ولم يبق الا أنا فما أدرى بم يختم لي . وتاب رجل نباش فسئل عن سبب توبته قال رأيت سبعين رجلا في قبورهم قد حولوا عن القبلة * وقال الحسن دخل بعض الفقراء الى بلاد الروم فرأى جارية فافتتن بها فخطبها فأبوا أن يزوجوه حتى يتنصر فاجابهم الي ذلك فاحضروا له القسيسين وتنصر فخرجت الجارية وبصقت فى وجهه وقالت ياويحك تركت دين الحق لشهوة فكيف لا أترك أنا دين الباطل للنعيم المقيم الأبدي أنا أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وأتي بعض الصالحين بطبيب نصراني فى مرضه فصاح أخرجوه عنى ثم قال إلهى وعزتك لو صببت على كل بلاء في الدنيا لم أبال بعد أن لا تعذبني بالكفر من سلمت خاتمته ختمت سلامته وتمت كرامته ماأتم الرجال بخواتم الآجال صغار الخدود من حذار الصدود والدموع والسواكب من خوف العواقب شعر

منقطع عنك كان متصلا ونازح بالفناء قارتحلا

يا أيها المغرور باحواله المعجب باعماله على يد أى نقيب عرضت وفي أي الدواوين رسمت وبأى النداء نوديت فمن كان حاله مبهما عنه فأولى به الخوف والوجل والحياء والخجل * وكان يحيى بن معاذ يبكي ويقول الهي ليس يبكيني اليوم ذنب وان عظم وانما يبكيني حالتي التى لا أدرى كيف أنا بها عندك الهي العياذ بذكرك من مكرك والاستعانة على قدرك بقدرك لا تبل قلبي بالفراق فانه يارب أضعف من بلي بفراق اللهم اجعل الايمان لنا سراجا ولا تجعله لنا استدراجا اجعله لنا سلما الى جنتك ولا تجعله مكرا الى مشيئتك انك أنت الحليم الغفور وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الفصل العاشر في الرجاء

الحمدلله الذي دلت بدائع صنعته وعجائب مملكته على انفراده بالايجاد والانشاء وذلت لعظمة هيبته وقهر سطوته رقاب العظماء وكلت عن حقيقة معرفته وكمال صمديته أفهام العقلاء وجلت صفات ربوبيته ونعوت وحدانيته فلاتحصيها بلاغة الفصحاء الاول بالقدم قبل ابتداءجميع الاشياء الآخر بالعز والملك والبقاء الظاهر بالاختراع والابتداع والقهر والكبرياء الباطن عن الاحاطة فالافهام عاجزة عن ادراك الجلال والالسنة قاصرة عن حقيقة الثناء القدوس الغني عن جميع خلقه فلم يزل غنيا قبل وجود العرش والكرسي والماء والهواء والسماء الواحد الاحد القيوم الصمد الحى المنزه عن مشابهة الاحياء العليم السميع البصير فلا يخفي عليه مايختلج في الضمير عند تنفس الصعداء القادر على رد الشاردين ووصل المنقطعين وتقريب البعداء بمشيئته الضر والنفع والبلاء والدفع والخفض والرفع فكل يجري على سابق القضاء المتكلم بكلام قديم ازلى جل عن التشبيه والتكييف والانتهاء قصرت بصائر أهل التشبيه عن معرفة التنزيه فخاضوا فى البدع والاهواء وعميت ابصار المعطلين عن الاستضاءة بنورالله تعالى فتاهوا فى الظلماء فسبحان من أوضح ادلة وجوده وخص المحققين بكشف الغطاء وأكمل لهم المنة بما أولاهم من كريم العطاء وفتح باب جوده للقاصدين وبسط بساط الرجاء ومهد المؤمنين من احسانه مهادا وأوسع الارجاء وشرح لقبول أمره والاقبال علي ذكره صدور السعداء ووفق العاملين لخدمته ووعدهم بجزيل الجزاء فتلذذوا بمناجاته لما علموا أنه قريب سميع الدعاء (أحمده) على ماأولانا من الفضل والطول والآلاء (واشهد) أن لا إله إلاالله وحده لاشريك له شهادة ادخرها عنده ليوم اللقاء (واشهد) أن محمداعبده ورسوله خاتم الرسل والانبياء وسيد النجباء والاولياء والاصفياء صلي الله عليه وعلى آله وأصحابه أهل الصدق والوفاء صلاة دائمة ماتبسم فجر فاتحف الجو بالضياء وتصرم هجر فطاب الود بالصفاء (فى قول الله عزوجل قل ياعبادى الذين اسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم) سبب نزول هذه الآية ان قوما قالوا

بارسول الله يغفر لنار بنا ان اسلمنا على ما كان منا من الكفر والقتل وغيره فنزلت قال ثوبان لما نزلت قال ﷺ ما احب ان لي الدنيا ومافيها بهذه الآية ومعني الآية ان الله يغفر الذنوب جميعا لمن تاب قال علي بن أبي طالب رضى الله عنه هى ارجي آية فى القرآن وقيل ارجي آية ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء وقيل ارجي آية ومن يعمل سوأ أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما وقال زين العابدين أرجي آية ولسوف يعطيك ربك فترضي فان محمدا لا يرضي وواحد من أمته في النار وآيات الرجاء فى القرآن كثيرة وقد ذم الله تعالى من انقطع رجاؤه من فضل الله تعالى فقال تعالى إنه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون والرجاء حسن الظن بالله تعالى في قبول طاعة وفقت لها أو مغفرة سيئة تبت منها فاما الطمأنينة مع ترك الطاعات والاصرار على المخالفات فأمن وغرور وقد نهى الله تعالى عنه بقوله تعالى ولا يغرنكم بالله الغرور يعنى الشيطان فانه يحسن لك المعاصي وربما يحرك الى ذلك برجاء عفو الله تعالى وكرمه وقد وصف الله تعالى الراجين فقال ان الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور * وروى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ والذي نفسى بيده لولم تذنبوا وتستغفروا الذهب الله بكم وجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر الله لهم وعنه قال قال رسول الله ﷺ ان لله مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والانس والبهائم والهوام فبها يتعاطفون وبها يتراحمون وبها تعطف الوحوش علي ولدها وأخر تسعة وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة (وعن) عمر ابن الخطاب رضى الله تعالى عنه قال قدم على رسول الله ﷺ بسبي فاذا امرأة من السبي تبتغي اذ وجدت صبيا في السبي أخذته فألصقته ببطنها فأرضعته فقال لنا رسول الله ﷺ أترون هذه المرأة طارحة ولدها فى النار قلنا لا والله وهي تقدر على ان لا تطرحه فقال رسول الله ﷺ لله ارحم بعباده من هذه بولدها (وعن) أبي هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال كان رجل لم يعمل حسنة قط اذ قال لاهله اذا مت فاحرقونى ثم اذروا نصفى في البر ونصفى في البحر فوالله لئن قدر الله على ليعذبني عذابا لا يعذبه أحدا من العالمين فلما مات فعلوا به

كما أمرهم به فأمر الله تعالي البر فجمع مافيه وأمر البحر فجمع مافيه ثم قال له لم فعلت هذا بنفسك فقال من خشيتك يارب وأنت أعلم فغفر الله تعالى له * وعن أبى امامة ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله اني قد أصبت حدا فأقمه على فسكت عنه فأعاد الكلام ثلاثا وأقيمت الصلاة فصلي النبي صلى الله عليه وسلم بالناس ثم انصرف فتبعه الرجل وأعاد الكلام فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أرايت حين خرجت من بيتك أليس قد توضأت فأحسنت الوضوء فقال بلى يارسول الله قال ثم شهدت الصلاة معنا قال نعم يارسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الله تعالى قد غفر لك حدك أو قال ذنبك * وعن أبى موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة دفع الله الي كل مسلم يهوديا أو نصرانيا فيقول هذا فداؤك من النار * وفى الصحيح يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدى بى وأوحي الله تعالي الي داود عليه الصلاة والسلام أحببنى وأحب من يحبنى وحببنى الي خلقي قال يارب وكيف أحببك الى خلقك قال أذكرنى بالحسن الجميل وأذكر آلائى واحسانى وذكرهم ذلك فانهم لا يعرفون منى الا الجميل (وكان) أبو عثمان يتكلم فى الرجاء كثيرا فرؤي بعد موته فى المنام فقيل له كيف كان قدومك على الله تعالى فقال أوقفني بين يديه وقال ما الذى حملك على ما فعلت فقلت أردت أن أحببك الى خلقك فقال قد غفرت لك ذنبك * وروي ان رجلا من بني اسرائيل كان يقنط الناس ويشدد عليهم فيقول الله تعالى له يوم القيامة اليوم أيئسك من رحمتي كما كنت تقنط عبيدى منها * وروي أن رجلين يوم القيامة يخرجان من النار فيقول الله تبارك وتعالى لهما كيف وجدتما مقيلكما وسوء مصيركما فيقولان شر مقيل وأسوأ مصير فيقول الله تبارك وتعالي ذلك بما قدمت أيديكما وما أنا بظلام للعبيد فيأمر بردهما الى النار فأما أحدهما فيبادر اليها وأما الآخر فيتوقف فيقول الله تعالى للذي بادر ما حملك على ماصنعت فيقول عصيتك فى الدنيا أفأعصيك في الآخرة ويقول للذى توقف ما حملك على ماصنعت فيقول حسن ظنى بك يارب حين أخرجتني منها أن لا تعيدنى اليها فيرحمهما ويأمر بهما الى الجنة * وفى الصحيح ان رسول الله صلي الله عليه وسلم سأل الله عز وجل فى أمر أمته وبكي فقال الله عز وجل ياجبريل اذهب الى محمد وقل له انا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك * وقال ابراهيم بن أدهم

خلا لى المطاف ليلة فصرت أطوف بالبيت وأقول اللهم أعصمنى فهتف بي هاتف وقال يا ابراهيم كلكم تسألون الله تعالى العصمة فاذا عصمكم فعلى من يتكرم * وروى ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال والذى نفس محمد بيده ليغفرن الله تعالى يوم القيامة مغفرة ما خطرت على قلب بشر والذى نفسي بيده ليغفرن الله يوم القيامة مغفرة يتطاول لها ابليس رجاء ان تناله * وقال أبو يعقوب القاري رأيت فى المنام أويسا القرنى فقلت أوصنى فقال ابتغ رحمة الله عند محبته واحذر نقمته عند معصيته ولا تقطع رجاءك منه فى خلال ذلك * وقال مالك بن دينار رأيت مسلم بن يسار بعد موته فى المنام فقلت له مالقيت بعد الموت فقال لقيت والله أهوالا وزلازل عظاما شدادا قلت فماذا كان بعد ذلك قال ما تراه يكون من الكريم الا الكرم قبل منا الحسنات وعفا عنا السيئات وضمن عنا التبعات قال ثم شهق مالك شهقة ووقع مغشيا عليه ثم مات بعد ذلك بأيام وكانوا يرون ان قلبه قد انصدع ورؤي بعضهم فى المنام فقيل له بماذا قدمت على الله قال بذنوب كثيرة محاها عنى حسن الظن بالله تعالي ونظر الفضيل الى الناس يوم عرفة وهم واقفون يبكون ويتضرعون فقال لرجل الي جانبه أرأيت لو أن هؤلاء كلهم واقفون على باب رجل من الاغنياء يطلبون دانقا أكان يردهم فقال لا قال فان المغفرة عند الله تعالي أهون من دانق عند أحدكم ويروى أن الله عز وجل أوحى الى بعض الأنبياء بعيني ما يتجمل المتجملون من أجلي وما يكابد المكابدون في طلب مرضاتى أتراني أنسى لهم عملا وأنا الرحيم بخلقي ولو كنت معاجلا بالعقوبة أحدا لعاجلت بها القانطين من رحمتي ولو يرى عبادى المؤمنون كيف استوهبهم ممن ظلموه ثم أحكم لمن وهبهم بالخلد المقيم فى جوارى اذا ما اتهموا فضلي وكرمى * وقال بن مسعود يقول الله تعالى يا عبدي لم تقنط من رحمتي أليس أنا الذي أظهرتك ولأماني طوقتك مالك تتجاهل على كأنك ماعرفتني وتتنحى كأنك ما وافقتنى عبدي ان استقلتنا أقلناك وان تبت الينا قبلناك وان عزمت على قصدنا أدنيناك وان اضطرب دليلك أريناك وان عاديت نفسك فى حب ودنا واليناك وان بكيت لعوز دوائك داويناك وان بكيت لضرك شيفناك وان بكيت خشية أحضرناك وان بكيت خوفا أمناك وان بكيت أسفا على مافاتك

من حقوقنا عوضناك لا تقنطوا من رحمتي هل رأيتم من انقطع الى ذل هل رأيتم من احتمى من أجلي إعتل هل رأيتم من تنسم رياض قربى اختل هل رأيتم من رأى أعلام نصرتي إنفل هل رأيتم من وجد حلاوة ذكري إنسل كانه سبحانه و تعالي يقول ياعبدي لا تقنط فانك ان كنت بالغدر موصوف فأنا بالجود معروف وان كنت ذا خطايا فانا ذو عطايا وان كنت ذا جفاء فانا ذو وفاء وان كنت ذا إساءة فانا ذو إناة وان كنت ذا غفلة وسهوة فانا ذو عفو ورحمة وان كنت ذا خشية وإنابة فانا ذو قبول وإجابة لا تقنط من رحمة من جاد بالمغفرة على الألوف من السحرة وجعلهم من البررة كان بعض الصالحين يتعلق باستار الكعبة ويقول ههنا وعدتني والى هنا دعوتني أفتدخلني النار و توحيدك في قلبي ما أظنك تفعل وان فعلت فلا تجمع بيني و بين قوم قدعاديتهم فيك ونظر اعرابي الى الناس بالموقف فانشد يقول (شعر)

برزوا لوجهك يا كريم بدعوة * ألفاظها شتي بمعني مفرد

يصفون بحرك ياعزيز وما عسى * أن يبلغوا منه بوصف مجهد

فاسمح بمغفرة تكون لسفرنا * زادا اليك غداة يوم المشهد

وأتي آخر الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله قلت فسمعنا و بلغت عن ربك فقبلنا و كان فيما بلغت عن ربك انه قال ولو انهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما وها نحن قد ظلمنا أنفسنا وقد جئناك مستغفرين فاستغفر لنا * وقال فتح الموصلي لقد كثرت خطاياى وكبرت حتي لقد آيستني من عظيم عفو الله عز وجل ثم قال وأنا آيس منك وأنت ولي كل خير ونعمة وأنا آيس منك وأنت المؤمل لكل فضل ومعروف وأنا آيس منك وأنت المغيث عند كل كرب فلم يزل يقول وأنا آيس منك حتي سقط مغشيا عليه

الفصل الحادى عشر في التوبة

الحمد لله الغفور الودود الكريم المقصود الملك المعبود القديم الوجود العميم الجود المتعالى عن الامثال والاشكال والجهات والحدود الحى العليم السميع البصير فلا يخفي عليه دبيب النملة السوداء فى الليالى السود ويسمع حس الدود فى خلال العود ويري جريان الماء فى باطن الجلمود وتردد الأنفاس فى الهبوط والصعود القادر فسواه

فهو بقدرته موجود بمشيئته تصاريف الأقدار وبقسمته الادبار والسعود المتكلم بكلام قديم أزلي غير متناه ولا محدود فصفاته قديمة ثابتة بالنقل والعقل فمن عطل وقع في الجحود وتنزيهه عن الاشباه معلوم فالتشبيه مذهب اليهود كف الكيف مشلولة وباب التشبيه مسدود ودليل العقل مقبول وتخييل الوهم مردود والمتبع مقرب والمبتدع مطرود والحق غني عن العباد فلا ينفعه المطيع ولا يضره الكنود وأباد بسطوته قوم نوح وأهلك عاد وقوم هود وأعاد من بعد عاد دائرة السوء على ثمود وسلط ضعيف البعوض بقدرته على نمرود وأغرق فرعون وقومه لما تلاطمت عليهم أمواج الصدود وأعمي بصائر الجاحدين ففي أعناقهم أغلال وفي أرجلهم قيود فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤوسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود وشرح لقبول الحق صدور السعداء فلم يضرهم كيد العدو والحسود لا يسود سعى ابليس في طرد آدم فكان هو المطرود وخادعه باظهار النصيحة فزين له الخلود لكنه كان حاسدا والحسود لا يسود وكم من جد طلب القرب وبذل المجهود ولكن صاحب الجد اذا لم يساعده الحظ فهو مجدود فسبحان من قرب وأقصى وعلم وأحصى وهو الشاهد وكل ما سواه مشهود وأحمده وهو المشكور المحمود وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة يفوز قائلها في اليوم الموعود وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صاحب اللواء المعقود والحوض المورود صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الركع السجود صلاة دائمة باقية الى يوم الورود في قوله تعالى وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون وقال تعالي يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفر عنكم سيآتكم أمر الله تعالى عباده بالتوبة في آيتين فقال تعالي وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا ووعد بقبول التوبة في آيتين فقال تعالى ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وقال تعالى وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفوا عن السيآت ووعد بالمغفرة للتائب في آيتين فقال تعالى واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدي وقال تعالى غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول وقد ذكر التائبين فقال تعالي ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين وقال تعالى التائبون العابدون

والآيات فى ذكر التوبة كثيرة (وفى صحيح) مسلم عن الاعرج المدني عن رسول الله صلي الله عليه وسلم أنه قال يا أيها الناس توبوا الى الله فاني أتوب الى الله فى اليوم مائة مرة * وعن أبي هريرة رضي الله تعالي عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه (وللبخارى) عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت قال رسول الله صلي الله عليه وسلم ان العبد اذا اعترف بذنبه ثم تاب الى الله تاب الله عليه (وفي) الصحيح عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال التائب من الذنب كمن لا ذنب له واذا أحب الله عبدا لم يضره ذنب ثم تلا قوله تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين قيل يا رسول الله وما علامة التوبة قال الندامة (وعن) أنس أيضا أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال مامن شيء أحب الى الله من شاب تائب ويقال ان الله تعالى يقول فى بعض كتبه يا ابن آدم عليك الجهد وعلى الوفاء وعليك الصبر وعلى الجزاء وعليك السؤال وعلى العطاء وعليك الاملاء وعلى الكتابة وعليك الدعاء وعلى الاجابة وعليك الشكر وعلى الزيادة وعليك التوبة وعلى القبول (وفى الحديث) ان الله تعالي يقول اذا تاب عبدى أنسيت جوارحه عمله وأنسيت البقاع وأنسيت حافظيه حتى لا يشهدوا عليه يوم القيامة * وعن الحسن البصرى رحمه الله تعالى قال لما تاب الله على آدم عليه الصلاة والسلام هبط جبريل عليه الصلاة والسلام وكذلك ميكائيل ودرديائيل وقالوا يا آدم قرت عيناك بتوبة الله تعالى عليك فقال آدم يا جبرائيل فان كان بعد هذه التوبة السؤال فاين مقامي فأوحى الله تعالي اليه يا آدم ورثت ذريتك التعب والنصب وورثتهم التوبة من دعاني منهم بدعوتك تبت عليه كما تبت عليك ومن سالنى المغفرة لم أبخل عليه كما لم أبخل عليك لأنى قريب مجيب يا آدم احشر التائبين من القبور مستبشرين ضاحكين ودعاؤهم مستجاب * وروي أن آدم عليه الصلاة والسلام لما أكل من الشجرة ونزع عنه لباس الجنة ولى هاربا وجعل يستتر بورق الجنة فناداه ربه أفرارا مني يا آدم قال بل حياء منك يارب فقال الله تعالى أما خلقتك بيدى أما أسجدت لك ملائكتى أما نفخت فيك من روحي أما أسكنتك جنتي فى جواري فلم عصيتني أخرج من جوارى فلا يجاورنى من عصاني فقال آدم

سبحانك اللهم و بحمدك لا إله إلا أنت عملت سوأ وظلمت نفسي فاغفر لي فانك خير الغافرين سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا انت رب عملت سوأ وظلمت نفسى فارحمنى انك انت أرحم الراحين سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا انت رب ظلمت نفسى وعملت سوأ فتب على انك انت التواب الرحيم فهذه الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه قاله مجاهد وقال الحسن الكلمات قوله تعالي ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وقال ابن عباس وقتادة الكلمات أنه قال أي رب اتتوب على ان تبت فقال تعالي نعم فتاب فتاب الله عليه وقال جماعة من أهل النقل الكلمات أنه قال اللهم بحرمة محمد اغفرلى فغفرله ولا تناقض بين هذه الاقوال فانه يجوز أن يكون قال ذلك كله فتاب الله عليه * وذكر أن بعض الرجال عبد الله تعالى عشرين سنة ثم خلط عشرين سنة ثم نظر فى المرآة فرأى الشيب في لحيته فاحزنه ذلك * وقال يارب إن تبت اليك أتقبلنى فسمع هاتفا يقول يافلان اطعتنا فشكرناك ثم تركتنا فامهلناك ثم ان عدت الينا قبلناك فعاد الى التوبة والانابة * وقال ذوالنون المصرى بينما انا أطوف بالبيت اذ رأيت شابا عليه جبة صوف وهو يتبختر و يقول إلهى هذه خطوة من افتخر بغيرك و تعزز بسواك فكيف يكون خطوة من ليس له محبوب سواك فقلت له حبيبي ما الخبر فقال ياعم انظر الى ذلك الشاب يتبختر عجبا لانه عبد أمير مكة قال ذوالنون فتقدمت فاذا شاب يسحب إزاره على الارض عجبا فقلت له يافتي أنت تتبختر لانك عبد أمير مكة وهذا الفقير خلفك وهو عبد ملك السموات والارض تأخر حتي يتقدم فهو أحق بالتبختر منك فرأيت الشاب قد تأخر و تغير لونه وقال للفقير تقدم فانت والله أحق مني طوبي لمن كان مثلك ثم قضى طوافه ومضى وهو منكس الرأس وقد عملت فيه الكلمات فرجع الى سيده فاشترى منه نفسه وتصدق بكل مايملكه ولبس جبة صوف واقبل الي البيت فى اليوم الثالث فلقيني فقال لى ياشيخ أترى الله تعالي يقبلني بعد تلك الذنوب العظام فقلت له أبشر ياحبيبي فانت حبيب الله اما علمت أنه يدعو المدبرين عنه فكيف بالمقبلين فاخلص النية فانه يقبلك على ما كان منك فقال ياعم طيبت قلبي بعد ان كاد يتصدع فجزاك الله من واعظ خيرا ثم مضي فلما كان فى اليوم السابع أتانى انسان * وقال

لى يا شيخ عظم الله اجرك في الشاب التائب فانه قدمات فقلت له الا ترنيه فاتي بى فوجدته مسجي ووجهه كدائرة القمر فسألت عن حاله فقيل لى أنه قد دخل فى هذا المكان وغل يده الي عنقه ولزم المحراب يبكى على نفسه فلما كان اليوم وجدناه ميتا قال ذوالنون فشهدت جنازته فلم يبق بمكة الا القليل حتي حضروا جنازته فرأيته في تلك الليلة فى المنام وهو يتبختر و يقول شتان مابين الخطوتين فقلت حبيبي مافعل الله بك فقرأ ان المتقين في جنات و نهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر وقال ذو النون حقيقة التوبة ان تضيق عليك الارض بما رحبت حتي لا يكون لك قرار و تضيق عليك نفسك قال الله تعالى فى كعب ابن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن امية حين تخلفوا عن غزوة تبوك فهجرهم النبي صلي الله عليه وسلم والمسلمون خمسين صباحا ثم جاءت توبتهم وعلي الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم الآية فالتائب دائم التأسف كثير التلهف يعرف من بين امثاله بذبوله و يستدل على حاله بنحوله وقال الجنيد التوبة على ثلاثة اركان الندم على مافات والعزم على ترك المعاودة والسعى في تلافى ما يمكن تلافيه من حقوق الله تعالى المفروضة وحقوق الناس فان لم يمكن فالعزم علي الوفاء والدعاء للخصوم (واوحى) الله تعالى الى داود عليه الصلاة والسلام ياداود انين المذنبين احب الى من صراخ العابدين وقال رجل لرابعة انى كثير الذنوب فان تبت فهل يتوب الله على قالت لا بل ان تاب عليك تبت وقال يحي بن معاذ ذنب واحد بعد التوبة اقبح من سبعين قبلها واصل التوبة في اللغة الرجوع يقال تاب واناب بمعنى رجع فالتوبة الرجوع من الاوصاف المذمومة الى الاوصاف المحمودة و يقال من رجع عن المخالفات خوفا من عذاب الله تعالي فهو تائب ومن رجع حياء من نظر الله تعالي فهو منيب ومن رجع تعظيما لجلال الله فهو أواب ومعنى قوله ﷺ نعم العبد صهيب لولم يخف الله لم يعصه يعني أنه يترك المعاصي تعظيما لجلال الله ولو لم يتوعد الله عليها بالعقوبة و يقال أول التوبة يقظة من الله تعالى تقع فى القلب فيتذكر العبد تفريطه واساءته وكثرة جناياته مع دوام نعم الله تعالى عليه فيعلم ان الذنوب سموم قاتلة يخاف منها حصول المكروه وفوات المحبوب فى الدنيا والآخرة فاذا حصل له هذا العلم اثمر حالا وهو الندم على تضييع حق الله

تعالى ثم يثمر الندم عملا وهو المبادرة الى الخيرات وقضاء الواجبات ورد الظلامات والعزم على اصلاح ماهو آت فهذه الامور الثلاث اذا انتظمت فهى التوبة ومعني قول النبي صلى الله عليه وسلم الندم توبة ان أعظم أركانها الندم وأنه لا يحصل حتى يتقدمه الركن الاول وهو العلم بضرر الذنوب واذا حصل الندم تبعه الركن الثالث وهو العمل فى الاصلاح وكل من تكلم فى حقيقة التوبة بكلام لم يجمع هذه الاركان الثلاثة التي هى ضرر الذنوب ثم حال الندم ثم حال العمل في الاصلاح وانما تكلم على أحد الاركان أو على ركنين منها ويقال التوبة الحياء العاصم والبكاء الدائم ويقال التوبة الندم على مافات واصلاح ماهو آت ويقال التوبة قود النفس الى الطاعة بخطام الرغبة وردها عن المعصية بزمام الرهبة ويقال التوبة ان يعلم العبد جراءته على الله تعالى ويرى حلم الله تعالي عليه حيث لم يأذن للارض أن تخسف به والنار أن تحرقه بما عمل من المعاصي ثم يتوب من الذنب ويعزم أن لا يرجع اليه كما لا يرجع اللبن الى الضرع ويقال التوبة ذوبان الحشا لما سبق من الخطأ ويقال التوبة نار في الكبد تلتهب وصدع في القلب لا ينشعب ويقال التوبة خلع لباس الجفاء ونشر بساط الوفاء وقال سهل بن عبد الله التوبة تبديل الحركات المذمومة بالحركات المحمودة ولا يتم ذلك الا فى الخلوة والصمت وأكل الحلال (وفى الحديث) ان العبد ليذنب الذنب فيدخل به الجنة قيل كيف ذلك يارسول الله قال يكون نصب عينيه تائبا فارا حتي يدخل الجنة « ولما طرد » ابليس لعنه الله وأنظر قال يارب وعزتك وجلالك لاقطعت طمعى من ابن آدم مادام فيه الروح فقال الله عز وجل وعزتي وجلالى لاامنع عنه التوبة مادام فيه الروح وينبغي لمن اذنب ذنبا ان يبادر الى التوبة ويعمل فى قطع الاسباب الباعثة على الذنب ويهجر من كان يصحبه على تلك الحالة ويتدارك ماافسده ليمحوه بصالح الاعمال (فقد ورد) فى الآثار ان الذنب اذا اتبع بثمانية أشياء كان العفو عنه مرجوا أربعة في القلب وهي التوبة والعزم على ان لا يعود وحب الاقلاع عنه وخوف العقاب ورجاء المغفرة عليه وأربعة فى الجوارح وهو ان يصلي أربع ركعات فى المسجد ثم يستغفر الله تعالي سبعين مرة ويقول سبحان ربى العظيم وبحمده مائة مرة ويتصدق بصدقة ثم يصوم يوما قال الله تعالي ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين

﴿ في تفصيل الذنوب ﴾

(فى قول الله عز وجل إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما) ان اجتنبتم الكبائر غفرنا لكم الصغائر قال صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس والجمعة الي الجمعة كفارات لما بينهن الا الكبائر وفى رواية رمضان الي رمضان كفارة الا من ثلاث الشرك بالله وترك السنة ونكث الصفقة وفى رواية ما اجتنبت الكبائر (وروى) مسلم عن عبد الرحمن بن أبى بكرة عن أبيه قال كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثا الاشراك بالله وعقوق الوالدين وشهادة الزور أو قول الزور (وعن) أبي هريرة رضى الله تعالي عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اجتنبوا السبع الموبقات قيل يارسول الله وماهن قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التى حرم الله الا بالحق وأكل مال اليتيم وأكل الربا والتولى يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات (وعن) ابن مسعود قال قال رجل يارسول الله أى الذنب أكبر عند الله قال أن تدعو لله ندا وهو خلقك قال ثم أى قال أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك قال ثم أى قال أن تزني بحليلة جارك فانزل الله تعالى تصديقها والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون الآية * واعلم أن المعاصى على قسمين ترك فريضة أو فعل محرم وأولها معصية ابليس فانها ترك فريضة أمر بالسجود فلم يسجد ومعصية آدم صلى الله عليه وسلم نهى عن أكل الشجرة فأكل ثم تنقسم الى ماهو حق لله تعالى والي ماهو حق للآدمي ثم تنقسم من حيث أصولها الى أربعة ربوبية وشيطانية وبهيمية وسبعية فالربوبية التشبه بأوصاف الرب سبحانه وتعالى فان العظمة والكبرياء والرفعة والعز والغني والقهر والاستيلاء صفات الرب سبحانه وتعالى فمن تشبه بها من الخلق فتكبر وتجبر وطلب الرفعة والعلو والغنى والاستيلاء على الخلق فقد نازع الربوبية حقها والشيطانية التشبه بالشيطان ومن صفاته الحسد والبغى والحيلة والخداع والغش والنفاق والدعوة الى المعاصى والبدع والضلالة والبهيمية الشره والحرص على قضاء شهوة البطن والفرج ومنها يتشعب الزنا والسرقة وأكل مال اليتيم وجمع الحرام لقضاء الأوطار والسبعية الغضب والحقد ومنها يتشعب القتل والضرب وايذاء

الخلق وأول مايستولى على الانسان البهيمة فاذا كبر وتزايد فهمه دخلت عليه السبعية فاذا قويت فكرته ولم يوفق استعمل عقله فى المكر والخداع والصفات الشيطانية ثم يدخل عليه منازعات الربوبية يقول الله تعالي العظمة إزارى والكبرياء ردائى من نازعني واحدا منهما ألقيته فى النار ثم تنقسم الذنوب على قسمين بالنظر الى ضررها وإثمها فالكبائر تغفر بالتوبة والصغائر تغفر بالصلوات ونحوها كما ورد وقد اختلف الناس فى حد الكبائر اختلافا كثيرا فذهب بعض العلماء الي أن كل محرم كبيرة ولكن بعضها أكبر من بعض وان الصغر والكبر أمر نسبي وهذا ضعيف فان ظاهر القرآن لايدل على أن المعاصى مقسمة قال الله تعالي إن تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه نكفر عنكم سيآتكم وقال تعالى الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش إلا اللمم وأكثر المفسرين على أن اللمم صغائر الذنوب وقيل اللمم الالمام بالذنوب كهفوة ثم يتوب ويرجع وأصله الالمام يقال ألم فلان بفلان اذا زاره زيارة مرتحل فالصحيح التقسيم ثم اختلف الصحابة والتابعون فى عدد الكبائر فقال ابن مسعود أربع وقال ابن عمر سبع وقال عبدالله بن عمرو بن العاص تسع وقيل إحدي عشرة وقال أبو طالب المكي جمعتها من مجموع أقوال الصحابة فوجدتها أربعة في القلب وهي الشرك بالله تعالى والاصرار على معصية الله تعالي والقنوط من رحمة الله تعالي والامن من مكر الله تعالى وأربعة فى اللسان وهى شهادة الزور وقذف المحصنات الغافلات واليمين الغموس وهي التى يحلف بها الحالف متعمدا الكذب وقيل هي التى يقطع بها مال مسلم ولوسواكا من اراك وسميت غموسا لانها تغمس صاحبها فى النار والسحر وهو كلام أجري الله تعالى العادة بأنه اذا استعمل ظهر له أثر الفساد وثلاثة فى البطن شرب الخمر وأكل مال اليتيم وأكل الربا وهو يعلم واثنان فى الفرج وهما الزنا واللواط واثنان في اليدين وهما القتل والسرقة وواحدة في الرجلين وهى الفرار من الزحف الواحد من اثنين وواحدة في جميع البدن وهى عقوق الوالدين وعقوقهما أن يقسما عليه فى حق فلا يبر قسمهما أو يسألاه حاجة فلا يقضيها أو يسباه فيضربهما أو يجوعا فلا يطعمهما * واختلف العلماء فى حد الكبيرة فقيل كل مانهى الله

تعالي عنه فى القرآن فهو كبيرة ومانهى عنه الرسول صلي الله عليه وسلم فهو صغيرة وقيل ماتوا عدالله عليه بالنار فهو كبيرة ومالم يقترن مع النهي عنه وعيد أو غضب فهو صغيرة وقيل كل ماشرع فيه حد وقيل حد وكفارة فهو كبيرة وقيل كل ما اتفقت الشرائع على تحريمه فهو كبيرة وقيل ان حصرها مبهم لم يرد بعددها نص وفائدة ذلك تعظيم سائر المعاصى خوفا من الوقوع فى كبيرة وقيل أكبر الكبائر معلوم وأصغرها غير معلوم وطريق كشف الغطاء عن هذه المسألة ان تنظر فى سر الشريعة فتعلم ان الله تعالى أنزل الكتب وأرسل الرسل الى خلقه ليؤمنوا به ويعبدوه قال الله عز وجل وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون أي لامرهم بالعبادة وقيل معناه ليعرفون فهذا هو المقصود فأكبر الكبائر إبطاله بالكفر بالله والشكر أو تكذيب الرسول فى شيء مما جاء به فان هذا أشد باب المعرفة والعبادة ثم يتلوه نقيض هذا المقصود مثل الأمن من مكر الله تعالى فانه جهل بقهر الله تعالى وغناه عن خلقه والبدع المضله فانه جهل بصفات الله تعالي وتكذيب بما ورد فى القرآن من جلال الله تعالى وتنزيهه عن النقائص ويتلوه الكبر والعجب فانه جهل بمنة الله تعالي ومن ذلك ترك الصلاة والزكاة والصيام المفروضة والحج مع الوجوب وترك كل فريضة فانه إبطال ركن من المقصود فهذا سر يعلم به أكبر الكبائر ثم تفاوتها فى الاثم ثم إن الايمان والعبادة لا يتم المقصود منهما الا بسلامة الانفس والعقول والاموال التى هى القوام (وحرم) الله تعالى قتل المؤمن والمعاهد بغير حق فان القتل إبطال المقصود بقطع الوجود ثم يليه الضرب والجرح وقطع الاطراف فانه يفضى الى القتل وشرع قتل الكافر المحارب لان فى قتله دفع ضرر عن المسلمين وشرع قتل الزانى المحصن زجرا عن المفسدة وشرع قتل القاتل عمدا بالقصاص زجرا عن القتل فكان فى القتل قصاصا تقليل القتل وهو معني قوله عز وجل ولكم فى القصاص حياة يا أولي الالباب لعلكم تتقون (وحرم) الله تعالى اللواط لئلا يقع الاكتفاء به فينقطع النسل فيكون به رفع الوجود وهو قريب من قطع الوجود (وحرم) الله تعالى الزنا لئلا تختلط الانساب فينقطع التعارف والتناصر والوصلة والميراث

وتكثر الغيرة بين الرجال فيقع القتل والهرج (وأما الاموال) فحرم الله تعالى تناولها بغير حق مصلحة للناس لكن بعض الضرر اعظم فيها من بعض وان ماظهر منها امكن تداركه واقتضاؤه بالسلطان أو باليدور بما أمكن التحرز منه بان يحفظ الانسان ماله فأما ما كان باختفاء أو تسلط فهو أعظم كالسرقة فانه يعسر التحرز عنها ولا تعرف فيمكن استيفاؤها (وأكل مال اليتيم) اذا أكله من يلي عليه كذلك وإتلاف المال بشهادة الزور وأكل المال باليمين الكاذبة عند الحاكم وأكل الرباو القمار قريب من هذا فانه أكل مال مسلم بحجة باطلة لا يمكن معها استيفاء ثم يليه الغصب والخيانة فى الوديعة (وأما الاعراض) فحرم الله تعالى الخوض فيها لئلا يؤدى الى التقاطع والتدابر وربما أدى الي القتل (وحرم) الله تعالى شرب كل مسكر فان فيه افساد العقل وهو شرط التكليف فصار كقطع الوجود فى وقت السكر فهذه مراتب الكبائر ووزرها على قدر ضررها في تفويت الايمان والعبادة وأما الصغائر فانها انما تكبر بالمواظبة عليها والاصرار وذلك كالنظر الى المرأة الاجنبية واللمس والقبلة والخطوات في طلب المعاصى وحضور مجلس الشراب واللهو ولباس الحرير والذهب للرجال والشرب فى أواني الذهب والفضة واتخاذها وأكل طعام نجس ومخالطة العصاة وكشف العورة فهذه كلها ذنوب ومعاص والاصرار عليها قريب من الكبائر كما ان إدمان بعض اللهو المباح الذى لا فائدة فيه يلتحق بالصغائر فمن أراد التقوى فليتجنب فضلات المباح لئلا تعتاد النفس الركون الي الشهوات فتنجر الى الشبهات ثم تنجر الى المحرمات وأول عقوبة الذنب ظلمة تقع فى القلب وغفلة تستولي عليه حتي يسقط عنه حرمة أمر الله تعالى ونهيه فينجر الى ذنب آخر أعظم منه ومثاله مثال الذي يخوض فى الطين وعليه ثياب نظاف فهو يجمع ثيابه ويحفظها فاذا وقع فى الطين مرة فأصاب أطراف ثيابه أهملها بعد ذلك وخاض بها ولم يحفظها ولهذا قيل الطاعة أول ثواب الطاعة والذنب أول عقوبة الذنب ويقال ستة أشياء اذا قاربت الصغائر الحقتها بالكبائر واذا كانت مع الكبائر عظم وزرها وتزايد أمرها الاول الاصرار وهو العزم على العود الى مثل الذنب ولذلك قيل لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار وليس المراد به استغفار الكذابين باللسان وانما المراد التوبة والندم والاقلاع

والا لتجاء الى الله عز وجل بالقلب ويقال آفة الاصرار على الصغائر الوقوع فى الكبائر وقل ان يقع العبد فى كبيرة حتى يتقدمها صغيرة كالزنا مثلا لا يتصور من غير تقدم نظر ولمس ونحوه * الثانى أن يستصغر الذنب فانه يكبر إثمه على قدر استصغاره له فان تصغير الذنب تصغير أمر الرب وفى تعظيم الذنب تعظيم الرب سبحانه وتعالى وفى الحديث المؤمن يرى ذنبه كالجبل فوقه يخاف ان يقع عليه والمنافق يرى ذنبه كذباب وقع على وجهه فأطاره وقال بعضهم أكبر من الذنب قول الانسان ليت كل ذنب عملته يكون مثل هذا وأوحى الله تعالى الي بعض الانبياء لا تنظر الى قلة الهدية وانظر الى عظم مهديها ولا تنظر الى صغر الخطيئة ولكن أنظر الى كبرياء من واجهت بها وقال أبو سعيد الخدري انكم لتعملون اشياء هى ادق عندكم من الشعر كنا نعدها في عهد رسول الله ﷺ من الموبقات وهذا لأنهم كانوا أكثر تعظيما لجلال الله تعالي الثالث السرور بالذنب فان القلب يسود بقدر الفرح بالذنب * ويروى ان بعض بنى اسرائيل تاب من ذنب وعبد الله تعالى سنين ثم سأل بعض الانبياء ان يدعو اله بالقبول فاوحي الله عز وجل اليه لو تشفع بأهل السموات والارض ماقبلته وحلاوة الذنب في قلبه ومثال العاصى كمثال من غلبه عدوه فاوقعه في نار ومايخاف الهلاك فيه فينبغى ان يغلب عليه الأسف والحزن ففرحه من غاية الجهل ويقال من فرح بالذنب فهو كالمريض الذى يفرح بان ينكسر اناؤه الذى فيه دواؤه كراهة ان يستعمله لا يرجي شفاؤه الرابع ان يتهاون بمنة الله تعالى عليه فى ستره عليه وحلمه عنه وإمهاله حيث لم يعاجله بالعقوبة ويخاف ان يكون ذلك الستر مقتا من الله تعالى وامهالا ليزداد ذنوبا فيأخذه على غرة الخامس اظهار الذنب بأن يفعله مجاهرا او يتحدث به ويفتخر به وفى ذلك زيادة جراءة وعدم حرمة وابطال نعمة فان من نعم الله تعالى اظهار الجميل وستر القبيح وفيه تحريك داعية من علم بذنوبه الى الوقوع في مثله وفى الخبر كل الناس معافى الا المجاهرون وقال بعضهم لا تذنب فان أذنبت فلا ترغب غيرك فتكتسب ذنبين قال الله تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف وقال بعض السلف ما انتهك المؤمن من أخيه حرمة أعظم من أن يساعده على معصية الله تعالى السادس أن يكون المذنب عالما يقتدى به كما ورد فى الحديث من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها لا ينقص من أوزارهم

شيئا قال الله تعالى ونكتب ماقدموا وآثارهم وآثار العمل ما يبقي بعد العمل وقال ابن عباس رحمه الله ويل للعالم من الاتباع يزل زلة فيرجع عنها ويحملها الناس فيذهبون بها فى الآفاق ويقال العالم مثل السفينة اذا غرقت غرق أهلها * وروى أن عالما من بني اسرائيل كان على بدعة ثم رجع عنها وعمل في الاصلاح دهرا فأوحي الله تعالى الي نبي من أنبيائهم قل لفلان ان ذنبك لو كان فيما بيني وبينك لغفرته لك ولكن كيف بمن أضللت من عبادى فادخلتهم النار وكما يعظم وزر العالم فى السيآت كذلك يعظم أجره فى الطاعات (وقد) روينا فى حديث مسند عن رسول الله ﷺ أنه قال الفقهاء أمناء الرسل مالم يطلبوا الدنيا ويتبعوا السلطان فاذا فعلوا ذلك فاحذروهم ويقال من تاب من ذنب وجاهد نفسه علي تركه سبع مرات صرفه الله تعالى عنه ومن تاب من ذنب وتركه سبع سنين أزال الله عنه شهوته * وقال الحسن البصري لولم يذنب المؤمن لطار فى الهواء ولكن الله تعالي قمعه بالذنوب وقال أيضا بين العبد وبين الله حد من المعاصي اذا بلغه طبع الله على قلبه فلم يوفق لخير (وفى قصة) موسى عليه الصلاة والسلام أنه قال للخضر بم أطلعك الله على ما اطلعت من الغيب قال بترك المعاصى لاجل الله تعالى * وروى أن سليمان عليه الصلاة والسلام كان يوما يسير علي البساط والريح تحمله فنظر ثوبه فاعجبه فوضعته الريح * وقالت انما أطعتك اذا أطعت الله تعالى ويقال ان الله تعالى أوحى الى يعقوب عليه الصلاة والسلام أتدري لم فرقت بينك وبين ولدك فقال لا قال لقولك لاخوته انى أخاف ان يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون لم خفت عليه الذئب ولم ترجني ولم نظرت الي غفلة إخوته ولم تنظر الي حفظى له (وفى رواية) لانك نحرت جزورا والى جانبك أيتام فلم تطعمهم فصار يعقوب عليه الصلاة والسلام بعد يأمر مناديا ينادى وقت الغداء والعشاء من أراد أن يتغدي أو يتعشي فليذهب الى آل يعقوب ولذلك قيل من أذنب ذنبا فليأت بحسنة من نوع ما افسد بمعصية (وفى الحديث) ان العبد ليضيق عليه فى أسبابه بذنوبه * ويروي ان من قارف ذنبا فارقه عقل لا يعود اليه أبدا ويقال ما نسي أحد القرآن الابذنب أحدثه * وقال بعض السلف ليست اللعنة بسواد فى الوجه ولا بنقص فى المال وانما اللعنة ان لاتخرج

من ذنب الا وقعت في مثله أو أعظم منه ويقال من عقوبة العاصى ان تمقته قلوب الصالحين وقال بعضهم انى لاعرف عقوبة ذنبى حتى في فأر بيتى (وحكى) عن أبي عمرو بن علوان وكان من أصحاب الجنيد رحمه الله قال كنت بالرقة قائما أصلي فعرضت لي شهوة الجماع فافكرت فيها حتي أمنيت فاسود جسدي كله سوادا فاحشا فاختفيت ثلاثة أيام فى البيت وكنت أدخل الحمام وأغسله بالصابون فلا يزداد الا سوادا ثم زال بعد ثلاثة أيام فبعث الى الجنيد فأتيت اليه وهو ببغداد فقال لى أما استحيت من الله تعالي عرضت لك شهوة فأفكرت فيها حتى أخرجتك من بين يدى الله تعالى ولولا أنى دعوت الله تعالى لك وتبت عنك للقيت الله عز وجل بذلك اللون وقال أبو سليمان الدارانى لا يفوت أحدا صلاة جماعة الا بذنب (وفي الخبر) يقول الله عز وجل ان أدنى ما أصنع بالعبد اذا آثر شهوته على طاعتي أن أحرمه لذيذ مناجاتى وقال الفضيل ما أنكرت من تغير الزمان وجفاء الاخوان فذنوبك أورثتك ذلك (وفى) بعض كتب الله عز وجل المنزلة يقول الله عز وجل أنا ملك الملوك قلوب الملوك بيدي فمن أطاعنى جعلتهم عليه رحمة ومن عصانى جعلتهم عليه نقمة فلا تشغلوا قلوبكم بسب الملوك ولكن توبوا الي أعطفهم عليكم وقال الحسن ان الله عز وجل أمر بالطاعة وأعان عليها ولم يجعل فى تركها عذرا ونهي عن المعصية وأغني عنها ولم يجعل فى ركوبها حجة (وفى) بعض كتب الله عز وجل اذا عصانى من يعرفني سلطت عليه من لا يعرفنى وقال أبو سليمان الداراني ليس أعمال الخلق التي ترضيه ولا تغضبه ولكن رضي على قوم فاستعملهم في أعمال الرضا وغضب على قوم فاستعملهم بأعمال الغضب * وقال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه من أراد غنى بلا مال وهيبة بلا سلطان وعزا بلا عشيرة فليتق الله فان الله يأبي أن يذل الا من عصاه * وقال أبو سليمان الدارانى لو أتمنى المغفرة من الله تعالى لاهمنى الحياء من الله تعالى فيما فعلت وقال ابراهيم بن أدهم لان أدخل النار وقد أطعت الله عز وجل أحب إلي من أن أدخل الجنة وقد عصيت الله عز وجل وقال صالح بن عبد الجليل ذهب المطيعون بلذيذ العيش فى الدنيا والآخرة يقول الله عز وجل يوم القيامة رضيتم بى بدلا من خلقى وآثرتمونى على شهواتكم فاليوم ابشروا بكرامتي فوعزتى ماخلقت الجنان الا

من أجلكم (وعن) رسول الله ﷺ انه قال إياكم ومحقرات الذنوب فانما محقرات الذنوب كمثل قوم نزلوا ببطن واد فجاءذا بعود وجاءذا بعود حتى أنضجوا خبزهم * وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها من سره أن يسبق العابد المجتهد فليكف نفسه عن الذنوب فانكم لن تلقوا الله عز وجل بشيء خير لكم من ترك الذنوب وقال أبو عاصم الانطاكى ترك سيئة واحدة عند الله عز وجل أفضل من ألف حجة نافلة * وقال حماد بن زيد اذا أذنب الرجل أصبح ومذلته في وجهه وقال يحي بن معاذ ابن آدم احذر الشيطان فانه عتيق وأنت جديد وهو فارغ وأنت مشغول وهمته واحدة وهي هلاكك وأنت مع همم كثيرة والشيطان يراك وأنت لا تراه وأنت تنساه وهو لا ينساك ومن نفسك له عون وليس لك من نفسه عون فمن غلبه هواه افتضح * وكان عامر بن عبد الله بن قيس يقول الهى خلقت معى عدوى يجري مني مجري الدم وجعلته يرانى ولا أراه وقلت لى استمسك فكيف أستمسك ان لم تمسكنى * وقال الشافعى رضى الله تعالى عنه أصابني أمر آلمنى ولم يطلع عليه غير الله تعالى فرأيت فى المنام قائلا يقول يا محمد بن ادريس قل اللهم انى لا أملك لنفسى ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا ولا أستطيع أن آخذ الا ما أعطيتني ولا أتقي الا ما وقيتنى اللهم وفقني لما تحب وترضى من القول والعمل فى عافية قال ففعلت ذلك ففرج الله سبحانه وتعالي عني فى يوم واحد

الفصل الثانى عشر في التقوى

الحمد لله الذي تفرد بالعز والجلال وتوحد بالكبرياء والكمال وجل عن الاشباه والاشكال ودل على معرفته فازال الاشكال وأذل من اعتز بغيره غاية الاذلال الذى خلق الانسان من صلصال كالفخار وأتقن تركيب العروق والعظام والاوصال وخلق الجان من مارج من نار فتكبر وصال فطرده وأبعده وحرمه الوصال وتفضل على المطيعين بلذيذ الاقبال نعمهم فى الدنيا بمعرفته وخدمته وأكرمهم في العقبي برؤية وجهه فلهم النعيم في الحال والمآل وشغل المعرضين عنه بحظوظهم العاجلة عن جزيل النوال وأملي لهم بادامة النعم فظنوا الامهال اهمال سبقت قسمته فما يغني الاحتيال لا يتوجه عليه حق وقد خاب من وزن أحكامه بميزان الاعتزال لا يسئل عما يفعل وهم

يسألون وكيف يتوجه على المالك القادر سؤال بيده ملكوت السموات والارض ومفاتيح الاقفال لاراد لامره ولا معقب لحكمه وهو الخالق الفعال هو الأول والآخر والظاهر والباطن الكبير المتعال استوى على العرش من غير تكييف ولا تشبيه ولا صعود ولا انتقال لايحويه الفكر ولايحده الحصر ولا يدركه الوهم والخيال ارتع بفكرتك في رياض صنعته فليس للافكار في جلال عزته مجال ضل أهل التشبيه عن جادة التنزيه فهلكوا في الضلال وزل أهل التعطيل في أودية الاباطيل فاشتغلوا في الجدال وجمع العارفون بين النقل والعقل فسلكوا طريق الاعتدال تذلل بين يدي مولاك أيها الفقير واقرع الباب بدوام الابتهال فهو الحكيم الكريم الرؤف الرحيم الذي لايخيب لديه الآمال يعلم ما أضمره العبد من السر وأخفى منه مالم يخطر ببال ويسمع همس الاصوات وحس دعس الخطوات في وعس الرمال ويرى حركة الذر في جانب البر ومادرج في البحر عند تلاطم الامواج وتراكم الاهوال أفلا يستحي العبد الحقير من مبارزة الملك الكبير بقبح الافعال وهو يعلم انه تحت قهره ونظره في جميع الاحوال أولا يعلم الذي يعظ الناس أنه أحق بالمبادرة الي صالح الاعمال فيا عجبا كيف يقدم على الابطال بطال أم هل يجمل في الامثال أعمش كحال فتبارك من وفق من شاء لخدمته فشتان ما بين رجال ورجال * أحمده على ما أولى من الافضال * وأشهد أن لا اله الا الله وحده لاشريك له ولا نفاذ لملكه ولا زوال * وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي أيده بالمعجزات الظاهرة والآيات الباهره وزينه بأشرف الخصال ورفعه الى المقام الاسني فكان قاب قوسين أو أدني وخلع عليه خلع الجمال صلي الله عليه وعلى آله وأصحابه صلاة دائمة بالغدو والآصال * في قول الله عز وجل ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون اتقوا تحرزوا وتركوا مانهي الله عنه وأحسنوا أطاعوا وفعلوا ما أمر الله تعالى به * وفى الصحيح في سؤال جبريل عليه الصلاة والسلام للنبي صلى الله عليه وسلم قال يارسول الله ما الاحسان قال أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك والله سبحانه وتعالى مع جميع خلقه بعلمه وقدرته ومعناه أنه عالم بالكل قادر على الكل * قال تعالى وهو معكم أينما كنتم وهو سبحانه وتعالي مع المؤمنين بحفظه ونصرته قال تعالي ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون وقال تعالى والله معكم ومع خواص العارفين بالهامهم

لذكره وترويح أسرارهم فى نعيم حضرته * قيل لبعض الصالحين عند موته أوصنا قال عليكم بآخر آية من سورة النحل ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وجاء رجل الى النبي ﷺ فقال أوصني فقال عليك بتقوى الله فانها جماع كل خير وعليك بالجهاد فانه رهبانية المسلمين وعليك بذكر الله وتلاوة كتابه فانه نور لك فى الارض وذكر لك فى السماء واخزن لسانك الامن خير فانك بذلك تغلب الشيطان * وفي الحديث أشد الاعمال ثلاث انصاف الناس من نفسك ومواساة الاخوان من مالك وذكر الله على كل أحوالك * وقال سهل بن عبد الله اجتمع الخير كله فى أربع خصال وبها صار الابدال ابدالا الجوع والسهر والصمت والخلوة ويقال من سهر أربعين ليلة مخلصا كوشف بشيء من الملكوت (وأوحي) الله تعالي الى موسى عليه الصلاة والسلام استعد للقائي وعليك بمدارع الجوع فتقمصها وظما الهواجر فتجرعها غصصا ياموسي الجوع مفاتيح طاعتي وسبب الوصلة الى ياموسي جالس أهل الظما تدم عليك نعمتي وجالس أهل المجاعة فهم الذين كشفت عنهم الظلام وأذقتهم طعم محبتي ياموسى الجوع لذة النفوس الخيرة ومصابيح القلوب النيرة ياموسى عليك بالصيام فنعم الصاحب وقم فى غسق الدجا اذارقد كل هاجع ياموسى الصوم نور قذفته في قلوب المطيعين ولباس ألبسته أفئدة الورعين وهو مفتاح خدمتي وأول عبادتى (وقال) حاتم الأصم ثلاثة دواء ثلاثة قيام الليل دواء لقسوة القلب والصدقة دواء الحرص وأعمال النوافل دواء المعاصي * وفى الكلمات العشر التي أنزلت على موسى عليه الصلاة والسلام بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله الملك الجبار العزيز القهار لعبده ورسوله موسى بن عمران سبحنى وقدسنى لا اله الا أنا فاعبدنى ولا تشرك بى شيئا واشكر لى ولوالديك الي المصير أحييك حياة طيبة ولا تقتل النفس التي حرم الله عليك فتضيق عليك السماء بأقطارها وتضيق الارض برحبها ولا تحلف باسمى كاذبا فانى لا أطهر ولا أزكى من لم يعظم اسمى ولا تشهد بما لا يعى سمعك ولا تحفظ عينك ولا يقف عليه قلبك فانى أوقف أهل الشهادات على شهاداتهم يوم القيامة فأسائلهم عنها ولا تحسد الناس على ما آتيتهم من فضلى ورزقي فان الحاسد عدو نعمتي ساخط لقسمتي ولا تزن ولا تسرق فأحجب عنك وجهي وأغلق دون

دعوتك أبواب السموات ولا تذبح لغيري فانه لا يصعد الى من قربان الارض الا ماذكر عليه اسمي ولا تغدرن بحليلة جارك فانه أكبر مقتاً عندي واحبب للناس ماتحب لنفسك واكره لهم ماتكره لنفسك وهذا فى القرآن في قوله تعالي قل تعالوا أتل ماحرم ربكم عليكم الآيات * وقال ابن عباس رضى الله عنهما لما سار موسي عليه الصلاة والسلام الى الميقات قال له ربه ماتبتغى قال ابتغى الهدى قال قد وجدته ياموسى قال يارب أي عبادك أحب اليك قال الذي يذكرنى ولا ينسانى قال فأى عبادك أقضي قال الذى يقضي بالحق ولا يتبع الهوى قال أى عبادك اعلم قال الذى يبتغى علم الناس الى علمه ليسمع الكلمة تهديه الى هدى أو ترده عن ردى * وقال ابن مسعود رضي الله عنه رأى موسى عليه الصلاة والسلام رجلا جالسا فى ظل العرش فقال يارب ماهذا قال هذا عبد لا يحسد الناس على ماآتاهم الله من فضله و بر بوالديه لا يمشي بالنميمة قال يارب أى العمل أحب اليك ان أعمل به قال تذكرنى ولا تنسانى قال أي عبادك خير عملا قال من لا يكذب لسانه ولا يفجر قلبه ولا يزنى فرجه مؤمن فى خلق حسن قال وأى عبادك شر عملا قال فاجر فى خلق سيء جيفة بالليل بطال بالنهار (وشكا) بعض المريدين الى شيخه كثرة النوم فقال ان لله تعالى نفحات بالليل والنهار تصيب القلوب المتيقظة وتخطىء القلوب النائمة فتعرضوا لتلك النفحات فقال له ياأستاذ تركتني لا انام ليلا ولا نهارا * وقال ابن مسعود ينبغى لحامل القرآن أن يعرف بليله اذا الناس نائمون و بنهاره اذا الناس يفرطون و بحزنه اذا الناس يفرحون و ببكائه اذا الناس يضحكون و بصمته اذا الناس يخوضون و بخشوعه اذا الناس يختالون و ينبغى لحامل القرآن ان يكون سكينا ليناً ولا ينبغى أن يكون جافياً ولا ممار يا ولا صياحا ولا صخابا ولا حديدا (وفى) وصايا رسول الله ﷺ اغتنم خمساً قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وفراغك قبل شغلك وغناك قبل فقرك وحياتك قبل موتك * وقال ابن عباس كنت رديف النبي ﷺ فقال لى ياغلام أو يابني الا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن قلت بلي يارسول الله قال احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده امامك تعرف الى الله فى الرخاء يعرفك في الشدة واذا دعوت فادع الله واذا استعنت فاستعن بالله فقد جف القلم بما هو كائن الى

يوم القيامـة فلو اجتمع الخلق جميعاً وأرادوا أن ينفعوك بشيء لم يقضـه الله لك لم يقدروا على ذلك ولو أرادوا أن يضروك بشيء لم يقضه عليك لم يقدروا عليـه واعمل لله بالشـكر في اليقين ٣ واعلم ان في الصبر على ماتـكره خيرا كثيراً وأن النصر مع الصبر وان الفرج مع الـكرب وان مع العسر يسراً (وفي بعض كتب الله عزوجل يقول الله يا ابن آدم اني لم اخلقك لاربح عليك وانمـا خلقتك لتربح علي فاتخذني بدلا من كل شيء فانا خير لك من كل شيء) وقال عيسى عليه الصلاة والسـلام لاصحابه ان كنتم أصحابي واخواني فوطنوا نفوسكم على العداوة والبغضاء من الناس انمـا اعلمـكم لتعملوا ولا اعلمـكم لتعجبوا انـكم لا تبلغون ماتؤملون الا بصبركم على ماتـكرهون ولا تنالون ماتريدون الا بتركـكم ماتشتهون إياكم والنظرة فانها تزرع في القلب شهوة وكفى بها لصاحبها فتنة طوبى لمن كان بصره في قلبه ولم يكن قلبه في بصره * وقال ابن شبرمة عجبت لمن يحتمي من الطعام والشراب مخافة الداء كيف لا يحتمي من الذنوب مخافة النار (ودخل) أبو حازم على سليمان بن عبد الملك حين ولي الخلافة فقال له يا أبا حازم مالنا نـكره الموت قال لانكم عمرتم دنياكم وأخربتم آخرتـكم فانـكم تـكرهون النقلة من العمران الى الخراب قال فاخبرني كيف القدوم على الله عزوجـل قال يا أمير المؤمنين ان المحسن يقدم على الله كالغائب يأتي أهله فرحا مسروراً وأما المسيء فيقدم على الله كالعبد الآبق يأتى الى مولاه خائفاً محزوناً قال فأي الاعمال افضل قال أداء الفرائض واجتناب المحارم قال فأى الدعاء أفضل قال دعاء الملهوف لمن احسن اليه قال فأى الصدقات أزكي قال جهد المقل بلا من ولا اذي قال فأى الناس أعدل قال من يقول كلمة حق عند من يخافه قال فأي الناس أعقل قال من عمل بطاعة الله تعالى ودل الناس عليها قال فأي الناس أجهـل قال من باع آخرته بدنيا غـيره قال عظني وأوجز قال نزه ربك وعظمه ان يراك حيث نهاك أو يفـقدك حيث امرك فبكى أمير المؤمنين فقـال رجـل من جلسائه لقد اسأت الي أمـير المؤمنين فقـال له أبو حازم اسكت فان الله أخـذ الميثاق على العلماء ليبيننه للناس ولا يكتمونه ثم خرج فبعث اليه بمـال فرده اليـه وقال ماأرضاها لـكم فـكيف آخذها منـكم ﴿وكان﴾ عامر بن عبـد الله بن قيس يقول الدنيا أربعـة المـال والنساء والطعام

(٣) قوله في اليقين لعله الغنى وليحرر

والنوم (فأما) المال والنساء فلاحاجة لي بهما وأما الطعام والنوم فوالله لاصرفنهما ما استطعت ولأجعلن الهموم هماً واحداً (وكان) أبو الدرداء يقول لولا ثلاثة ما أحببت البقاء فى الدنيا ساعة واحدة الظمأ بالهواجر والسجود فى ظلام الليل ومجالسة أقوام ينقون أطايب الكلام كما تنقون أطايب التمر وقيل لبعض المجتهدين لم تعذب هذا الجسد فقال انما أريد كرامته يادائما على العصيان متى يقال تاب فلان لا تمنعك كثرة ذنوبك عن التوبة فان الكريم لا يتعاظمه ذنب طالما بادرتم الى المعاصى مستعجلين فسابقوا الى الانابة مخلصين وسارعوا الى مغفرة من ربكم أنور ذنب يتوقد فى سراج يقين الفكر وأحسن ما نظم في سلك الاعتذار خرز الذل (قال) بعضهم لغلامه عند موته اطرحني على المزبلة لعلي أموت عليها فيرى مولاى ذلى فيرحمني يامن كان له قلب الى الطاعة فانقلب الي الاضاعة طال هجرك لنا فخل بوادينا ونادنا مع من ينادينا ولا تتخذ غير حبنا دينا قيام الاسحار يستوحش لك وصيام النهار يسأل عنك وليالى الوصال تعاتبك أما يؤلمك الهجر أما تشتاق الى الوصل فراق الاحباب تلف عاجل أعرف الناس بالطريق من قد سلك اذا ذكرت منازل مكة يحن الحاج لما ذاق آدم طيب الجنة ولذة المناجاة ثم فقدها جرت دموعه كالانهار

(شعر) عودونى الوصال والوصل عذب * ورمونى بالهجر والهجر صعب

لا وحق الخضوع عند التدانى * ليس يقوى على التباعد قلب

قال آدم عليه الصلاة والسلام يارب إن أنا تبت وأصلحت أتردنى الى الجنة فقيل له نعم فسكن قلقه (شعر)

وانا ليرضينا رجوع وصالكم * فردوا لنا ذاك الوصال كما كانا

وكنا نعطي فى الدنو غرامنا * ونكتم ما نلتقى فبان الذى بانا

ودخلوا على كرز بن وبرة فوجدوه يبكى فسألوه عن بكائه فقال ماصليت البارحة وما قرأت وردي وما هذا الا بذنب أحدثته ياويح من بلي بالطرد والبعاد ياخيبة من حرم القرب والوداد لا جعل الله حظنا الحرمان ولا منعنا عن حماه بسالف العصيان انه غفور رحيم رؤف حليم منان (عباد الله هذا شهر رجب) شهر الله الأصب تصب فيه الرحمة على التائبين وتفيض أنوار القبول على العاملين وهو الفرد من الاشهر

الحرم التي عظم الله تعالى قدرها بقوله تعالى منها أربعة حرم ومعني تأكيد الحرمة فيها ان الحسنات مضاعف أجرها والسيآت فيها عظيم وزرها وهى ذو القعدة وذو الحجة ومحرم ورجب فتلك ثلاثة متوالية و رجب فرد وحده وكانوا يسمونه الاصم لانه لم يكن يسمع فيه حس قتال و يسمونه منصل الاسنة لذلك وكانت الجاهلية يعظمون حرمته ويكفون عن القتال فيه و يستجاب لهم الدعاء على من ظلمهم فلما بعث النبي ﷺ بعث سرية الي بطن نخل قبل وقعة بدر بشهرين وأخبرهم انهم يجدون قافلة لقريش وأمرهم بأخذها وكان ذلك فى آخر جمادي الآخرة فاستهل عليهم رجب ولم يعلموا فقاتلوا المشركين في أول يوم من رجب وقتل بعضهم وغنموا ماشاء الله ورجعوا الى المدينة فبعث المشركون الى النبي ﷺ يعيرون المسلمين بذلك ويقولون انكم قد استحللتم القتال فى الشهر الحرام فأنزل الله تعالى يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه أى يسألونك عن القتال في رجب قل قتال فيه كبير يعني القتال فيه محرم وصد عن سبيل الله معناه قل للمشركين صدكم الناس عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج أهله منه أكبر عند الله أى وكفركم بالله والمسجد الحرام واخراجكم أهل الحرم منه بكثرة الأذى أكبر إثما عند الله من القتال فى رجب ثم نسخ تحريم القتال فيها بقوله تعالى اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم و بقيت حرمته فى تضعيف الاجر على الطاعة وكثرة الوزر على المعصيه ورجب مشتق من الترجيب وهو التعظيم (وقد روى) ان صوم كل يوم من الاشهر الحرم يعدل صيام ثلاثين يوما من غيرها وصيام يوم من رمضان يعدل صيام ثلاثين يوما من الاشهر الحرم وقال بعض العلماء اذا كانت الجاهلية ينصلون الاسنة ويكفون عن القتال فكيف لا يحفظ المسلمون فيه الأسنة و يكفوا عن الاعراض فان اللسان فى بعض المواضع أضر من سيف مجرد وسنان محدد * قال سفيان الثورى رحمه الله لان ترمي انسانا بسهم أهون من أن ترميه بلسانك فان السهم قد يخطئه واللسان لا يخطئه و يقال رجب لترك الجفاء وشعبان لعمل الوفاء و رمضان للصدق والصفاء رجب شهر الحرث وشعبان شهر سقي الزرع و رمضان شهر الحصاد فاتجروا رحمكم الله فى رجب فانه موسم التجارة وعمروا أوقاتكم فيه فهو أوان العمارة فمن كان من التجار فهذه المواسم

قد دخلت ومن كان مريضا بالأوزار فهذه الادوية قد حصلت * وروي ان من صام من رجب سبعة أيام غلقت عنه أبواب جهنم ومن صام عشرة لم يسأل الله شيئا إلا أعطاه وان فى الجنة قصرا الدنيا فيه كفحص قطاة لا يدخله الا صوام رجب (وقال) وهب بن منبه جميع أنهار الدنيا تزور زمزم في شهر رجب تعظيما لهذا الشهر قال وقرأت فى بعض كتب الله تعالي ان من استغفر الله تعالى في رجب بالغدو والعشي يرفع يديه ويقول اللهم اغفرلي وارحمني وتب على سبعين مرة لم تمس النار جلده أبدا وأفضل ليالي السنة تسع وعشرون ليلة كان السلف الصالحون يحيونها بالعبادة ويرجون فيها الفضل والزيادة ليالى العشر الأواخر من رمضان وليلة سبع عشرة منه في صبيحتها كانت وقعة بدر وليالى العشر الاول من ذي الحجة وليلة عيد الفطر وليلة عيد النحر وأول ليلة من المحرم وليلة عاشوراء منه وأول ليلة من رجب وليلة النصف منه وليلة سبعة وعشرين منه فيها أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم وليلة النصف من شعبان (٣) ويوم السابع من رمضان ويوم الجمعة ويوم عيد الفطر ويوم عيد النحر وأيام التشريق ﴿ مما كان السلف الصالحون يحافظون عليه ﴾ صلاة التسبيح التى علمها النبي صلى الله عليه وسلم للعباس وأخبره أن من صلاها غفر له جميع ذنوبه وأوصاه أن يصليها في كل يوم فان لم يفعل ففى كل جمعة فان لم يفعل ففى كل شهر ذكرها أبو داود وغيره وهو أن يصلي أربع ركعات يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب وسورة فوق عشرين آية ثم يسبح بعد القراءة فيقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم خمس عشرة مرة ثم يركع فيقولها عشرا ثم يرفع فيقولها عشرا ثم يسجد فيقولها عشرا ثم يجلس بين السجدتين فيقولها عشرا ثم يسجد فيقولها عشرا ثم يجلس للاستراحة فيقولها عشرا ثم يفعل ذلك فى بقية الصلاة وقال أبو داود ليس في صلاة التسبيح أصح من هذا الحديث * وفى رواية ابن المبارك يسبح قبل القراءة خمسة عشر وبعدها عشرا ولا يسبح فى جلوس التشهد ولا الاستراحة ويذكر أذكار الصلاة المعهودة ولا يعتدها * وروى عن أنس مرفوعا ان من صلي المغرب فى جماعة ثم صلى بعدها ركعتين

«٣» قوله ويوم السابع لعل هنا وأفضل أيام السنة كذا ثم عطف عليه المذكور هنا

ولم يتكلم بعدهما بشيء من أمور الدنيا يقرأ في الاولى بفاتحة الكتاب وعشرين من أول البقرة وآيتين من وسطها وإلهكم إله واحد إلى قوله تعالى يعقلون وقل هو الله أحد خمس عشرة مرة وفي الثانية بفاتحة الكتاب وآية الكرسى وآيتين بعدها وآخر البقرة من قوله تعالى لله مافى السموات ومافى الارض وقل هو الله أحد خمس عشرة مرة بنى الله له في جنة عدن ألف مدينة من الدر والياقوت * وعن كرز بن وبرة وكان من الابدال قال لقيت الخضر عليه الصلاة والسلام قلت علمنى شيئا أعمله في ليلتى هذه قال اذا صليت المغرب فقم الى العشاء مصليا مثنى تقرأ فى كل ركعة بفاتحة الكتاب وسورة الاخلاص ثلاث مرات ولا تكلم أحدا ثم صل العشاء وانصرف من غير كلام الى بيتك وصل ركعتين فى كل ركعة بفاتحة الكتاب والاخلاص سبعا فاذا سلمت فاسجد سجدة واستغفر الله تعالى فيها سبعا وصل على محمد صلى الله عليه وسلم سبعا وسبح بالباقيات الصالحات سبعا ثم اجلس وارفع يديك وقل ياحى ياقيوم ياذا الجلال يا إله الأولين والآخرين يارحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما يارب يارب يا الله يا الله يا الله ثم قم وأنت رافع يديك فادع بهذا الدعاء ونم حيث شئت طاهرا مستقبلا مصليا على محمد حتى تنام قال وذكر لى الخضر انه كان عند النبي صلى الله عليه وسلم حين علمه جبريل هذا الدعاء وذكر له فضلا عظيما . ياملوثا بدنس المعاصى بادر بالغسل قبل خروج الوقت لا يفوتك . عيش أحلى من الشهد والمحاسبة عليه أمر من العلقم * ويحكى انه كان لبان يخلط اللبن بالماء ويبيعه فجاء السيل فأغرق غنمه فجعل يبكي ويقول اجتمعت تلك القطرات فسارت سيلا ياهذا الدنيا وراءك والآخرة أمامك والطلب لما وراءك هزيمة وانما العزيمة فى الاقدام الى قدام والحزم وانتهاز الفرصة وكفى بذهاب الفرصة غصة يارابطا مناه بخيط الأمل انه ضعيف الفتل لوفتحت عين اليقظة لرأيت حيطان عمرك قد تهدمت فبكيت على خراب الأجل لما أحكم الصالحون العلم حكم عليهم بالعمل فقاطعوا الذي يقطع أعمار الاعمار فانتبهوا بالليل والنهار (اللهم) انك اذا أقبلت سلمت واذا أعرضت أسلمت واذا وفقت الهمت واذا أخذت ابهمت (اللهم) أذهب ظلمة قلوبنا بنور معرفتك وهداك واجعلنا ممن أقبلت عليه فاعرض عن سواك واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين آمين

الفصل الثالث عشر في التشمير وذكر شعبان

الحمدلله الغفور الذى ستر بستره وأجمل الشكور الذى عم ببره واجزل الرحيم الذى أتم احسانه على المؤمنين وأكمل الذى يكفي بحسن تأييده من على كرمه عول الواحد الاحد القدوس الصمد الاول المنفرد بالعز والكمال فلا ينتقص عزه ولا يتحول الحى العليم القدير السميع البصير المدبر الخبير المتكلم بكلام قديم أزلى لا يتغير ولا يتبدل صفاته قديمة من شبهها بصفات خلقه فقد أبطل وتقول شهدت بصفاته قواطع الادلة فمن عطل فقد أمحل فيما تأول جل عن الاين والكيف وعزعن الظلم والحيف فلا يسئل عما يفعل الحكم حكمه والامر أمره والملك ملكه فعليه المعول من وفقه لخدمته وأهله فقد جاد عليه وتطول ومن أبعده عن بابه وعذبه بأليم حجابه فقد عدل فى حكمه ولا يلام المالك ولا يعذل من جعل من حزب الرحمن فليس للشيطان عليه سلطان ومن ولاه مولاه فكيف يعزل ان نسي ذكره وارشده وان عثر أخذ بيده واسعده وان ذل اقامه وايده فلا تيأس من رحمته ولا تعجل لازم بابه قائلى أين تذهب ولا تبرح عنه لسواه فما دونه مطلب تضرع بين يدي مولاك بقلب مقيد ودمع مرسل فسبحان من اقبل بجوده وبره على من رجع اليه واقبل ورأى زلة المسيء وجنح الظلام مسبل فعامله برأفته وتجاوز عنه برحمته وأمهل وجعل للقبول والفضل أوقاتا ليتدارك المقصر ماضيع واهمل (أحمده) على ما أنعم وأكرم وتفضل وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة عبد خضع لهيبته وتذلل وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى أوحى اليه الكتاب ونزل ﷺ وعلى آله وأصحابه ماغسق ليل أليل ووردت القلاص منهلا بعد منهل كما نهج به للمتقين طريق الهدى وسهل فى قول الله تعالى وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا جعل الله الليل يخلف النهار والنهار يخلف الليل فمن أخطأ في ليله أو قصر تدارك فى نهاره وشمر ومن تشاغل فى نهاره عن خدمة مولاه ففى الليل خلوة لمن ألهمه مولاه وتولاه وردفى الآثار ان من فاته ورده بالليل فصلاه ما بين الضحى والظهر فكانه قد صلاه فى وقته وفى الخبر يقول الله عزوجل يا ابن آدم اذكرنى بعد الصبح ساعة وبعد العصر ساعة

ا كفك ما بينهما فمن أراد أن يشكر و يذكر ففي اختلاف الليل والنهار عبرة لمن استبصر ومن أراد شكورا في كل واحد منهما خلف لمن قصر وكان عبدالله ابن عمر اذا فاتته الصلاة في جماعة أحيا تلك الليلة ليجبر ما فاته وأخر ليلة صلاة المغرب حتي رأى كوكبين فاعتق رقبتين وفاتت عمر بن الخطاب رحمه الله تعالى صلاة العصر في جماعة فتصدق بارض له قيمتها مائة ألف درهم * و يروى ان الله تعالى يقول للملائكة وهو أعلم ما بال عبادي مجتهدين فيقولون إلهنا خوفتهم شيئا نخافوه وشوقتهم الي شيء فاشتاقوا اليه فيقول الله تعالى فكيف لو رأوني عبادي لكانوا أشد اجتهادا * وقال الحسن أدركت أقواما وصحبت طوائف ما كانوا يفرحون بشيء من الدنيا أقبل ولا يتأسفون علي شيء منها ادبر وهي كانت عندهم أهون من هذا التراب كان أحدهم يعيش عمره كله ماله ثوب زائد فيطوى ولا جعل بينه و بين الارض شيئا أدركتهم عاملين بكتاب الله تعالي و بسنة نبيهم اذا جنهم الليل فقيام على اطرافهم يفترشون وجوههم تجرى دموعهم علي خدودهم يناجون ربهم في فكاك رقابهم اذا عملوا حسنة فرحوا بها وداموا علي شكرها وسألوا الله ان يقبلها واذا عملوا سيئة حزنوا على فعلها و تابوا الى الله تعالي منها وسألوا الله تعالي ان يغفرها لهم والله مازالوا كذلك وعلى ذلك ووالله ما سلموا من الذنوب ولا نجوا الا بالمغفرة ودخل جماعة على عمر بن عبدالعزيز في مرض موته يعودونه فاذا فيهم شاب ناحل الجسم فقال له عمر يافتي ما الذى بلغ بك ما أرى فقال ياأمير المؤمنين أمراض واسقام فقال له عمر سألتك بالله الا ما صدقتنى فقال ياأمير المؤمنين ذقت حلاوة الدنيا فوجدتها مرة فصغرت زهرتها وحلاوتها في عيني فكأنى أنظر الى عرش ربي بارزا والناس يساقون الى الجنة أو الى النار فاظمأت لذلك نهارى واسهرت له ليلي وقليل حقير كلما انا فيه في جنب ثواب الله تعالى أو عقابه وكان علقمة بن قيس كثير الاجتهاد فقيل له كم تعذب نفسك فقال انما أريد كرامتها وفى الحديث اذا كان يوم القيامة واستوى الناس في صعيد واحد نادي مناد ليعلم أهل الموقف من أولى بالكرم ليقم المتقون ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أكرمكم عندالله أتقاكم وفى بعض كتب الله المنزلة يا ابن آدم لو رأيت

بقلبك ما بقي من أجلك لزهدت فى طول أملك ولرغبت في الزيادة من عملك ولقصرت من حبلك وانما يلقاك ندمك اذا ذل بك قدمك فلا أنت الى الدنيا عائد ولا فى عملك زائد (وقيل) لبعض الصالحين فى أى وقت تصلى وردك فقال ماظننت أن عبدا يسمع بالجنة أو النار تمضي عليه ساعة لا يصلي فيها * وقال بعض الصالحين لقيت رجلا في البرية فقلت من أين أتيت فقال من عند أقوام لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله قلت الى أين تريد قال الي قوم تتجافي جنوبهم عن المضاجع ملؤوا مراكب القلوب متاعا لا تصلح الا للملك فلما هبت عليهم رياح الدجا سارت تلك المراكب أترى فى أي شعب أخذوا أترى فى أى طريق سلكوا قنعوا من الدنيا بالبر والبرد قطعوا بادية الهوى بأقدام الجد ما كان الا قليل حتي قدموا من السفر فاعتنقتهم الراحة ودخلوا بلاد الوصل كان عليهم طول الطريق لعلمهم أين المقصد فيا بشراهم يوم يلقاهم هذا يومكم الذي كنتم توعدون سئل ذو النون المصرى عن حملة القرآن فقال هم الذين مطرت عليهم سحائب الاشجان ونصبوا الركب والابدان وتسربلوا بالخوف والاحزان وشربوا بكاس اليقين وراضوا نفوسهم رياضة المتقين كحلوا أبصارهم بالسهر وغضوها عن النظر وألزموها العبر وأشعروها الفكر فقاموا ليلهم أرقا وتبادرت دموعهم فرقا حتي ضنيت منهم الأبدان وتغيرت منهم الألوان صحبوا القرآن بأبدان ناحلة وشفاه ذابلة ودموع وابلة وزفرات قاتلة فحال بينهم وبين نعيم المتنعمين وشغلهم عن مطامع الراغبين ففاضت عبراتهم من وعيده وشابت ذوائبهم من تحذيره فكان زفير النار تحت أقدامهم وكان الوعيد نصب قلوبهم جعلوا التراب للجباه وسادا وللركب مهادا وجعلوا القرآن صراطهم المستقيم فكان بهم الى الخيرات داعيا والى النجاة دليلا هاديا أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب اسمع صفة القوم ياأسير الغفلة والنوم (كان) أيوب السختياني يحيي الليل كله فاذا كان وقت السحر رفع صوته كانه قد قام ذلك الوقت من النوم ومكث ابراهيم التيمى عشرين سنة يصلى الصبح بوضوء العشاء وكانت رابعة تحيي الليل كله ذهب السادة وبقى قرناء الوسادة واشوقاه الي تلك الأرواح سلام الله على تلك الأشباح (وكان) سرى السقطي يقوم من أول الليل الي وقت

السحر ثم يجلس فيبكي حتى يطلع الفجر (كانوا) مع الطاعات يبكون وأنتم مع التفريط تضحكون هان عليهم والله السفر لما علموا أن الملك يراهم ويسمع أصواتهم قال الله تعالى الذي يراك حين تقوم أول نقدة في مهر الجنة الظمأ والتلذذ بالبلاء وكان حسان بن أبى سفيان كأنه سوط وكان ابراهيم بن أدهم كأنه سفود وكانت رابعة كأنها شن بال وكان سري قد يبس جلده على عظمه شعر .

جزى الله المسير إليك خيرا * وان ترك المطايا كالمرادى

وكان داود الطائي ينادى فى الليل إلهي همك عطل على الهموم وحال بينى وبين الرقاد وشوقى الى لقائك حال بيني وبين اللذات وأنا فى سجنك يا كريم * وقيل لعيسي عليه الصلاة والسلام من أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فقال هم الذين نظروا الى باطن الدنيا حين نظر الناس الى ظاهرها والى آجلها حين نظر الناس الى عاجلها وأماتوا منها ما يخافون أن يميتهم وتركوا منها ما علموا انه سيتركهم فصار استكثارهم منها استقلالا وطلبهم لما أدركوا منها فوتا وفرحهم بما أصابوا منها حزنا تخلقت الدنيا عندهم فلا يجددونها وتخربت فلا يعمرونها وماتت في قلوبهم فلا يحيونها يخربونها ويبنون بها آخرتهم ويبيعون دنياهم ويشترون بها ما يبقى لهم رفضوها وكانوا برفضها فرحين ونظروا الي أهلها غرقى وقد خلت من قبلهم المثلات أحيوا ذكر الممات وأماتوا ذكر الحياة الدنيا يحبون الله ويحبون ذكره ويستضيئون بنوره لهم خبر عجيب وعندهم أعجب الخبر بهم قام الكتاب وبه قاموا وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا الايرون أمانا دوا ما يرجعون ولا خوفا دون ما يحذرون أولئك أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون * وقال بعض الصالحين سمعت فى جنح الليل صوتا حزينا على ساحل البحر فملت اليه فاذا هو رجل واقف يقول يا قرة عيني ويا سرور قلبي ما الذى أسقطني من عينك فطوبي لقلوب ملأتها من خشيتك واستولت عليها محبتك فخشيتك مانعة لها من ولوج كل مقصد خوفا من حلول سخطك ومحبتك قاطعة لها عن سبيل كل شهوة غير ذكرك صدق القوم فى الطلب فجاءت المعونة وقهروا نفوسهم فباتت مسجونة وزرعوا حب التقي وقاموا يسقونه فوجدوا لذة مولاهم فما طلبوا

دو نه انهم لا يشتهون كما تشتهون ولكن بقيت نومة يحبهم ويحبونه (شعر)

علل سقاما بجسم أنت متلفه * أبرد غراما بقلب أنت مضرمه

ولا تكلني الى بعد الديار الي * صبر الضعيف فصبري أنت تعلمه

تلق قلبي فقد أرسلته قدما * الى لقائك والاشواق تقدمه

(وقال) أبو جعفر الصفار تهت فى البادية أياما فعطشت وضعفت فرأيت رجلا واقفا شاخصا فاتحا فاه فقلت ماهذه الوقفة فقال مالك والدخول بين الموالى والعبيد ثم أشار بيده نحو الطريق فمشيت نحو إشارته قليلا واذا أنا برغيفين ولحم حار وكوز ماء بارد فأكلت وشربت ثم رجعت اليه فقلت له ما التصرف فتبسم ثم قال لائح لاح فاصطلم واستباح اذا أقلقهم الخوف ناحوا واذا أزعجهم الوجد صاحوا واذا أدهشهم الحب ساحوا واذا غلبهم الوجد باحوا (شعر)

وحرمة الود مالي عنكم عوض * وليس لى فى سوى لقياكم غرض

ومن جنونى بكم قالوا به مرض * فقلت لازال عني ذلك المرض

(ورؤي) بعض الرجال واقفا فى الهواء فقيل له بم نلت هذه المنزلة قال لانى وضعت هواى تحت قدمى فسخر الله لي الهواء (وقال) ابراهيم بن أدهم كنت سائرا نحو بيت المقدس فلقيت سبعة رجال فسلمت عليهم وقلت أفيدونى شيئا ينفعنى الله تعالى به فقالوا أنظر كل قاطع يقطعك عن الله فاقطعه عنك قلت زيدونى رحمكم الله قالوا لا ترج غير الله تعالى ولا تخف أحدا سوي الله قلت زيدوني رحمكم الله قالوا أنظر كل مايحبه الله تعالى فأحببه وكل مايبغضه الله تعالى فابغضه قلت زيدونى رحمكم الله تعالى قالوا عليك بالدعاء والتضرع والبكاء في الخلوات والتواضع والخشوع والرحمة للمؤمنين والنصح لهم فقلت زيدونى رحمكم الله تعالى فقالوا اللهم حل بيننا وبينه فقد شغلنا عنك فنظرت فلم أرهم نفعنا الله بهم يامن قطع الليل بالنوم والنهار بالفضول متي تلحق السابقين همم القوم فى مرضاة المولي وهمتك فى موافقة الهوي ان سعيكم لشتي كانت الصلوات للقوم خلوات وهي عند الغافلين مصادرات . وقف أبو يزيد البسطامى ليلة الى الصباح لا يستطيع ان يذكر الله بلسانه لما غلب عليه من الهيبة والاجلال (شعر)

وما تذكرتكم الا نسيتكم * نسيان اجلال لا نسيان اهمال

اذا تذكرت من أنتم وكيف أنا * أجللت ذكركم يأتى على بالى

استيقظ القوم ونمنا وجدوا وتخلفنا ونالوا المني وحرمنا يامن يقول اذا شئت تبت اليوم عهدكم فأين الموعد هيهات ما اليوم عهدكم غدا اجعل سهرك فى الدجا شفيعك في ذلتك أكتب بأقلام ذكر الممات على صفحات لوح الوجنات بمداد العبرات بأنامل ترك المحرمات وأرفع قصتك الى عالم الخفيات وقف على أقدام حسن الظن به في جميع الحالات يافارغ البيت من القوت هذه أيام الالقاط يامهجور ركعتان بعد النوم خير لك من ألف تجارة متي تجدريح يوسف يامسجون يا معشر التائبين أوفوا بالعقود وأنظروا لمن عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها يا مقهورا بغلبة النفس صل عليها بسوط العزيمة وامنعها من شهواتها المباحة عسى ان يقع الاصطلاح على ترك الحرام ان مالت الى الشهوات فالجمها بلجام التقوى وان أعرضت عن الطاعات فسقها بسوط المجاهدة والله مالم تجد مرارة الدواء لا تجد ذرة من العافية النفس مثل كلب الشواء اذا شبع نام واذا جاع بصبص (شعر)

تعصى الاله وأنت تظهر حبه * هذا محال فى الفعال بديع

لو كان حبك صادقا لأطعته * ان المحب لمن يحب مطيع

عباد الله انكم في شهر بركاته مشهورة وخيراته موفورة والتوبة فيه من أعظم الغنائم الصالحة والطاعة فيه من أكبر المتاجر الرابحة وهو شهر شعبان الذى جعله الله تعالى مضمارا لرمضان وضمن الله تعالى فيه للتائبين الامان من عود نفسه فيه الاجتهاد فاز في رمضان بحسن الاعتياد (ورد) فى الصحيح أن رسول الله صلي الله عليه وسلم كان يصوم شعبان ولا يفطر منه الا قليلا فى ليلة نصفه يقسم الله تعالى الآجال للعباد ويحكم فيها بالقرب والبعاد وقال يكتب فى ليلة النصف من شعبان اسم من يولد ومن يموت ومن يقف بعرفة فى تلك السنة وان الرجل ليتزوج ويبنى البنيان وقد خرج اسمه فى ديوان الموتي وقال ما من مسلم يسأل الله تعالى شيئا إلا أعطاه الا أن يكون من الظلمة أو المجاهرين بالمعاصى * وقال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه اذا كانت ليلة النصف من شعبان فتحت أبواب السموات السبع ووقف على كل باب ملائكة يستغفرون للمسلمين فيغفر لكل مسلم إلا من كان مصرا على كبيرة

(وكان) السلف الصالحون يصلون فيها مائة ركعة يقرؤون في كل ركعة مع الفاتحة سورة الاخلاص عشر مرات قال الحسن حدثني ثلاثون من أصحاب رسول الله ﷺ ان من صلي هذه الصلاة نظر الله تعالى اليه سبعين نظرة وقضي له بكل نظرة سبعين حاجة ادناها المغفرة * وقالت عائشة رضي الله عنها كانت ليلتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل الفراش حتي نمت ثم استيقظت فلم اجده فقمت فوجدته يصلي فخفف القيام ثم ركع وسجد فطول سجوده الى نصف الليل ثم قام الى الثانية كذلك ثم ركع وسجد فى الثالثة حتى كاد الفجران يطلع فظننت أنه قد قبض فوضعت يدي على قدميه فتحرك فحمدت الله تعالي فسمعته يقول سجد لك سوادي وآمن بك فؤادى هذه يدي التي جنيت بها على نفسي فاغفر لي الذنب العظيم فانه لا يغفر الذنب العظيم الا الرب العظيم أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وبك منك لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك فلما فرغ من صلاته قال اتدرين أي ليلة هذه هذه ليلة النصف من شعبان ان الله تعالي يغفر في هذه الليلة للمؤمنين الا لمدمن خمر أو مصر على الزنا أو الربا أو عاق لوالديه أو مصور أو فتان هذا سيد الاولين والآخرين وحبيب رب العالمين يتذلل بين يدى مولاه هذا التذلل ويتوسل اليه بكرمه هذا التوسل مع علمه بعظيم منزلته ورفيع درجته فكيف بمن عاقبته مجهولة ولا يدرى ان اعماله مردودة أو مقبولة وقال رسول الله ﷺ انا اعلمكم بالله واخشاكم له ويقال من لم يتب وهو خائف فليس بعارف (شعر)

من لم يتب والبين يقرع قلبه * لم يدر كيف تفتت الاكباد

قال بعضهم رأيت فتحا الموصلي يوما يبكي فاذا دموعه قد مازجها الدم فقلت بالله عليك يافتح على ماذا بكيت الدم فقال لولا انك حلفتني مااخبرتك بكيت الدموع علي تخلفي عن واجب حق الله تعالي وبكيت الدم خوفا على الدموع ان لا تكون صحت لى قال فلما مات رأيته في المنام فقلت له مافعل الله بك قال غفرلى قلت ماصنع بدموعك قال قربنى زلفى عزوجل * وقال لى يافتح ابكيت الدموع على ماذا قلت يارب عن تخلفي عن واجب حقك قال فالدم على ماذا قلت على الدموع ان لا تكون صحت لى فقال يافتح مااردت بهذا كله وعزتى وجلالى لقد صعد الى

حافظاك أربعين سنة بصحيفتك مافيها خطيئة قط (إلهي) سائلك ببابك فتعطف عليه مع أحبابك «إلهي» فقيرك ببابك فأجره من عذابك «إلهي» عبدك الضعيف ببابك فلا تذقه أليم حجابك «إلهي» قد أمرتنا بالتجاوز عن المسيء فتجاوز عن اساءتنا بجميل كرمك ولا تقطع عنا عوائد نعمك

اليك جئنا وأنت جئت بنا * وليس شيء سواك يغنينا
بابك رحب فناؤه كرم * تؤوى الى بابك المساكينا

ماضرنا من ردنا ان أنت قبلتنا ولا نبالى بمن سخطنا ان أنت رضيتنا اليك توجهنا و ببابك نزلنا و بحماك انخنا ولمعروفك تعرضنا (شعر)

شاد الملوك بناءهم وتحصنوا * من كل طالب حاجة أو راغب
عجبا لمسكين تذلل سائلا * لسوي الاله وطالب من طالب
مالى سواك وان اضربى الاسا * فبباب جودك قد حططت ركائبي
ولانت اعلم بالسرائر والذي * اخفيه فاسمح لى بنيل رغائبي

عن بابك لا نبرح لانا بغيرك ما نفرح لا بد لنا منك ولا صبر لنا عنك

(شعر)

على بعدك لا يصبر * من عادته القرب
ولا يقوي على هجرك * من اسقمه الحب
اذا ما كنت لي مولى * حلا لى اللوم والعتب
وان لم ترك العين * فقد شاهدك القلب

(اللهم) يامن فتح الباب للطالبين واظهر غناه للراغبين واطلق للسؤال السنة القاصدين وقال فى كتابه المبين ادعونى استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين اجعلنا من أوليائك المتقين وحزبك المفلحين وآمنا من الفزع الاكبر يوم الدين واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين وصلي الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الفصل الرابع عشر في التقديم وقدوم رمضان)

﴿الحمد لله﴾ الذى وفق العاملين لطاعته فوجدوا سعيهم مشكورا وحقق آمال

الآملين برحمته فمنحهم عطاء موفورا و بسط بساط كرمه للتائبين فاصبح وزرهم مغفورا وأسبل من نعمه على الطالبين وابلاغزيرا ولم تزل أبواب جوده للراغبين مفتوحة الواحد الذي من قصد غيره ضل العزيز الذى من اعتز بغيره ذل الكبير الذى من نازعه فى كبريائه قصم وأذل العظيم الذي تفرد بصفات الكمال وتعالي وجل الافكار عن إدراك كبريائه ممنوعة والخيرات من عطائه ممنوحة الذي يعطى الفضل الجزيل على العمل القليل و يعطى بفضله الذنب الو بيل بالستر الجميل و يغفر الوزر الثقيل فيقبل و يقيل و يرى الخاضع الذليل فى الليل الطويل و يسمع أنين المذنبين بالقلوب الحزينة اذا وقف المجتهدون فى جنح الظلام وتلذذوا باطيب الكلام و بسط التائب لنفسه بساط العتب والملام و بكى على تفريطه فحرم لذيذ المنام الحقه بالمحسنين وغفر له الافعال القبيحة مولى وفق الصالحين لخدمته وأثني و بدأ المحسنين برحمته وثني واطلع على جرائمنا فلم يقطع فضله عنا وجاد ببره وكرمه على ما كان منا فسبحانه من كريم أضحت رحالنا بباب كرمه مطروحة الذى عم جميع بريته برحمته وعطائه وخص أهل مودته بمعرفته وولائه وروح أسرارهم على بساط مناجاته بحسن ثنائه وفتح أسرارهم في ميدان معانى أسمائه فعاشوا ورتعوا فى رياض فسيحة دعاهم فاجابوا وولاهم فاتابوا ووعدهم فما ارتابوا وأحضرهم فما غابوا وشاهدوا الاله فصدورهم بالايمان مشروحة ابتهجت سرائرهم بذكره ولهجت ألسنتهم بشكره وشغلت جملتهم بنهيه وأمره ووجلت قلوبهم من وعيده ومكره فسكنت الجوارح وقصرت الالسن الفصيحة فالخلوات مع الله أنسهم وميدانهم والمناجاة روائحهم وريحانهم وذكر الله نزهتهم و بستانهم وتلاوة القرآن نعيمهم وسلوانهم ولهم فى الاشتغال به عن جميع الاشغال مندوحة من أقبل على مولاه كفاه ومن استطبه لدائه شفاه ومن رضيه شغل بذكره قلبه وفاه ومن أبعده قطعه عن بابه ونفاه لا يتجمل بطاعة العاملين ولا يتزين بذكر الذاكرين ولا يبرمه الحاح السائلين ولا ينقص ملكه إعراض الغافلين ألم تر أن الله يسبح له من فى السموات والارض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه (أحمده) على ما ألهم من حمده وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في عزه ومجده وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى سبح نفسه بما أولاه

من وده فقال جل وعلا سبحان الذى أسرى بعبده صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين أخلصوا الله ومحضوا النصيحة (في قول الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ماقدمت لغد) الآيات اتقوا الله أي خافوه واطيعوه واخشوه وراقبوه فانه خبير بالبواطن والظواهر عليم بما تكنه الضمائر وانظروا لنفوسكم أجمل النظر وكونوا من مكر الله تعالى علي حذر ولا تكونوا كالذين تركوا أمر الله ونسوا ذكر الله فانساهم النظر فى مصالح نفوسهم حتى باعوا حظهم من ربهم بشهوات زائلة ورضوا من النعيم الباقى بغرور العاجلة والسعداء تأهبوا لمعادهم وأخذوا فى تحصيل زادهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمني على الله الاماني قيل شبع يحيي بن زكريا ليلة فنام عن ورده فاوحى الله تعالى اليه يا يحيي هل وجدت دارالدنيا خيرا من دارى هل وجدت جوارا خيرا من جوارى وعزتى وجلالى لواطلعت على الفردوس اطلاعة لذاب جسمك ولزهقت نفسك اشتياقا ولواطلعت على جهنم اطلاعة لذاب جسمك ولبكيت الصديد بعد الدموع وللبست الحديد بعد المسوح . ولما تعبد عتبة الغلام كان لا يتهنأ بطعام ولا شراب فقالت له أمه يا بني أرفق بنفسك فقال الرفق اطلب دعيني اتعب قليلا وأتنعم طويلا . وقال ثابت البناني ادركت رجالا كان أحدهم يصلى حتى يأتي فراشه حبوا (وكان) صفوان بن سليم قد بلغ به الاجتهاد مالوقيل له القيامة غدالم يردمزيدا «وكان» يقول اللهم احب لقاءك فاحب لقائي ومات وهو ساجد رحمه الله تعالي وأصاب عبدالرحمن بن الاسود وجع فى احدى رجليه فكان يقوم الليل على قدم واحدة ويصلي بوضوء العشاء الصبح . يامن همته همة النساء يعجبه ثوب ومطعم اين علامات الرجولية تضيع منك حبة فتبكي وقد ضاع عمرك وأنت تضحك تستوفى مكيال هواك وتنقص مكيال صلاتك ويل للمطففين لك خمسون سنة وأنت في مكتب التعليم وماتعديت ابجد وغدا توبخ عند عرض الالواح أولم نعمركم مايتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير يامجنون إما مارستان العزلة وقيد الحمية وسلاسل التقوي ومرافقة الابرار واما مرافقة ابليس في مارستان جهنم ياهذا قلبك عذب ونفسك ملح اجاج فاجعل التقوي برزخا بين البحرين لوعرفت قدر ما اعطيت ما القيت

جوهرة قلبك فى مزابل الهوى انما خلقت الأكوان لأجلك الدنيا لتزرع فيها والآخرة لتتوطن والملائكة أسجدتهم لابيك أترى تعرف قدراذ كرونى أذكركم أوقيمة يحبهم ويحبونه أومرتبة وانا الى لقائهم أشدشوقا اذاصعدت الملائكة عن مجلس الذكر يسألهم الله عزوجل وهوأعلم فيقول من أين جئتم فيقولون من عند عبادك يسبحونك ويقدسونك ويحمدونك ويمجدونك فيقول سبحانه وتعالى أشهدكم أنى أعطيتهم مايطلبون وأمنتهم ممايخافون يامن يسأل عن القادمين اذا ماكنت لهم هكذامولى فكيف اذاسكن الخوف فى قلوبهم فاذابها

وكم ناحل بين تلك الخيام * تحسبه بعض أطنابها

(وكان) وهيب بن الورد قد نحل من العبادة حتى كان خضرة البقل تري من جلدة بطنه ومات يوسف بن اسباط ولم ير على عظمه سوى الجلد (شعر)

وخيال جسم لم يخل له الهوى * لحما فينحله السقام ولادما

وكان الاسود بن يزيد يصوم حتي يصفر ويخضر ويقول دع نفسك تبكي من شدة الرياضة فتستريح عند صحبة الملوك . قال أبو يزيد سقت نفسي الي الله عزوجل وهى تبكي حتي انساقت وهى تضحك قدمال بها الهوى عن المسلك وقصوا بها على الجادة فانها تعرف المنزل وعللوها بحديث حاجز ولتصنع الفلاة ما بدالها فى مجلس الذكر كليلة ترائى الهلال فالصالحون رأوا هلال الهدى وهم يشيرون الى عمش المعاصى ليروه القوم اذاجنهم الليل خلا الفكر بالقلب فى بيت الوحدة فجرت أوصاف الحبيب فنطق قلق الشوق فضربت بطون الرواحل لسير السهر فلا نزم يأحذ القوم دوموا على الحمية فاذاذابت الأبدان تجلت لها العافية اياكم والتخليط فانه سبب المرض لا يصعب على الخيل تضميرها فتستريح يوم السباق شعر

تروم وصالا من سليمى ولم تجد * بنفس متى نال الوصال بخيل

من ركب مركب المجاهدة حط بساحل المشاهدة والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين ومن ركب مركب الصبر حط بساحل الاجر انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ومن ركب مركب الفنا نال مراتب المنى فلا تعلم نفس ماأخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون *أوحى الله تعالى الي بعض الانبياء

عليهم الصلاة والسلام عاد نفسك فليس لي في المملكة منازع غيرها * وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال ألا أدلكم على صاحب إن أنتم أجعتموه وأهنتموه أكرمكم وان أنتم أكرمتموه أفضى بكم الي شر غاية قالوا والله يارسول الله ان هذا الشر صاحب فقال والذي نفسي بيده انها لنفوسكم التي بين جنوبكم * وقال على بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه سائر أعمال البر في جنب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر كتفلة في جنب البحر والامر بالمعروف والنهي عن المنكر في جنب الجهاد في سبيل الله كتفلة في جنب البحر والجهاد في جنب مجاهدة النفس عن هواها كتفلة في جنب البحر وقال ابراهيم ابن أدهم لن ينال الرجل درجة الصالحين حتي يجوز ست عقبات يغلق باب النعمة ويفتح باب الشدة ويغلق باب العز ويفتح باب الذل ويغلق باب الراحة ويفتح باب الجهاد ويغلق باب النوم ويفتح باب السهر ويغلق باب الغني ويفتح باب الفقر ويغلق باب الأمل ويفتح باب الاستعداد للموت * وقال أبو حفص من صبر على المجاهدة قليلا فتح الله عليه برؤية المنة وملأ قلبه بحلاوة الطاعة فسهل الله عليه ما كان عسيرا وقال مالك بن دينار جاهدوا أنفسكم كما تجاهدون أعداءكم وكان الحسن يقول المداومة عباد الله المداومة فان الله تعالى لم يجعل لعمل أجلا دون الموت (ورؤي) حماد بن سلمة في النوم فقيل له مافعل الله بك فقال خيرا قال لي طالما كددت نفسك فاليوم أطيل راحتك وراحة المتعبين في الدنيا بخ بخ ماأعددت (وكانت) أم محمد بن كعب تقول له يابني لولا أني أعرفك صغيرا طيبا لظننت أنك أحدثت ذنبا موبقا لما أراك تصنع بنفسك بالليل والنهار فقال ياأماه ومايؤمنني أن يكون قد اطلع الله على وأنا في بعض ذنوبي فمقتني وقال اذهب فلا غفرت لك مع أن عجائب القرآن اترد ني عن أموري حتي انه لينقضي الليل ولم أفرغ من حاجتي ويقال من كرمت عليه نفسه هان عليه دينه * وقال النصراباذي سجنك نفسك ان خرجت منها وقعت في راحة الابد * وقال ابن عباس إن الله تعالى قد أخبر أن طريق الجنة لا تقطع إلا بمكابدة فقال تعالي لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الأمور وقال تعالي لقد خلقنا الانسان في كبد قال الحسن يكابد أمر

الدنيا والآخرة * وقال عيسى عليه الصلاة والسلام الدنيا والآخرة كضرتين ان أرضيت احداهما أسخطت الاخرى. وقال عون بن عبد الله الدنيا والآخرة ككفتى الميزان بمقدار ماترجح احداهما تخف الاخرى * وقال ابن السماك من أذاقته الدنيا حلاوتها بميله اليها جرعته الاخرى مرارتها بتجافيها عنه وقال أبو مالك لأبي أيوب احذر نفسك فاني رأيت هموم المؤمنين فى الدنيا لا تنقضي وأيم الله لئن لم تأت الآخرة للمؤمنين بالسرور لقد اجتمعت عليهم هموم الدنيا والآخرة قال فقلت كيف لا تأتيه الآخرة بالسرور وهو يعمل لله في الدنيا ويدأب قال فكيف بالقبول وكيف بالسلامة كم من رجل يرى أنه قد أصلح شأنه يجمع عمله يوم القيامة كله فيضرب به وجهه وقال وهب بن منبه مكتوب فى التوراة شوقنا كم فلم تشتاقوا وخوفنا كم فلم تخافوا ونحنا لكم فلم تبكوا وان لله كل يوم مناديا ينادى أبناء الاربعين زرع قد دنا حصاده أبناء الخمسين هلموا الي الحساب أبناء الستين ماذا قدمتم وماذا أخرتم لاعذر لكم أبناء السبعين عدوا نفوسكم في الموتي ليت الخلق لم يخلقوا فاذا خلقوا علموا لماذا خلقوا ألا أتتكم الساعة ألا اخذوا حذركم (ياهذا) تفكر لماذا خلقت فمن يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين النفس لا تكاد توافقك طوعا فخذ آلة الحرب فالكيس من دان نفسه ان أحست منك بمسامحة طمعت ولا تنزع رداء الهيبة عن رأس رياستك ولا ترفع عصاك عن أهلك فان قويت عليك فاستعن بخالقها استعينوا على كل صنعة بصالح من أهلها فان أذعنت فارفق بها فان هذا الدين متين (شعر)

كيف ترضى بمقلة تألف النوم * ودمع يصان في الآماق

وزمان الصبا مر وقد أنفق * أيامه زمان الفراق

والليالي تمضى سراعا ومايقبل * منها حوالة فى الباقى

(كانت) امرأة متعبدة لاتنام من الليل إلا يسيرا فعوتبت في ذلك فقالت كفي بطول الرقدة فى القبور رقادا (شعر)

أيها العذال لاتعذلوا * انما النصح لمن يقبل

وأرى ليلي لا ينقضى * طال ليلي والهوي أطول

(عوتب) بعض الصالحين فى كثرة بكائه فقال والله لأبكين ثم لأبكين فان أدركت

بالبكاء خيرا فمن فضل الله وان تكن الاخرى فما بكائي في جنب ما ألقى وعوتب آخر في كثرة بكائه فقال ان حزن القيامة أورثني دموعا غزارا فأنا أستريح بذرفها (وكان) الحسن يبكي ليلا ونهارا ويقول أخاف أن يطرحني في النار ولا يبالي * وكان محمد بن المنكدر كثير البكاء فسئل عن ذلك فقال آية في القرآن أبكتني وهي قوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون الفكر في السابقة أقلق الأرواح وأذاب القلوب ﴿ياهذا﴾ سق نفسك بسوط المجاهدة وهي تبكي فعن قليل يثمر البكاء سرورا عند الصباح يحمد القوم السرى. قال أبو بكر الزاهد دفعت الشهوات حتى صارت شهوتي المدافعة يعني صار في تركها لذة. يا أرباب الدنس لا تقنعوا بصب ماء التوبة على ظاهر البدن بلوا الشعر وأنقوا البشرة. أبلغ المراهم في دواء الخطايا الندم وأحسن زي التائب حلة الانكسار وأنفع الالفاظ في اجتلاب الرحمة ربنا ظلمنا أنفسنا * وفي الآثار ان ملكين من السماء كل يوم يقول أحدهما يا ليت الخلق لم يخلقوا ويقول الآخر ليتهم اذا خلقوا علموا لماذا خلقوا ويقول الاول ليتهم اذا علموا لماذا خلقوا عملوا بما علموا ويقول الآخر ليتهم اذا لم يعملوا تابوا مما عملوا. ويقال العمر بضاعة والرابح من صرفه في طاعة قال الله تعالى في محكم الآيات ردا على من يتمنى رفيع الدرجات وهو معرض عن الطاعات غافل عن رب الارض والسموات أم حسب الذين اجترحوا السيآت أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات * عباد الله قد مكنكم من التجارة الرابحة من أوسع لكم مواسمها ويسر لكم الاعمال الصالحة من بين لكم معالمها ورغبكم في الخيرات من وفر مغانمها ودعاكم الى رفيع الدرجات من منحكم كرائمها فاحمدوا الله تعالى على ما أعطاكم من نعمة الاسلام واشكروه على ما خصكم به من اتباع محمد ﷺ شكرا يستغرق أفكاركم عن النظر فيما ينقص من أموالكم والفكرة في عاجل أحوالكم فكل نعمة تفوقها نعمة الاسلام وكل مصيبة فانها دون مصيبة الطرد والحرمان فنسأل الله تعالى ان يجعل فكرنا فيما لديه وهمتنا فيما ينفعنا يوم القيامة بين يديه إنه على ما يشاء قدير وان شهر شعبان قد انقضى عنكم أكثره ودنا رحيله شاهدا للمحسنين بما قدموا من عمل صالح وبما أخلصوا فيه من متجر رابح شهيدا على المفرطين بأوزارهم وما حملوا على نفوسهم من ثقل اصرارهم وقد أظلكم الموسم

الذي هو أعظم منه غنيمة وسعادة وأوفر منه فى طلب الحسنى وادخار لزيادة شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس و بينات من الهدى والفرقان تفتح فيه أبواب الجنان و تغلق فيه أبواب النيران ويصفد فيه كل مارد وشيطان فاعدوا لقدومه عدة واسألوا الله تعالى التوفيق الي ان تكملوا العدة والحذر الحذر من التفريط والاهمال والتكاسل عن صالح الاعمال فهمة الصالحين فيه القيام والصيام والكف عن فضول الكلام والسلامة من جميع الآثام والاشتغال بذكر الملك العلام وهمة الغافلين التلذذ بألوان الطعام وتضييع أوقاته بالغفلة والمنام وسيتبين لكم يوم الفصل الأوضح أي الفريقين أسلم وأربح ﴿إلهي﴾ ان قلوبنا موقنة بصدق ما وعدت و نفوسنا طامعة بحسن ما عودت ألهمتنا معرفة وجودك وعاملتنا بكرمك وجودك وزينتنا بصدق توحيدك وأنطقتنا بتمجيدك وتقديسك وتحميدك وأكرمتنا بتصديق محمد خير خلقك صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم وجعلت حقه علينا أعظم الحقوق بعد حقك* اللهم حسن ايماننا بالتوفيق وزين سرائرنا بالتحقيق وأحمنا من المخالفة والعصيان وكفنا عن آفات الاعراض والتفريط والنسيان كما حميتنا بكرمك من دواعي الفكر الموبقة ونفحات البدع المحرقة أنت العلى العظيم المتعال الكبير الاكبر المتكبر ذو العز والجلال والكرم والمجد والكمال تحيرت العقول فى وصف جلالك وقصرت الافهام عن الاحاطة بكمالك فأنت مع جبروتك وعزتك تجبر الكسير وترحم الفقير برحمتك وتعز الذليل الحقير اذا لاذ بجنابك وتغنى السائل المسكين اذا وقف ببابك فأنت الملك الأعظم والمولى الاكرم وها نحن وقفنا ببابك وأنت أعلم ليس فى قلوبنا أحد نرغب اليه رغبتنا اليك ولا لنا ركن نعتمد عليه اعتمادنا عليك وقد اعترضت نفوسنا بالاساءة وانقطاع الحيل ووثقت قلوبنا بجميل الرجاء وحسن الامل ﴿إلهي﴾ تفضل علينا بالقبول والاجابة وارزقنا صدق التوبة وحسن الانابة واجعلنا ممن رجع اليك فأكرمت مآبه يامن أمد بعنايته أوليائه وأحبابه

(الفصل الخامس عشر في الاستعانة وذكر رمضان)

الحمد لله المنفرد بالقدم والبقاء والعظمة والكبرياء والعز الذى لا يرام الصمد

الذي لا يمثله العقل ولا يحده الفكر ولا تدركه الافهام القدوس الذى تنزه عن أوصاف الحدوث فلا يوصف بعوارض الاجسام الغني عن جميع المخلوقات فالعلوى والسفلي والانس والجن والعرش والكرسي مفتقر اليه وهو غني على الدوام سبق الزمان فلا يقال متى كان وخلق المكان فلا يقال اين كان تبارك اسم ربك ذو الجلال والاكرام الحى العليم القدير السميع البصير المدبر الخبير المتكلم بكلام قديم أزلي لا يشبهه كلام صفاته كذاته فلاوجه للجدال والخصام ترك المعطل ماورد به النقل من صفات الكمال فخار على وجهه وهام وجهل المشبه ماشهد به العقل من صفات الجلال فهو يخبط في الظلام وجمع المحقق بين العقل والنقل فآمن بالله واستقام وشغله عن الفكر فى ذاته الاجلال والاعظام فوجد لذة مناجاة مولاه فهجر لذيذ المنام وصحب رفقة تتجافى جنوبهم عن المضاجع رغبة في القيام فلو رأيتهم * وقد سارت قوافلهم في حندس الظلام واحد يسأله العفو عن زلته وآخر يسأله التوفيق لطاعته وآخر يستعيذ به من عقوبته وآخر يرجو منه جميل مثوبته وآخر يشكو اليه مايجد من لوعته وآخر شغله ذكره عن مسئلته فسبحان من أيقظهم والناس نيام (شعر)

لله ماأطيب ذاك السهاد * وما الذ القرب بعد البعاد

وما أشد الهجر من بعدما * قد كنت من جملة أهل الوداد

ياناسيا للعهد عاملتنا * ثم تعطلت بطيب الرقاد

ثم تشاغلت واين الذى * حصلت كلا بل حرمت المراد

فاز الذي عاملنا بالرضا * وحصل الزاد ليوم المعاد

شمر من النوم ودع مامضي * وكن فقيرا مامضي لا يعاد

فتبارك الذى غفر وعفا وستر وكفي وعلم ماظهر وماخفي واسبغ على الكافة جميل الانعام ﴿أحمده﴾ على جميع نعمه الوافرة الجسام واسأله حفظ نعمة الاسلام وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له إله عز من اعتز به فلا يضام وذل من تكبر عن أمره ولقى الآثام وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي بين به طريق القوام وانزل عليه تعظيما لحقه وتشريفا وتبيينا لمنته علينا وتعريفا قدجاء كم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام صلي الله عليه وعلي

آله وأصحابه صلاة دائمة الي يوم الدين (في قول الله تعالى يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين) استعينوا بقطع مفازة الآخرة والسلامة من شدائدها للصبر لله على ما تكرهون وحبس نفوسكم عما تشتهون وأكثروا من الصلاة فانها مفتاح باب المناجاة مع المولى الرحيم وفيها راحة القلوب بمخاطبة الملك الكريم قال رسول الله ﷺ جعلت قرة عيني في الصلاة ويقال استعينوا بالصبر على قطع شدائد الدنيا واستعينوا بالصلاة على قطع شدائد الآخرة وقال ابن عباس استعينوا بالصبر على أداء الفرائض وبالصلاة على تمحيص الذنوب وقال مجاهد الصبر هنا الصوم فمعناه استعينوا بالصوم والصلاة على نيل ما ترجون ودفع ما تخافون (كان) عيسي عليه الصلاة والسلام يقول والله انكم لن تنالوا ما تطلبون الا بترك ما تشتهون ويقال شهوة العاقل وراء فكرته فاذا عرضت له شهوة سبقتها الفكرة في العواقب وفكرة الاحمق وراء شهوته فهو يبادر الى الشهوات غير مفكر فيما يجده من الآفات فاذا وقف يوم عرض الديوان تبين الربح من الخسران وأرباب الغفلة لا فكرة لهم فى الآخرة همهم ما يأكلون وكذا ما يلبسون يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون يسيرون بأعمالهم الى جهة جهنم وما ينتبهون حتي تحط الركائب على شفير الوادى أين المتأهب للاهوال أين الاعتداد لعرض الاعمال يا هذا تنظر في المرآة اذا أردت لقاء الخلق فلم لا تنظر فى مرآة قلبك للقاء الحق يا مغترا بلهب الامل مثل اغترار الفراش أين نظر البصائر ويحك قم لتستريح فى مقعد صدق عند مليك مقتدر اسلك جادة الجد ولا تتبع الهوي فتضل يا قليل الخبرة بالطريق اطلب رفقة استغث يا بعيد الدار اندب يا طريد تأسف يا مهجور تعلق يا مأسور أين انكسار المعتذر أين بكاء المفتقر شعر

يا راقدا فى غفلة * يا قاعدا عما أمر
أين الذين استبصروا * ساروا الى المولى فسر
قم فى الدجى مستغفرا * وابك بدمع منهمر
وانهض الى درك العلا * جدا بقلب مصطبر

أين بكاء الحزين أين تعلق المسكين أين تشمير المجتهدين أين الحنين الى أحوال

السابقين يامن يحدث نفسه بالتوبة و يتوقف للتأخير آفات ﴿شعر﴾

هذا زمان الصالح ما أقعدك * عن باب من بالخير قد عودك
ترجو الرضا من غير أبوابه * وعن طريق الرشد ما أبعدك
قم في الدجي مستغفرا باكيا * واطلب رضا مولاك كي يرشدك
كن راجيا مستبشرا خائفا من * سطوة المولى تنل مقصدك
فان محوت اليوم ماسطرت * أيدي خطاياك فما أسعدك

العجب ممن تداولته الدهور كيف لا يعتبر بمن مضى ومن ذهبت أيامه وكثرت آثامه كيف لا يتذكر من كان قبله وانقضي * دخل قتيبة بن مسلم على الحجاج فقال له يا قتيبة انك في سني فانشد يقول ﴿شعر﴾

اذا كانت الخمسون سنك لم يكن * لدائك إلا أن تموت طبيب
وان امرأ قد سار سبعين حجة * الى منهل من ورده لقريب
اذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل * خلوت ولكن قل على رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة * ولا ان ما يخفي عليه يغيب
اذا ما مضى القرن الذى أنت منهم * وخلفت فى قرن فأنت غريب

﴿وكان﴾ عيسي عليه الصلاة والسلام اذا مر بالشباب يقول يامعشر الشباب كم من زرع هلك قبل ان يدرك الحصاد واذا مر بالشيوخ يقول يامعشر الشيوخ ماينتظر بالزرع اذا أدرك الحصاد * وقال أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه مامن شيء أحب الي الله تعالي من شاب تائب . وقال كعب الاحبار ان الله تعالي يقول ياشاب كسرت شبابك وعفرت وجهك في التراب من أجلي وعزتى وجلالى لأوتينك ثواب تسعة وتسعين صديقا * وقال يزيد بن ميسرة ان الله تعالى يقول أيها الشاب التارك شهوته المبذل شبابه من أجلي أنت عندى كبعض ملائكتي * وقال عمر بن عبد العزيز اذا رأيتم الشاب يلازم المسجد فارجوا خيره * ونظر عمر بن الخطاب رضى الله عنه الي غلام يتردد فى الاسحار الى المساجد وعليه جبة صوف فقال له ياغلام لقد أسرعت فقال ياأمير المؤمنين ليس كل ثمر يدرج النضج * وقال ثابت البنانى كان شاب على عهد رسول الله ﷺ يلبس ويتزين فلما مات ﷺ اجتهد الشاب وشمر في

العبادة فقيل له لو فعلت هذا فى عهد رسول الله ﷺ لقرت عيناه بك فقال كان لى امانان فمضى أحدهما ولم يبق الا الآخر قال الله تعالى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون وقدمات ﷺ ولم يبق الا الاستغفار والاجتهاد (وفى الحديث) اذا بلغ العبد أربعين سنة ولم يغلب خيره على شره فليتجهز الى النار (وفى الحديث) ما أكرم شاب شيخا لسنه إلا قيض الله له عند سنه من يكرمه (ونظر) بعض الصالحين الى شيخ كبير وهو يسأل الناس فقال هذا شيخ ضيع حق الله في صغره فضيعه الله تعالي فى كبره ويقال العبادة حسنة وهي فى الشاب احسن والمعاصى قبيحة وهى فى الشيوخ أقبح ﴿شعر﴾

عصيت هوي نفسي صغيرا فعندما * أتتنى الليالى بالمشيب وبالكبر

اطعت الهوي عكس القضية ليتنى * خلقت كبيرا ثم عدت الى الصغر

ويقال الليالى والايام يعملان فى قطع عمرك فاعمل فيهما فان لم يكن لك كبير عمل فاجعل اجتهادك فى ترك المعاصي والحزن على التقصير ﴿شعر﴾

احزن على انك لاتحزن * ولا تسيء ان كنت لاتحسن

واضعف عن الشر كما تدعى * ضعفا عن الخير وقد يمكن

﴿وكان﴾ زين العابدين يقول لنفسه حتى متي على الدنيا اقبالك وشهواتك اشتغالك وقد وعظك القدير ووافاك النذير وانت عما يوافيك ساهى وبلذة النوم لاهى (شعر) لرؤية شيبي صمت عن طلب الصبا * وعيد شبابى لايعود فأفطر

ان الرجال بادروا للآجال لعلمهم ان سير المنية العجال عرفوا ان الراحة فى المعاد فهجروا طيب الرقاد واشتغلوا بتحصيل الزاد ﴿شعر﴾

ياغافلا مقبلا على أمله * تسلك سبيل العزفي مهله

كم نظرة لامرىء يسر بها * فعاقها عنه منتهى أجله

﴿وفى الحديث﴾ لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتي يسأل عن أربع عن عمره فيم أفناه وعن شباه فيم أبلاه وعن علمه فيم عمل فيه وعن ماله فيم اكتسبه وفيم أنفقه ﴿وغضب﴾ بعض الملوك على وزيره فاراد أن يصرفه عن خدمته و يبعده

عن حضرته فقال له الوزير ان كان ولا بد فرد على ما أنفقته في خدمتك فقال وما هو قال شبابي رده على فقد انفقته فى خدمتك فأعجب الملك ذلك ورضي عنه ﴿ ووقف ﴾ بعض الصالحين بعرفة وقال إلهى وسيدى الواحد منا اذا كان له عبد وكبر فى خدمته وفى داره لا يبيعه ولا يضر به وقد كبرت فى دارك فاعتق رقبتى بجودك * وفي الحديث من شاب شيبة فى الاسلام استحي الله أن يعذبه بنار جهنم يامن كتابه ملآن بالذنوب استدرك امرك من الآن متي تتحدث الجيران بأنه قد تاب فلان أتري تخرج من ذنوبك قبل خروجك أتري يدرك قبيحك بالعفو قبل دروجك (شعر)

قل للزمان صلحا * قد عاد ليلي صبحا
وأعذب الشرب الذى * كان أجاجا ملحا

يامذنبين هذا وقت الانابه ياغافلين عن الحق وقد فتح بابه تعرضوا للقبول فهذا وقت الاجابه بكى أبوكم آدم على ذنب واحد ثلثمائة سنة فاعتبروا ياأولي الابصار كانت صعداء انفاسه تملأ مزاود المسافرين كان كلما رأى الملائكة تصعد الى السماء قال واشوقاه الى الاوطان ﴿شعر﴾

لولا تذكر أيام بذى سلم * وعند رامة أوطارى وأوطانى
لما قدحت بنار الوجد فى كبدي * ولا بللت بماء الدمع أجفانى

ياأصحاب الذنوب احذروا زلة يقول الحبيب منها هذا فراق بيني و بينك أكبر البلايا سفر الركب الى بلاد الحبيب عند مسيرهم يودعون الزمن (شعر)

ولم يبق عندي فى الهوى غير أننى * اذا الركب مروا بى على الدار أشهق

يامن كان له قلب معافى فمرض أذكر خطيئتك ما كان أحسن قلبك وما كان اصفى شربك فاكثر على المصاب ندبك لم يبق لك الآن حيلة الا ملازمة باب الطبيب فان لم تقدر على الدواء فابك فالبكاء رأس مال الفقير يامن على ظهره أثقال من قبيح الاعمال بينك و بين العفو أن تضع الوزر عن الازر بكف الندم الشباب قد ولي والضعف قد تولى ومعول الكبر يعرقب حيطان الاجل (شعر)

اذا كنت قوت النفس ثم هجرتها * فلم تلبث النفس التي أنت قوتها
ستبقي بقاء الضب فى الماء أوكما * يعيش ببيداء المفاوز حوتها

ياهـذا بادر الزمن قبل الزمن واغتنم الصحة قبل السقم فـكان قد جاء المرتقب * جلس يونس بن عبيد يوم مع أصحابه يتحدثون ثم قام وقال مضي والله من أجلي وأجلكم ساعة يامن يعد بالتوبة ويسوف بادر فقد فتح الباب وأعـدت ولائم الأفراح الاحباب (شعر)

تعال قد أمكن المكان * واجسر على الوصل ياجبان

عجـل فان الزمان غر * من قبل أن يفطن الزمان

التوبة الصادقة تقطع آثار الذنب اذا صدق التائب أنسي الله تعالى الملائكة ذنوبه وأنسى بقاع الارض عيوبه ومحـا من أم الكتاب زلاته ولا يحاسبه يوم القيامة عليها اذا رأيت سعة الدنيا عند العصاة فاعلم أنها حظهم والآخرة عند ربك للمتقين * ياغائبا عنا وهو حاضر مالك ناظر ناظر أماترى الشوق قد قدح زناد المبادر أماترى دموع الواجدين تذرف على المحاجر أف لبدوى لا يطربه ذكر حاضر * يامن يطمع أن يلحق بالعاملين وهو راقـد فى مهاد الغافلين فارق أوطان غفلتك فلعلك تصحوا من سـكرة فترتك تالله لو أردت المسير لما التفت الي الأوطان ولو ذقت حلاوة الخلوة بالمولى لمـا سكنت الى مؤانسة الخلان (عباد الله) هذا شهر رمضان الذى كتب الله عليكم صيامه وأوجب عليكم تعظيمه واحترامه وأجزل الثواب لمن أحصي ليله وقامه قال الله عز وجل ياأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون معناه لم فرض عليكم الصيام كما فرض على الامم قبلكم الصيام وقيل معناه كان رمضان فرضا على أهل الـكتاب فغيروه وقوله لعلكم تتقون لعلكم تتحرزون عن العقوبة بفعل ماأمرتم به قال الله تعالى قوا أنفسكم وأهليكم نارا فمن عمل بطاعة الله وقي نفسه من عقوبة الله تعالى وفيه إشارة إلى أن الصوم عون على التقوى فان فيه حبس النفس عما تهوى ويقال خاطبنا الله تعالى في أول الآية باسم الايمان تعريفا بالمنة في نعمة الاسلام وتخفيفا لما تجده النفس من ثقل الصيام وقال كتب عليكم الصيام وقال سبحانه وتعـالي كتب ربكم على نفسه الرحمة فاذا وفيت بما عليك وأنت بالغدر معروف فكيف لا يوفى بمـا عليه سبحانه وتعـالى بما كتب على نفسه وهو بالكرم موصوف أنت اذا وفيت بما عليك يلحقك التعب والرب سبحانه وتعالى اذا

وفى بما عليه لا يلحقه النصب ومن أوفى بعهده من الله ولا يخسر أحد على الله * روى أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ماتقدم من ذنبه * وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر * وفى صحيح مسلم عن رسول الله ﷺ أنه قال قال الله عز وجل كل عمل ابن آدم له الا الصيام فانه لى وأنا أجزي به والصيام جنة فاذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث يومئذ ولا يسخب فان سابه أحد أو قاتله فليقل انى امرؤ صائم انى امرؤ صائم والذي نفس محمد بيده لخوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك وللصائم فرحتان يفرحهما اذا أفطر فرح بفطره واذا لقى ربه فرح بصومه * قوله إلا الصيام فانه لي قيل خص الصيام بالاضافة للتشريف والاعمال كلها لله تعالى كقوله تعالي ناقة الله والابل كلها لله وان المساجد لله والبقاع كلها لله وقيل خصه لانه سر بين العبد وربه وقيل خصه بالاضافة لانه لم يتقرب به لغير الله تعالى من صنم ولا غيره وقيل فيه إشارة الى أنه سبحانه وتعالي صمد لا يطعم وقيل خصه لانه لم يطلع أحد على مقدار ثوابه وفى الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين ومناد ينادى فى كل ليلة يا طالب الخير هلم ويا طالب الشر أمسك * روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل في الصوم فليس لله حاجة فى ترك طعامه وشرابه * وروى كعب الاحبار ان الله تعالى قال لموسى عليه الصلاة والسلام انى آليت على نفسى أن لا أرد دعوة صائمى شهر رمضان ياموسى ألهم فى رمضان السموات والارض والجبال والطير والدواب أن يستغفروا لصائمى شهر رمضان * ياشهر رمضان أين أرباب القيام أين المجتهدون فى جنح الظلام أين الذين كانوا يهجرون المنام ويتمنون لو كان رمضان على الدوام ذهبوا الا القليل منهم فعليهم السلام كانوا قليلا من الليل مايهجعون وبالاسحار هم يستغفرون قال السائب بن يزيد لما جمع عمر بن الخطاب الناس لقيام رمضان قدم أبى بن كعب وتميما الدارى يصليان بالناس فكان القارىء يقرأ بالمائتين وكنا نعتمد على العصى من طول القيام ولا ننصرف

إلا فى فروغ الفجر وقال عبد الرحمن بن هرمز كان القارىء يقرأ بالبقرة في ثمان ركعات * وروى عبدالله بن أبى بكر عن أبيه قال كنا ننصرف من قيام رمضان فنستعجل الخدم بالطعام مخافة أن يطلع الفجر (وكان) الشافعى رضي الله تعالي عنه يختم فى رمضان ستين ختمة . تعبوا والله قليلا واستراحوا كثيرا وتبوؤا من رياض الرضا مقيلا والبائس المسكين من لم يجد الى لحاقهم سبيلا والمغبون من رضي بحظه العاجل بديلا إلهي أنت الملك الكريم وكل معبود سواك باطل اليك رغب القاصدون وابتغوا اليك الوسائل مولاي تعطف ها عبدك خاضع وسائل إحسانك واسع عميم لاينقص جودك المسائل فيك توله القاصدون فاللسان كليل والعقل داهش ذاهل ما أسعد من قطعته عنه اليك ما أطيب من خلوته بين يديك مولاى سرائري وشكواى لديك فاعطف كرما فقد توكلت عليك أنت الملك المالك تعطى وتمنع وتضر وتنفع وتخفض وترفع وتعز وتذل وتهدي وتضل وتولى وتعزل وتكشف وتسبل اذا مس العباد ضر فزعوا الى بابك وتوسلوا اليك بأحبابك وها نحن بالباب واقفون وبكرم جودك عارفون نشكو اليك مرض القلوب فأنت ممرضها ومعافيها ونسألك دواء الغفلة فقد تعافيها ونستعينك على إصلاح النفوس فقد طال تجافيها ونلتجيء اليك في دفع شرها فاليك يلتجأ فيها كان لى وقت فعدم سافر عنى فما قدم ﴿شعر﴾

وكيف التذاذي بالاصائل والضحي * اذا لم يعد ذاك النسيم الذى هبا
ذكرت به وصلا كأن لم أفز به * وعيشا فأني كنت أقطعه وثبا

أترى يجمع الله الشمل بعد الشتات أوترى يرجع ماذهب وفات شعر

لا تخيب قصد من جاءك يسعى * مالنا غيرك من يرجي ويدعي
ياغياث المستغيثين ومن * يملك فى الحالين اعطاء ومنعا
عبدك المسكين أضحى سائلا وا * في على الباب يبتغى منك رجعى

* اللهم عاف عيون أفهامنا من رمد الغفلة واسلك بنا الى مرضاتك طريقا سهلة ولا تجعلنا ممن جعلت حظ العاجلة شغله يا أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الفصل السادس عشر في الاجتهاد وذكر ليلة القدر)

الحمد لله الذى زحزح همم الاولياء عن السكون الي العاجلة وشرح صدور السعداء لايثار الآجلة المنفرد بالكمال والكبرياء والجلال والبقاء والعز الذى لا نفاد له استوى على العرش من غير تكييف علو عظمة وقهر وكيف يحمل العرش حامله القلوب تعرفه بصنعته والرقاب خاضعة لعزته والعقول في تعظيمه حائرة ذاهلة صفاته قديمة وتخيلات المشبهين والمعطلين باطلة الحى العليم القدير السميع البصير المدبر الخبير المتكلم بكلام قديم أزلي جل عن المشابهة والمماثلة الملك الكريم الذي يغفر لمن استغفره ويقيل من استقاله ويجيب سائله اللطيف الذى جعل خواطر الالهام الى القلوب رسائله الجليل الذى غمر العباد بيره وبحار عطائه سائلة الغفور الذى يستر زلات عباده عند المساء له القريب الذى قرب أحبابه فوجدوا لذة المعاملة فقلوبهم بذكره حاضرة وعيونهم فى خدمته ساهرة وأبدانهم من مخافته ناحلة العزيز الذى قطع المبعدين عن بابه وأذلهم بأليم حجابه فهممهم عن النهوض فى الخيرات متثاقلة أسكرهم الهوي فلم يجدوا لذة خطابه وأصم اسماع أسرارهم فلم يزعجهم قوارع عتابه فقلوبهم بحظوظ نفوسهم متشاغلة السعيد من قربه المولى الكريم والطريد من أبعده الملك الحكيم والقلوب بسر تدبيره جاهلة لا يرد على أفعاله لم ولا كيف ولا ينسب فى أحكامه الى حيف فاقطع لسان الاعتراض وكف كف المجادلة فكل ماتصوره وهمك فهو حادث مخلوق وكيف يشبه المفعول فاعله ﴿ أحمده ﴾ على ما أسبغ علينا من نعمه الكاملة وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ضمن الربح الجزيل لمن عامله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أرسله الى أمة غافلة فاستخلص من شرح للاسلام صدره بالمسالمة والمساهلة ودمر حزب الشيطان بالمكافحة والمناضلة وأوضح كل مشكلة وبين حكم كل نازلة واضحت شمس الايمان مشرقة ونجوم البهتان آفلة صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه صلاة دائمة متواصلة * فى قول الله عز وجل يوم تجد كل نفس ماعملت من خير محضرا وما عملت من سوء الآية . انما يتبين ربح العاملين يوم الميعاد وفيه تظهر آثار القرب والبعاد فمن عمل خيرا وجد جزاءه محضرا ومن عمل سوءا لقيه فى كتابه مسطرا هذا الذى أزعج قلوب الخائفين وأسهر عيون

العابدين الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم الى ربهم راجعون يعنى يعملون بالطاعات ما يعملون وهم مع ذلك وجلون يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا * كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بالليل حتي تورمت قدماه * وكان يقرأ في ورده ودموعه تقع على الارض كوكف المطر * وكان ابراهيم عليه الصلاة والسلام يسمع لقلبه خفقان وغليان فى الصلاة هذا خوف الحبيب والخليل مع ما أعطيا من شرف المقام فالعجب كيف يطمئن قلب من أثقلت الآثام ظهره * قال كعب الأحبار لو أن رجلا عمل عمل سبعين نبيا لاستقله يوم القيامة لما يرى من أهوال ذلك اليوم * وعوتب بعض الصالحين فى كثرة بكائه واجتهاده فقال وما هذا فى جنب ما يلقاه الخلق من ملاقاة الاهوال وهم غافلون قد اشتغلوا بحظوظ نفوسهم ونسوا حظهم الاكبر من ربهم * وكان بعضهم يصلي حتى أقعد وكان يصلي قاعدا ويقول عجبت للخليقة كيف أرادت بك بدلا بل عجبت للخليقة كيف استأنست بسواك وقيل لداود الطائى ألا تسرح لحيتك قال انى اذا لفارغ * وكان يشرب الفتيت وقت افطاره فسئل عن ذلك فقال بين شرب الفتيت والمضغ قراءة خمسين آية * وحج مسروق فما نام قط إلا ساجدا * وكان السلف الصالحون اذا بلغ أحدهم أربعين سنة طوى فراشه * ولما رأت أم الربيع بن خيثم كثرة بكائه واجتهاده قالت يا بني لعلك قتلت قتيلا فأنت خائف من ذنوبه قال نعم يا أماه قالت فقل لنا من هو لعلنا نطلب من أهله أن يسامحوك فوالله لو رأوا ما تصنع بنفسك لرحموك قال يا أماه انما هى نفسى قتلتها بتقصيري فى حقوق الله تعالي * وصلي على بن أبي طالب رحمه الله صلاة الصبح فلما سلم انفتل عن يمينه وعليه كآبة فمكث حتي طلعت الشمس ثم قلب يديه وقال والله لقد رأيت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أري اليوم أحدا يشبههم كانوا يصبحون شعثا غبرا صفرا قد باتوا لله سجدا وقياما يتلون كتاب الله تعالى يراوحون بين أقدامهم وجباههم وكانوا اذا ذكروا الله عز وجل مادوا كما تميد الشجرة في يوم ريح وهملت أعينهم حتى تبل ثيابهم ثم نظر الى الذين حوله وقال كأن هؤلاء باتوا غافلين * وكان أبو مسلم الخولانى يعلق فى البيت سوطا بالليل ويقف للصلاة كلما فتر ضرب نفسه ويقول انت أحق بالضرب من دابتى * وقال أبو حازم أدركت أقواما ما كان رمضان

يزيد فى اجتهادهم شيئا ولا ينقص خروجه من اجتهادهم شيئا *قال بعض الصالحين بينما أنا سائر في بعض جبال بيت المقدس إذ هبطت واديا واذا برجل قائم بين شجرتين يردد هذه الآية يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا الآية فلم يزل يرددها حتي صاح ووقع مغشيا عليه ثم أفاق بعد ساعة وهو يقول أعوذ بك من مقام الكذا بين أعوذ بك من أعمال البطالين أعوذ بك من اعراض الغافلين خشعت لك قلوب الخائفين واليك رفعت أعمال المقصرين ولعظمتك ذلت رقاب العارفين ثم نفض يديه وقال مالي وللدنيا عليك يادنيا بأبناء جنسك واللاهين فى نعمتك الى محبيك إذهبي وإياهم فاخدعى قال فناديته ياعبدالله أنا منذ اليوم منتظر ان تتفرغ لى فقال كيف يتفرغ من يبادر الأوقات وتبادره ويخاف سبقها بالموت على نفسه أم كيف يتفرغ من ذهبت أيامه وبقيت آثامه ثم قرأ وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون ثم صاح صيحة أشد من الاولى وخر مغشيا عليه فقلت قد خرجت روحه فدنوت منه فاذا هو يضطرب ثم أفاق وهو يقول من أنا وما خطرى هب لى اساءتى بفضلك وجللنى بسترك واعف عن ذنوبى بكرم وجهك فقلت له بالذي ترجوه الا ما كلمتني فقال عليك بكلام من ينفعك كلامه ودع كلام من أوثقته آثامه انى لفى هذا الموضع ماشاء الله كأني أجاهد ابليس ويجاهدنى فلم يجد عونا على ليخرجني مما أنا فيه الا بك اليك عنى فقد شغلتنى ومالت الي حديثك شعبة من قلبي قال فانصرفت وتركته (وقال) بعضهم بينما أنا في بعض أسفارى اذملت الي شجرة لأستريح تحتها فاذا أنا بشيخ قد أشرف على وقال ياهذا قم فان الموت لم يمت ثم هام على وجهه فسمعته يقرأ كل شىء هالك إلا وجهه له الحكم واليه ترجعون ثم قال يامن لوجهه عنت الوجوه بيض وجهي بالنظر اليك واملأ قلبي بمحبتك فقد آن لى الحياء منك وحان لى الرجوع عن الاعراض عنك ولولا حلمك لم يسعنى أجلي ولولا عفوك لم ينبسط أملي شمروا والله حتى وصلوا ووقفوا بالباب حتي قبلوا فطوبى لهم اذا وجدوا ما عملوا ما أقل ما تعبوا وما أيسر ما نصبوا وما كان الا القليل حتي نالوا ما طلبوا * وكان عمر وعائشة رضى الله عنهما يسردان الصوم وصام أبو طلحة أربعين سنة (وكان) عمر بن الخطاب رضى الله عنه لا يفطر فى الحضر وصام منصور بن المعتمر أربعين سنة وقام ليلها لاحت لهم راية السعادة فجدوا

وعلموا بعد السفر فاعدوا فلامهم على الجد من لا يعلم وعانبهم على الاجتهاد من لا يفهم قيل لميسرة القيسي ارفق بنفسك قال من الرفق أتيت وقيل للاسود بن يزيد ارفق بنفسك فقال الرفق اردت (شعر)

جد الزمان وأنت تلعب * والعمر فى الاشياء يذهب
كم كم تقول غدا أتوب * والله ان الموت اقرب

(وكانت) حبيبة العدوية اذا صلت العشاء قالت إلهى قد قفلت الملوك أبوابها وحجبتها حجابها وكل حبيب خلا بحبيبه وهذا مقامي بين يديك ثم تصلي حتى يطلع الفجر وقالت امرأة من المتعبدات رأيت كانى دخلت الجنة فى المنام فاذا أهل الجنان وقوف على أبوابهم ينتظرون فقلت مابالكم قالوا ان الجنة قد زخرفت اقدوم شعوانة فقلت لهم هى أختي والله بينما نحن كذلك اذ أقبلت على نجيب لها يطير بها فى الهواء فلما رأيتها قلت ياأختى أماترين مكانى فاسألى ربك ان يلحقنى بك فتبسمت وقالت لم يأن قدومك ولكن احفظي عنى اثنين ألزمي الحزن قلبك وقدمى محبة الله على هواك ولا يضرك متى مت (وكانت) معاذة تحي الليل كله فاذا غلبها النوم تقول يانفس امامك ولومي لطالت رقدتك على حسرة أو سرور * وكان لابن سيرين ابنة تعبدت فاقامت فى مصلاها خمس عشرة سنة لاتخرج الاللوضوء * وكانت عجوز تحي الليل كله وكانت مكفوفة النظر فاذا كان وقت السحر نادت بصوت محزون اليك قطع العابدون دجا الليالي يستبقون الى فضل مغفرتك والى رحمتك فبك يا إلهى اسألك لا بغيرك أن تجعلني فى زمرة السابقين وان ترفعني فى درجة المقربين وان تلحقنى بعبادك الصالحين فأنت ارحم الرحماء واعظم العظماء واكرم الكرماء يا كريم ثم تخر ساجدة فيسمع لها وجد ثم لاتزال تبكي وتدعو حتى يطلع الفجر * وقال يحيي بن بسطام دخلنا على شعوانة نأمرها ان ترفق بنفسها ونلومها فى كثرة بكائها فبكت ثم قالت والله لوددت ان ابكى حتي ينفد دمعى ثم ابكى دماً حتي لم يبق قطرة دم في جارحة من جوارحي واني لى بالبكاء فلم تزل تقول وانى لى بالبكاء حتي غشى عليها * وقال عبدالرحمن بن الحسن كانت لى جارية رومية وكنت احبها فكانت ليلة نائمة الى جنبي فانتبهت فلم اجدها فطلبتها فاذا هي ساجدة وهي تقول اللهم بحبك

لي فاغفر لى ذنوبي فقلت لهــا كيف تقولى بحبك لى فقالت يامولاي بحبه لي اخرجني من الشرك الى الاســلام و بحبه لي ايقظنى وكثير من خلقه نيام * وقال أحمــد بن على إستأذنا على عفــيرة فحجبتنا فلازمنا الباب فلما علمت ذلك قامت وهى تقول اللهم انى أعوذ بك ممن جاء يشغلنى عن ذكرك ثم فتحت لنا الباب فدخلنا وسألناها الدعاء فقالت جعل الله قرا كم المغفرة ثم قالت مكث عطاء السلمى أربعين سنة لا يرفع بصره الى السماء فحانت منه يوماً نظرة فخر مغشياً عليه فيا ليت عفــيرة اذا رفعت طرفها الى السماء لم تعص الله و يا ليتها اذا عصت الله لم تعد * وقال بعضهم كانت لي جارية حبشية فمضت معى الى السوق فى حاجة فاقعدتها فى مكان وقلت لهــا اقعدى حتي آتيك و مضيت فقضيت أربى ثم أتيت المــكان فلم أجدها فأتيت الي منزلى مغضبا فلمــا رأتني قالت ياسيدى لا تغضب انك تركتنى في مكان لم أجد من يذكر الله تعالى فيه فخفت أن يخسف الله تعالي بهم و يخسف بى معهم فقلت لها ان هذه الأمة قد أمنها الله تعالى من الخسف فقالت ياسيدى انمــا خفت أن يخسف بالقلوب فنزل عن الاستقامة فقلت لهــا اذهبي فأنت حرة لوجه الله تعالى قالت ياسيدى حرمتنى من خير كثير كنت أعبد ربى واخدمك فيكون لى اجران * وقال العلاء السعدى كانت لى بنت عم تسمى بريرة تعبدت و كانت تكثر القراءة في المصحف و تبــكي حتي ذهب نظرها فدخل بنو عمها عليها فقالوا لها كيف اصبحت يا بريرة فقالت اصبحنا اضيافا مقيمين فى أرض غربة ننتظر متى ندعي فنجيب فقلنا لها كم هذا البــكاء قد ذهبت عيناك منه فقالت ان يكن لعينى خير عند الله فما يضرهما ما ذهب منهما فى الدنيا و ان كان لهما عند الله شر فسيزيدهما بكاء أطول من هذا فقال القوم قوموا بنا فهي والله فى شىء غير الذى نحن فيــه * و كانت معاذة اذا جاءها النهار تقول هــذا اليوم الذى أموت فيه فتصوم فاذا جاء الليل تقول هذا ليلي الذى أموت فيــه فلا تزال تصلي الى الصبح فكانت لا تزال صائمة قائمة * و كانت رابعة تقوم الليل كله ثم تقول إن شكر قيام هذه الليلة ان أصوم غدا وصامت زحلة حتي انقلب لونها و صلت حتى اقعدت و بكت حتي ذهب بصرها وكانت تبكي وتقول يا ليتني لم أكن شيأ مذكورا * و كانت شعوانة تقول إلهي ما اشوقنى الي لقائك واعظم رجائى لجزائك وأنت الكريم الذي لا يخيب لديك أمل الآملين ولا يبطل عنــدك شوق المشتاقين إلهي ان كان قد

دنا أجلي ولم يقربني عملي فقد جعلت الاعتراف بالذنب وسائل عللي فان غفرت فمن أولى منك بذلك وان عذبت فمن أعدل منك هنا لك إلهي قد جرت على نفسي فى النظر لها وبقي لها حسن نظرك فالويل لها إن لم يسعدها حسن نظرك إلهي انك لم تزل بي برا أيام حياتى فلا تقطع عنى برك بعد وفاتى ولقد رجوت من تولاني فى حياتي باحسانه أن يسعفنى عند مماتي بغفرانه إلهي إن كانت ذنوبى قد أخافتنى فان محبتك لى قد أجارتني فتول من أمرى ما أنت أهله وعد بفضلك على من غره جهله إلهي لو أردت إهانتي لم تهدني ولو أردت فضيحتي لم تسترنى فمتعني بما له أهديتنى وأدم لى ما به سترتني إلهي ما أظنك تردني فى حاجة أفنيت فيها عمري إلهي لولا ذنوبي ماخفت عقابك ولولا ماعرفت من كرمك مارجوت ثوابك ثم لا تزال تبكي حتى يطلع الفجر واحسرتا أشخاص النساء حوت همم الابطال ونحن رجال فأين عزم الرجال كأنا تقاسمنا الذكورية فلهن المعانى ولنا الصور ان الله تعالى لا ينظر الي صوركم وأقوالكم ولكن ينظر الى قلوبكم وأعمالكم فيا ليتنا حيث قصرنا عن أعمال الابرار سلمنا من كسب الآثام والأوزار (قال) رجل لبعض الصالحين اني عاجز عن قيام الليل فقال يا أخي لا تعص الله بالنهار وقال الفضيل اذا لم تقدر على الصيام والقيام فاعلم انك محروم بذنوبك فالجاهل يظن أن هؤلاء عبدوا الله بصحة الاجسام وقوة الاركان لا والله ولكن عبدوا الله بصحة القلوب وقوة الايمان أكلهم أكل المرضى ونومهم نوم الغرقي وكلامهم كلام الخائفين بين يدي ملك جبار وعزمهم عزم الهارب من سيل مغرق أو نار محرق (وكان) عمران بن عبيد يأتي القبور ويقول يا أهل القبور طويت صحفكم ورفعت أعمالكم ويقف يصلي حتي يطلع الفجر ويرجع فيصلى الصبح فى جماعة (وكان) أبو حنيفة ليس له فراش للنوم (وكان) العلاء بن زياد يختم كل ليلة ختمة فنام ليلة فرأي شخصا فى المنام أخذ بمقدم رأسه وهو يقول قم يا ابن زياد فاذكر الله يذكرك فما زالت تلك الشعرات قائمة حتى لقي الله (ونام بعض الصالحين) على فراش لين فنام عن ورده فحلف أن لا ينام على فراش أبدا هذه وصاف السادة الاتقياء هذه أوصاف أحوال الفائزين السعداء فما لك لا تحن الى أحوالهم ولا تحرك غصن همتك رياح أقوالهم قفل قلبك روى عسر الفتح ياعجبا قلبك

فى الخير أضعف من بعوضة وعند الوعظ أقسى من الصخر وحرصك أحر من الجمر وهمتك أبرد من الثلج فما الذى انتفعت بموهبة العقل

(شعر)

وأنت كدود القز ينسج دائما * ويهلك غما وسط ماهو ناسجه

(عباد الله) ان شهر رمضان مضمار السابقين وغنيمة الصادقين فيه تضاعف الاعمال وتحط الاوزار الثقال وفيه يجاب السؤال ويغفر للمستغفر ويقال وفضائله فوق مايقال فهو غرة الدهور ومصباح الشهور ثم فيه ليلة القدر التي جعل الله عبادتها خيرا من عبادة ألف شهر * روي فى الصحيح أن رسول الله ﷺ أراه الله تعالي أعمار الناس قبله فكأنه تقاصر أعمار أمته أن لا يبلغوا من العمل مثل الذى بلغ غيرهم فى طول العمر فأعطاه الله تعالى ليلة القدر خير من ألف شهر وألف شهر ثلاث وثمانون سنة وثلث قال الله تعالي إنا أنزلناه فى ليلة القدر يعني القرآن أنزل من اللوح المحفوظ الي السماء الدنيا فى ليلة القدر ثم نزل مفرقا على النبي ﷺ فى عشرين سنة قاله ابن عباس وهو معني قوله تعالى إنا أنزلناه في ليلة مباركة هى ليلة القدر على الصحيح وهو معني قوله تعالى شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن ومجموع هذه الآيات يدل على أن ليلة القدر فى رمضان خلافا لمن قال هي فى سائر السنة * وروى أن صحف ابراهيم عليه الصلاة والسلام أنزلت فى أول ليلة من رمضان وأنزلت التوراة بعد ست من رمضان وأنزل الانجيل بعد ثلاث عشرة من رمضان وأنزل الزبور بعد ثمان عشرة وأنزل القرآن بعد أربعة وعشرين من رمضان وقوله تنزل الملائكة والروح فيها الروح هنا جبريل عليه الصلاة والسلام قال ابن عباس رضي الله عنهما اذا كانت ليلة القدر أمر الله تعالى جبريل عليه الصلاة ولسلام أن ينزل الي الارض فينزل ومعه سبعون ألف ملك سكان سدرة المنتهي ومعهم ألوية من النور فيركزون ألويتهم فى المسجد الحرام ومسجد النبي ﷺ وبيت المقدس وطورسيناء ويركز لجبرائيل عليه الصلاة والسلام لواء أخضر على ظهر الكعبة ثم تتفرق الملائكة فى أقطار الارض فيدخلون على كل مؤمن يجدونه فى صلاة أوذكر ويسلمون عليه ويصافحونه ويؤمنون على دعائه ويستغفرون لجميع أمة محمد ﷺ ويدعون لهم حتى يطلع الفجر فهو قوله تعالى

تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر أى بكل أمر قدره الله تعالى فى تلك السنة الى مثل تلك الليلة ولذلك سميت ليلة القدر وقيل سميت بذلك لعظم قدرها سلام من الملائكة على المؤمنين هى الى طلوع الفجر وقيل سلام أى سلامة وبركة للمؤمنين قال مجاهد عبادتها خير من عبادة ألف شهر صيام وقيام اذا لم يقم صاحبها ليلة القدر ثم ان الله تعالي أخفي ليلة القدر فى رمضان ليجتهد المؤمنون فى سائر الشهر كما أخفى الولى بين المؤمنين ليحترم الجميع وأخفى الساعة فى يوم الجمعة ونحو ذلك ويقال هى في النصف الآخر وقيل فى العشر الآخر وقيل هى تدور فيه * وفى الصحيح عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ قال أريت هذه الليلة ثم أنسيتها وقد رأيتنى أسجد من صبيحتها في ماء وطين فالتمسوها في الاواخر والتمسوها فى كل وتر قال أبو سعيد فمطرت السماء فابصرت عيناى رسول الله ﷺ انصرف وعلى جبهته وأنفه أثر الماء والطين من صبح ليلة إحدى وعشرين * وروي ابن عمر عن رسول الله ﷺ أنه قال تحروا ليلة القدر فى السبع الاواخر * وفى الصحيح التمسوها فى التاسعة والسابعة والخامسة ومعني التماسها طلب بركتها بالقيام فيها التماسا لتضعيف أجرها واجابة الدعاء فيها فمن قام رمضان كله فقد وجدها وليس المراد رؤية شيء من خوارق العادة فيها * وقيل لابي بن كعب ان أخاك ابن مسعود يقول من يقم الحول يصب ليلة القدر فقال رحمه الله تعالي أراد أن لا يتكل الناس اما أنه قد علم أنها فى رمضان وانها فى العشر الاواخر وأنها ليلة سبع وعشرين ثم حلف انه لا يستثني انها ليلة سبع وعشرين وقالت عائشة رضى الله عنها كان رسول الله ﷺ اذا دخل العشر الاواخر أحيا الليل وأيقظ أهله وجد وشد المئزر * اللهم اجعلنا بطاعتك عاملين وعلى ما يرضيك مقبلين وألبسنا ملابس الصادقين ولا تحرمنا بذنوبنا خير ما عندك يا أرحم الراحمين

الفصل السابع عشر في الفرح ووداع رمضان والعيد

الحمد لله العليم الحليم الغفار العظيم القهار الذى لا تخفي معرفته علي من نظر في بدائع مملكته بعين الاعتبار القدوس الصمد المتعالى عن مشابهة الاغيار الغنى عن جميع الموجودات فلا تحويه الجهات والاقطار الكبير الذي تحيرت العقول في وصف كبريائه فلا تحيط به الافكار الواحد الاحد المنفرد بالخلق والاختيار

الحى العليم الذى تساوي فى علمه الجهر والاسرار القادر الذي أوجد بقدرته جميع الاعيان والآثار المقدم المؤخر فبمشيئته تصاريف الاقدار السميع البصير الذى لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار المتكلم بكلام قديم أزلي لا نفاد له ولو أن الشجر أقلام والمداد البحار الملك الذي يولى ويعزل ويأخذ ويمهل ويكشف ويسبل وربك يخلق مايشاء ويختار الذي زين قلوب العارفين بودائع الاسرار وأوضح لهم السبيل بما لاح لهم من الانوار واستنهض عزائمهم الى المسارعة والبدار فوقفوا على أقدام الجد بوصف الاقتدار وتذللوا بين يدي مولاهم بألسنة الاعتذار الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار أيطمع الغافل المسيء ان يلحق بالمتقين الابرار أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض أم نجعل المتقين كالفجار من أقصاه ما لكم كيف ينجيه الحذار من طرده مولاه كيف يلذ له القرار ومن أغلق دونه الباب كيف يمكنه الاصطبار كيف لا يتأسف الملهوف ويسيل الدموع الغزار ويعفر خده فى الثرى ويستقبل الجدار وينـدب زمانه الماضى ويتلمح الآثار ويتقطع أسفا على تخلفه عن رفقته السابقين وهو يتعلل باطلال الديار فعسي أن يجبره المولي بلطفه فهو مقيل العثار هو الله الذي لا إله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار (أحمده) حمد معترف بتقصيره بذل وانكسار واشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من شهد بها يفوز في دار القرار واشهد ان محمدا عبده ورسوله الذي اصطفاه واجتباه من صميم مضر بن نزار وابتعثه وقد سطع من غي الكفر غبار ولمع من نيران الشرك شرار فاخمد لهب البهتان بغيثه المدرار وأوضح ببيناته معالم الايمان وانار صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الطاهرين الاخيار الذين اثنى الله تعالى عليهم بقوله والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه واعد لهم جنات تجرى تحتها الانهار (فى قول الله تعالى ان قارون كان من قوم موسى فبغي عليهم) الآيات. جعل الله تعالي في قارون عبرة لمن اعتبر بالدنيا وموعظة لمن تأمل فى الدنيا فلا يشتغل بالنعيم عن المولى * كان قارون مؤمنا بموسى عليه الصلاة

والسلام فلما كثر ماله واتسع حاله كفر وطغى وتفرعن وبغى * وكان قد آتاه الله تعالى أموالا كثيرة ومنع حق الله تعالى فيها وكل مالم يؤد فيه حق الله تعالى فهو كنز قال الله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله الآيات * وكانت مفاتيح خزائن قارون من جلود * وكانت تثقل على عدد كثير من الرجال فلا يقدرون على حملها ومعني تنوء تثقل والعصبة ستون رجلا وقيل أربعون وقيل فوق العشرة (اذقال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين) أى لا تفرح بالدنيا وزهرتها فرحا يلهيك عن طاعة الله ان الله لا يحب من شغله الفرح عن أوامر الله قال الله تعالي قل بفضل الله و برحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون معناه افرحوا بما آتاكم الله تعالى من الايمان والاسلام والقرآن والتوفيق والاحسان و بما وعدكم به من الفوز والامان والنعم والرضوان فهو خير مما تجمعون من حطام هذه الدار وتكنزون من أموال عاقبتها البوار (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة) اطلب بما أعطاك الله تعالى من النعيم ثواب الآخرة فاستعن بنعم الله تعالى على طاعة الله عز وجل ولا تمنع حق الله عز وجل ولا تنس شكر منة الله عز وجل ولا تنس نصيبك من الدنيا) أى لا تترك العمل الصالح فيفوتك حظك من دنياك لخروجك منها بغير زاد فحظ العبد من الدنيا ما اقتني من عمل صالح قاله ابن عباس ومجاهد وابن زيد وقيل معناه تنعم من دنياك بالحلال من مالك فهو حظك العاجل الذى لا وزر عليك فيه قاله الحسن وقتادة ومالك بن أنس (واحسن كما احسن الله اليك) احسن الى نفسك بأن تستعملها بطاعة الله تعالى فيحصل لها ما يبقي واحسن الى الناس بالبر والصدقة فتكبر قارون فظن أنه مستحق لما اعطي بفضل علمه بالتوراة وهو قوله انما أوتيته على علم عندى وهذا وصف المغرور الذى يمن على الله بعمله أو بعلمه قال الله تعالى يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين فخرج على قومه فى زينته فازداد الراغبون فتنة وتمنوا مثل ماله ولم يغتر الزاهدون بكثرة ماله نظرا الى مآله وقالوا ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا وهكذا من تذكر المآل مال عن حب المال * قال معروف الكرخي عند موته تصدقوا بقميصى لاخرج من الدنيا كما دخلتها وكان لا يملك غير قميصه

(كانت) الدنيا اذا قدمت الى الصالحين قدموها الى الآخرة نظروا فى ربع الزرع فبذروا حب القوت * بعث عمر بن الخطاب الى أبي عبيدة رضى الله تعالى عنهما بأربعمائة دينار ففرقها في وقتها (وبعث) مثلها الى معاذ ففرقها فقالت له زوجته نحن والله مساكين فاعطنا وكان قد بقي ديناران فرمي بهما اليها وتصدق أبو بكر رضي الله تعالى عنه بماله كله وعمر بنصف ماله (كان) القوم يبيعون الفانى بالباقى وأنتم بالعكس هيهات هيهات كيف تطلب الشجاعة من جبان (شعر)

واذا بعثت الى [illegible] برائد * تبغي الرياض فقد ظلمت الرائدا

هيهات لم يرد المطالب نائم * عنها ولا تصل الكواكب راقدا

تصوم وتصلي بلا قلب ان الله لا ينظر الى صوركم : تحر فى الظلام وقت خلوة وقل بلسان الافلاس والذلة يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر . من لم يقدر على قيام الليل فليبك على نفسه بالنهار لا بد من بكاء وحرقة إما فى زاوية العبادة وإما فى هاوية الطرد اما أن يحرق قلبه بنار الندم والأسف أو بنار الشوق والشغف والا فنار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون . يا ملولا بالقيام مستلذا بالمنام قم فقد فاتك يا مغبون أرباح الكرام وخلوا دونك بالمولي وفازوا بالمرام وكذا يسبقك القوم الى دار السلام * روى ان الرجل اذا قام للصلاة يقول الله تعالي للملائكة ما حمل عبدى على ان قام يصلي من بين أهل داره فيقولون يا ربنا خوفته أمرا فخافه ورجيته أمرا فرجاه فيقول الله تعالي اشهدوا اني قد أمنته مما يخاف وأعطيته ما يرجوا وقال ثابت البناني اذا نمت ثم استيقظت ثم ذهبت لأنام فلا نامت عيناي أبدا * وكان السلف الصالحون يسمع في بيوتهم بالليل دوي كدوي النحل (ومكث) سرى السقطي تسعين سنة ما وضع جنبه على الارض لو ذاق الغافل السهر فى الظلام أو سمع الجاهل حس الصالحين عند القيام وقد نصبوا الاقدام وهممهم تجرى الى القيام وتلذذوا بأشرف الذكر وأحلى الكلام وضربوا على شاطىء أنهار الصدق الخيام وجهزوا مطايا الشوق الي دار السلام وسرت قوافلهم وأهل الغفلة نيام وشكوا الى محبوبهم ما يلقون من الغرام ووجدوا من لذة الأنس ما لم يخطر على الاوهام فاذا أصبحوا لبسوا جلباب الصيام وصابروا الهواجر بهجر الشراب

وترك الطعام وتدرعوا بدروع التقوى حذرا من الآثام فلاجلهم تسقي الارض الغيث وبدعائهم تجري الغمام وبهم يسامح العصاة ويصفح عن الاجرام فاذا جاءهم الموت طاب لهم كأس الحمام واذا دفنوا في بقعة افتخرت بتلك العظام فعلى الدنيا من بعدهم السلام فسبحان من طهرهم من الأدناس واصطفاهم لخدمته من بين الناس وسقاهم من شراب حبه أطيب كاس ماشر بها صادق حتي كاس نزع من قلوبهم الغل وآواهم في ميدان الصدق في أوسع ظل وحماهم من العدو اذا ضحى يستزل * منعك والله قيد الهوى حتي سار القوم وحبسك عن لحوقهم لذيذ النوم وقطعك فاني الشهوات عن ثواب الصوم والصلاة عندك أثقل من الصخر على الصدر والزكاة عندك أثقل من جبل ... صدرك في حديث الدنيا أوسع من البحر وفى العبادة أضيق من تسعين عقدة * أنت في شهواتك أجرى من جواد وفى العبادة أبطأ من أعرج * يامن هو على نجاته أنوم من فهد ضيعت وقتا أنفس من الدر اذا عرضت لك خطيئة وثبت كالنمر واذا لاحت لك طاعة زغت كالثعلب تستعمل في معاملتك غدر الذئب وتقدم على حظك اقدام الاسد وتخطف الامانة اختطاف الحدأة وماهذا وصف الصالحين (قال) سلمان الفارسى كل ماشغلك عن الله تعالي من أهل أومال فهو عليك مشؤم قال بعضهم رأيت شابا جميل الصورة عليه عباءة خشنة فقلت ماهذا اللباس قال ياأخي انما أنا عبد ألبس كما يلبس العبيد فان أعتقني سيدى لبست ماشئت (وقال) عيسى عليه الصلاة والسلام لاصحابه الحق أقول لكم انه من طلب منكم الفردوس فأكل الشعير والنوم على المزابل مع الكلاب كثير في حقه (ودخل) رجل علي أبى ذر فوجد بيته فارغا فكلمه فى ذلك فقال ان لنا بيتا أصلح من هذا فما كان عندنا من صالح متاعنا وجهناه الى ذلك البيت فقال الرجل لا بد لكم في هذا البيت من شىء فقال ان صاحب هذا البيت لا يدعنا فيه (وروى) أن جبريل عليه الصلاة والسلام أتى النبي ﷺ فقال ان ربك يقول لك أتحب أن أجعل لك هذه الجبال ذهبا تكون معك حيثما كنت فقال النبي ﷺ ياجبريل ان الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له فقال يامحمد ثبتك الله بالقول الثابت (وقيل) لمحمد بن واسع لم لا دخلت علي السلطان فقال لان ألقى الله مؤمنا

مهزولا خير من أن ألقاه منافقاسمينا (وفى) صحف ابراهيم عليه الصلاة والسلام يادنيا ماأهونك على الابرار الذين تصنعت لهم وتزينت انى قذفت فى قلوبهم بغضك والصدود عنك ماخلقت خلقا أهون على منك كل شأنك صغير والى الفناء يصير انى قضيت عليك يوم خلقتك أن لاتدومى لاحد ولايدوم لك أحد وان بخل بك صاحبك وشح عليك طوبى للابرار الذين أطاعونى من قلوبهم على الرضا ومن ضميرهم على الصدق والاستقامة طوبى لهم مالهم عندى من الجزاء اذاوفدوا الي من قبورهم النور يسعى أمامهم والملائكة حافون بهم حتي أبلغهم مايرجون من رحمتي قال لقمان لابنه يابنى ان الدنيا بحر عميق قد غرق فيه ناس كثير فلتكن فيه سفينتك تقوي الله تعالى وحشوها الايمان بالله وشراعها التوكل على الله لعلك ناج ولاأراك ناجيا * وقال الامام مالك بن أنس رضى الله عنه حب الدنيا يخرج حلاوة الايمان من القلب قيل لبعضهم ان فلانا كان عابدا زاهدا ثم رجع الى الدنيا فقال لاتعجب ممن رجع واعجب ممن يستقيم وقال حاتم الاصم الدنيا مثل ظلك ان تركته تراجع وان تبعته تباعد * وكان العلماء بعضهم يكتب لبعض من عمل لآخرته كفاه الله أمر دنياه ومن أصلح سريرته أصلح الله علانيته ومن أصلح ما بينه وبين الله تعالى أصلح الله ما بينه وبين الناس وقال عمر بن عبد العزيز الدنيا عدوة أولياء الله وعدوة أعداء الله أما أولياء الله تعالى فغمتهم وأما أعداء الله تعالى فغرتهم * عباد الله من رأى تصرف الدهر انتبه أمافى القبر عبر واعجبا لمن أشفق أن ينفق ماله وقد ضاق عمره * وكان رجل يبيع الثلج فبقي عنده شيء كاسد فجعل ينادى ويقول ارحموا من يذوب رأس ماله * يامضيعا أوقاته بالكسل متي كان الفقير كسلان فلاوجه للغنى ياهذا تبيع قيام الليل بزيادة لقمة شربت كأس النعاس ففاتك رفقة تتجافى جنوبهم عن المضاجع نخرج على توقيع قصتك عند السحر رضوا بأن يكونوا مع الخوالف والله لو بعت لحظة فى خلوة بما يملك قارون فى عمر نوح لكنت مغبونا خسرانا * يامن اختار علينا مالاقدر له عندنا * ياليتك بعتنا بشيء أقبل فانى مقبل عليك ان رمت طلبي فاطلبنى عندك ويسعني قلب عبدى المؤمن ياهذا لاضر يلحقنا في معاصيك إنما المطلوب سلامتك ولاتفع لنا من طاعتك إنما المقصود كرامتك من محبتنا

لك ألزمناك الفرائض ومن غير تناعليك حرمنا عليك الفواحش كم ندعوك وتأبى إلا الهجر ونحن نحسن اليك وتأبي الا الغــدر فلا العهد رعيت ولا بالتقويم استويت . ياهــذا تهيأ لسماع المواعظ بحضور قلبك ينفعك ماتسمع اذا فاض النهر وان لم تحفر ساقية الى زرعك لم يصل المـاء اليه يانائماطول الليل اذا أصبحت فزر أهل السهر واسألهم عما جرى لهم فى وقت السحر فاذا أملوا عليك ماكان فاكتبه فى صحيفة خدك بمداد دمعك . ياسوق الأكل أين أرباب الصـيام يافراش النوم أين حراس الظلام درست المعالم وقوضت الخيام فعلى أطلالهم مني السـلام يانائما في سفينة الأمن لا تنظر الي سكونك فانمـا يسار بك وأنت لاتشعر (كتب) الأوزاعي الى بعض اخوانه اعلم ياأخي انه قد أحيط بك من كل جانب وأنت يسار بك فى كل يوم وليلة مرحلتين فاحذر الله والسلام (ذكر الفرح) عباد الله ان الفرح بفضل الله ورحمته هو السرور وان الفرح بالحظوظ العاجـلة هو الغرور فاشكروا نعمة الله تعالى على ما يسر لكم من صـيام رمضان وأعطاكم من نعمة الايمان فقد أمركم بذلك من بنوره يهتـدي المهتدون فقال تعـالي ولتكملوا العدة ولتـكبروا الله على ماهداكم ولعلـكم تشكرون (وودعوا) شهر رمضان بكثرة الاستغفار من التقصير والعزم على دوام الجـد والتشمير ألا وان من كان يعبد محمدا فمحمد قدمات ومن كان يعبد رب محمد فان رب محمد حي لايموت فان رمضان قـدتهيأ للرحيـل ولم يبق منه الا القليـل بل بقي منه سـبع ليال وقد فاز المجتهـدون بالنوال وقد بقى منه ليـلة أو ليلتين وقد صار أثرا بعد عين بقيت منه ليـلة واحدة وقد اقتسم العاملون فوائده بقى منه بقية هذا اليوم وكأنه طيف زار فى النوم فلقد كان للمتقين روضـة وأنسا وللغافلين قيداً وحبسا كان نزهة للأبرار وقيـداً للاشرار فطوبى لمن حل فيه عقدة الاصرار وحل فى روضة التقوى فى منزل الافتقار

أى شـهر قد تولى * يا عبـاد الله عنـا
حق ان نبكي عليـه * بدماء لو عقلنــا
كيف لا نبـكى لشهر * مر بالغـفلة عنـا
ثم لا نعــلم إنا * قد قبلنـا أو طردنا
ليت شعري من هو المحـ * ـروم والمطرود منا

ومن المقبول ممن * صام منا فيهنا
كان هذا الشهر نورا * بيننا يزهر حسنا
فاجعل اللهم عقبا * ه لنا نورا وحسنا

يا اخوان شهر رمضان عليكم بالاجتهاد في باقيه وتلافوا تفريطكم ما أمكن تلافيه فكم متأهب ليوم فطره فيصبح يوم العيد فى قبره قد فارق الاخوان وعدم الخلان أين الذين كانوا معكم فى عيدكم الماضى فذهبوا وأين الذين كانوا فى مثل هذا العيد قد فرحوا وطربوا أملوا أملا شديدا وتوهموا البقاء فبنوا مشيداً فاختطفهم ريب المنون فأبلى منهم ما كان جديدا وسيعا ينون لفراقه كأساً من المذاق فكم بين من يرعى رمضان كأنه حبيب زار بعد طول بعاد وطيف خيال ألم فى طيب سهاد فقد شغله أنسه بحبيبه عن الآنام فهو يتمني لو كان على الدوام قد هجر فيه لذيذ المنام ولزم الوقوف في حندس الظلام وآخر يرى رمضان موسما لنيل الشهوات ويعد أيامه استعجالا لأوقات البطالات وآخر قد فرط في الانابة والتوبة وقصر عن الاجابة والأوبة فازداد برمضان وزرا على وزره واكتسب بأيامه خسرا على خسره ولم يتزود منه ليوم حشره ورضى بابعاده وهجره والسعيد فى يوم العيد يتذكر الوعد والوعيد ويطلب من مولاه المزيد فهو يوم يتفضل فيه الملك المجيد بعتق الاماء والعبيد (وروى) أن الله تعالى يقول للملائكة اذا اجتمعوا لصلاة العيد يا ملائكتى ما جزاء من وفى عمله فيقولون يا ربنا يوفى أجرته فيقول أشهدكم يا ملائكتي انى قد غفرت لهم (قال) الفراء انما سمي العيد عيداً لعود السرور فيه لكن شتان ما بين سرور وسرور (قوم) سرورهم بمولاهم ونعيمهم وقوفهم على بساط نجواهم قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون ﴿وقوم﴾ سرورهم بدنياهم الباطلة ونعيمهم بحظوظهم الزائلة كلا بل تحبون العاجلة فاذا رأيت يوم العيد خروج الناس من الدور فاذكر خروج الاموات من الاجداث يوم النشور وآخر يتزين بأفخر ثيابه وآخر حزين لأجل مصابه وآخر يتعطر بأطيب الروائح وآخر يسمع فى داره النوائح وهم ما بين ماش وراكب ومصحوب وصاحب ومطلوب وطالب وكذلك يخرجون يوم القيامة واحد يأتي فرحاً مسروراً وآخر يدعوا ويلا وثبورا يوم نحشر المتقين

الى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا واذا رأيت أنواع الخلائق الي القضاء قدبرزت فاذكر نشر الاعلام للسعداء اذاساروا الي دار السلام واذا رأيت الخلائق قداجتمعت وللأذان قداستمعت فاذكروقت الوقوف بين يدى الملك الديان اذاشخصت الابصار وصغت الآذان وخشعت الاصوات للرحمن واذا رأيت تفرق الناس من المصلى كل يذهب الي منزله ومأواه فاذكر يوم يصدر الناس اشتاتا عن موردالقيامة كل إلى محله ومثواه ليس الطيب فى العيدين تطيبا بريح العود وانما الطيب ان تتوب فلاتعود وتتعرى من لباس السمعة والرياء وتلبس ثياب الورع والحياء وتتطيب بطيب الصدق والوفاء وتركب مركب الود والصفاء وتتحلى بالعبادة وتردى بالزهادة وتتمنطق بالصيانة وتتختم بالأمانة وتخرج الى المصلي خروج وجل من الردو تمشي مشى خجل من الصد وتخاف أن تكون أعمالك مردودة معلولة وطاعاتك غير مقبولة وتكبر تكبير من عظم ربه وتصاغرت عنده نفسه وتذكر ذنبه وتقف في الصلاة وقوف خاشع وتركع ركوع خاضع وتسجد سجود طامع وتجلس لسماع الخطبة كمن أحضر للحساب وهو ينتظر مايرد عليه من الخطاب والا فما ينفع التزين باللباس البيض والقلب فى هم الدنيا مريض وما يفيد التزين باللباس ولم تنزع رداء الالباس (ومر بعض الصالحين) على شباب يلعبون يوم الفطر فقال ياهؤلاء ان كان صومكم قدقبل فما هذا فعل الشاكرين وان كان صومكم لم يقبل فما هذا فعل المحزونين فوقع كلامه فى قلوبهم وتركوا الهوهم (ودخل) رجل على بن أبى طالب رضى الله عنه يوم عيد فوجده يأكل خبزا خشنا فقال ياأمير المؤمنين يوم العيد تأكل خبزاً أخشنا فقال اليوم عيد من قبل صومه وشكر سعيه وغفر ذنبه ثم قال اليوم لنا عيد وغدا لنا عيد وكل يوم لا نعصي الله تعالى فيه فهو لنا عيد (شعر)

قالوا غدا العيد ماذا أنت لابسه * فقلت خلعة ساق حبه جرعا
فقر وصبر هما ثوبان تحتهما * قلب يري الفه الاعياد والجمعا
أولى الملابس ان تلقى الحبيب به * يوم الزيارة فى الثوب الذي خلعا
الدهر مأتم لى ان غبت ياأملى * والعيد ما كنت لى مرأى ومستمعا
لا كنت ان كان لي قلب يحن الى * خل سواك ولو قطعتني قطعا

(وقف) عمر بن عبد العزيز بعد الصلاة يوم العيد فقال اللهم إنك قلت وقولك الحق ان رحمت الله قريب من المحسنين فان كنت من المحسنين فارحمني وان لم أكن من المحسنين فقد قلت وكان بالمؤمنين رحيما فارحمنى وان لم أكن من المؤمنين فأنت أهل التقوى وأهل المغفرة فاغفر لى وان لم أكن مستحقا لشيء من ذلك فأنا صاحب مصيبة وقد قلت الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا اليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون اللهم فارحمنى (وقعد) بشر الحافى يوم العيد في طرف الناس فقيل له لم لا تتوسط الناس فى الصفوف فقال هذا موضع السائل الضعيف فلما انصرف الناس صاح إلهي جئنا نرضيك فيا ليتنا لا نعصيك (اللهم) أصلح لنا ضمائرنا ونزه عن التعلق بغيرك خواطرنا واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين آمين آمين

الفصل الثامن عشر في العبودية وذكر العشر

الحمد لله الذى تفرد بأوصاف عظمته وكماله وتقدس بعز كبريائه وجلاله وتوحد بالخلق والابداع فلا شريك له فى أفعاله وعم كل مخلوق جزيل افضاله ونواله وخص المؤمنين بتوحيده فضلا وانعاما أدلة وجوده وآثار جوده للعقول ظاهرة والافهام عن ادراك ذاته والاحاطة بصفاته قاصرة والأسرار فى تعظيمه داهشة حائرة والافكار اذا نظرت فى عجائب صنعته قصرت عن ادراك حكمته ورجعت خاسرة والأرواح اذا هب عليها نسيم اسعاده رتعت في رياض وداده تيها وهياما هو الأول والآخر بالقدم والبقاء الظاهر والباطن بالقهر والكبرياء القدوس الصمد الغني عن جميع الأشياء الواحد الأحد المنزه عن جميع الأشباه والشركاء العزيز الذى يعز من والاه ويذل من ناواه قهرا وارغاما الحى العليم فلا يخفى عليه خافية السميع البصير سواء عنده السر والعلانية المريد القدير وشواهد قدرته واضحة كافية المتكلم بكلام قديم أزلى وصلت بركاته الى القلوب الصافية صفاته ثابتة بالأدلة فلا يجحدها الا من عمى أو تعامى عظم ربك بنفى التشبيه مع اثبات صفات الكمال ولا تركن إلى جمود المشبهين فانما تعلقوا بالوهم والخيال ولا تصغ الى شبه المعطلين فما ضل قوم الا أوتوا الجدال وكن من الذين مدحهم الله تعالى بقوله وله العز والجلال

وعباد الرحمن الذين يمشون علي الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما تبتل بذكره وتمسك بكتابه وتنعم بمناجاته فكفاك أن يراك من الواقفين ببابه ألم تسمع قوله تعالي مبشر الاحبابه أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما مولي ان أطعته أدناك وان اكتفيت به أغناك وان دعوته لباك وان أدبرت عنه ناداك فكم غمر ببره وستر بستره عصيانا واجراما * أحمده علي ما أسبغ من جزيل العطاء وأشهد أن لا اله الا الله وحده لاشريك له رب الارض والسماء وأشهد أن محمدا عبده ورسوله خاتم الرسل والانبياء ﷺ وعلي آله وأصحابه الائمة الاتقياء صلاة يزيدهم بها شرفا وعزا وتقريبا واكراما ما انطرد الظلام وانتظم الكلام وغرد الحمام وبكى الغمام فضحكت الرياض ابتساما * فى قول الله عز وجل وعباد الرحمن الذين يمشون علي الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما الآيات وقوله تعالى إن كل من في السموات والارض إلا آت الرحمن عبدا وانما هؤلاء خواص العباد والمخصوصون بالقرب والوداد مدحهم الله تعالى فى هذه الآيات بأوصاف العبودية ومعنى الآية وخواص عباد الرحمن هم الذين يمشون على الارض هونا والذين لهم هذه الأوصاف هم الذين يجزون الغرفة بما صبروا يعنى الجنة ويلقون فيها تحية وسلاما يسلم الله عليهم فيسمعون كلامه القديم سلام قولا من رب رحيم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم الذين يمشون على الارض هونا برفق وتواضع من غير طيش ولا كبر ولا مرح قال الله تعالى ولا تمش فى الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا معناه أنت أقل وأضعف فانك لن تقدر أن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال بتعاظمك وتكبرك قال رسول الله ﷺ لا يدخل الجنة من فى قلبه مثقال ذرة من كبر وقال ﷺ لا ينظر الله الى من يجر ثوبه خيلاء وفي الحديث طوبى لمن تواضع من غير منقصة وذل فى نفسه من غير مسكنة وأنفق مالا جمعه من غير معصية ورحم أهل الذل والمسكنة وخالط أهل الفقه والحكمة شعر

ولا تمش فوق الارض إلا تواضعا * فكم تحتها قوم هموا منك أرفع
فان كنت فى عز وجاه ومنعة * فكم مات من قوم هموا منك أمنع

قال الله تعالى واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما أى قالوا قولا فيه السلامة من الاثم من غير مقابلة ولا أذى وهذا من محاسن الاخلاق وقد أرشد اليه العليم الحكيم بقوله تعالى ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك و بينه عداوة كأنه ولى حميم معناه ادفع اساءة من أساء عليك باحسانك اليه تنقلب عداوته مودة قال رسول الله ﷺ ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه أول فائدة الحليم ان الناس كلهم أنصاره قال (شعر)

واذا المسيء جنى عليك جناية * فاقتله بالمعروف لا بالمنكر

أحسن اليه اذا أساء فانه * من ذى الجلال بمسمع وبمنظر

(وروى) عن رسول الله ﷺ أنه قال أمرت بمداراة الناس ويقال فى المداراة سلامة الدنيا والدين وفي المقابلة تعريضهما للخطر شعر

مادمت حيا فدار الناس كلهم * فانما أنت فى دار المدارات

من يدر دارى ومن لم يدر سوف يرى * عما قليل نديما للندامات

ومن دارى الناس واحتمل أذاهم طلبا للسلامة لدينه فقد وافق الحكمة فان من رأى الافعال من الله تعالى لم يعتب على أحد من الخلق فهذا صاحب توحيد ومعرفة ومنهم من يحتمل الأذي ويراه جزاء لذنوبه فيشتغل بلومه لنفسه وآخر يحتمل الأذي امتثالا لربه وطلبا للثواب فى الآخرة . وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال مامن شيء أثقل فى ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن * وفى الحديث ان الرجل ليبلغ بحسن الخلق درجة القائم بالليل الظامي ءبالهواجر * ولقى الاحنف بن قيس شخصا بمنى فزاحمه فشتمه ولم يعرف أنه الاحنف فلم يزل يسبه حتى وصل الى عرفة فأمسك الاحنف زمام ناقته ووقف وقال ياهذا قل كل مافى نفسك لئلا يسمعك أحد من قومى فيؤذيك فعرف حينئذ أنه الاحنف فاعتذر له واستحي * وقال له رجل يوما والله ياأحنف لئن كلمتني كلمة لأكلمنك عشرا فقال له الاحنف لكن أنا لو كلمتني عشرا ما كلمتك واحدة * وقالت امرأة لمالك بن دينار يامرائى فقال هذه المرأة قد أصابت اسمى الذي أضله أهل البصرة . وقال تعالى والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما هؤلاء بالليل أحياء والناس بالنهار موتي قال تعالي كانوا قليلا من

الليل مايهجعون أي كان نومهم بالليل قليلا ولم يزل الصالحون أصحاب قيام وصيام لا أصحاب دعاوى و كلام ولذلك كانت رؤيتهم موعظة قبل روايتهم فأما من وعظك بغير حاله فهو كمن أعطاك من غير ماله ويقال من ادعى غير حاله فهو كالمفتخر بغير ماله و يقال عمل رجل في ألف رجل أنفع من كلام رجل في رجل * وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال مازال جبريل يوصيني بقيام الليل حتى ظننت ان خيار أمتي لا ينامون * وقال عيسى عليه الصلاة والسلام لا تأكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فتناموا كثيرا فيفوتكم خير كثير كثرة النوم نقصان في العمر وخسران في الحشر شعر

تعود من قيام الليل * ان النوم خسران
ولا تركن الى ذنب * فعقبي الذنب نيران
وقم للواحد المعبود * فللقرآن خلان
اذا ماجنهم ليل * فهم في الليل رهبان
ينام الغافل الساهي * وما في القوم وسنان
ويلهو المعرض اللاهي * وعند القوم أحزان
فما يلهيهم ربع * ولا أهل واخوان
هم والله فتيان * اذا ما قيل فتيان

الناس نيام وهم قيام الناس هجوع وهم ركوع الناس رقود وهم سجود الناس مع الخلق وهم مع الحق شتان ما بين من أنيسه المولى القريب وخلواته مع الحبيب من غير رقيب و بين من أوقاته تمر في غير طائل وسروره بغرور زائل ومسامرته في لهو وباطل قال القائل شعر

لله قوم أخلصوا في حبه * فاختارهم ورضى بهم خداما
قوم اذا جن الظلام عليهم * أبصرت قوما سجدا وقياما
يتلذذون بذكره في ليلهم * ويكابدون بذي النهار صياما
فسيغنمون عرائسا بعرائس * ويبوؤون من الجنان خياما
وتقر أعينهم بما أخفي لهم * وسيسمعون من الجليل سلاما

ويقال الليل للمحبين سهر على كل حال فمن كان وقتــه وقت فراق وهجر فهو يقول (٣) « شعر »

كم ليــلة قضيتها ساهرا　　لمـا تولى هجركم معرضا
أطوف فى ظلمائها مبصرا　　وليس ضوء مثل ضوء الرضا

فاذا كان يوم القيامة يكون الناس على جمر الغضا وعباد الرحمن على بساط الرضا الناس فى الكرب والشقاء وعباد الرحمن فى القرب واللقاء جزاء السهر النظر وجزاء الفنى نيل المنى « شعر »

حجبت عيني عن رؤياك يا أملي　　فـلو مننت على عيـني بالنظر
حتى أقول لعيني عنـد رؤيتها　　هذا جزاء لطول الدمع والسهر

ياهذا سفر الليل لا يطيقه إلا مضمر المجاعة تجتمع جنود الكسل فتتعلق بذيل الثوانى وتزين حب النوم وتزخرف طيب الفراش وتخوف برد المـاء فاذا نارت شـعلة من نار العزم أضاءت بها طريق القصـد فسمعت أذن اليقين نداء هل من سائل هل من مستغفر هل من تائب ﴿شعر﴾

فقمت أفرش خدى في التراب له　　ذلا وأسحب أجفاني على الاثر

رياح السـحر أقوات الارواح عبارة النسيم لا يفهمها الا المشتاق حـديث البرق لا يروق الا للاحباب خـلوا بالحبيب على بساط المناجاة فـكساهم ثياب الوصـلة وضمخهم بطيب المعاملة وغالية السـحر يصبحون وعليهم سيما القرب تفوح أرواح تجد من ثيابهم تأسف ياجيفة النوم أبك ياعريان الغفلة ويحك أتدري كيف مر عليهم الليل ألك علم بمـا جري للقوم أتعلم حال كيف بات المتيم رحلت رفقة تتجافي جنوبهم عن المضاجع قبل السحر ومطرود النوم في حبس الرقاد فما فك عنه السجان قيد الكرى حتى استقر القوم بالمنزل فقام يتلمح الآثار ﴿ شعر ﴾

حمد المدلجون غب سراهم　　وكفى من تأخر الأبطاء

﴿ آخر ﴾

« ٣ » قوله فمن كان وقته الخ لعل الصواب فمن كان وقته وقت وصال كما يدل عليه الشعر ويكون المقابل ساقطا

حدث فقد ناب سمعي اليوم عن بصري * قنعت في الحب بعد العين بالأثر

بالله قل لي أحاديث الذين مضوا * ان كنت مطلعا منهم على خبر

مالت بالقوم الاشواق ميل الريح بالأغصان هز الخوف افنان القلوب فانتثرت الأفنان فاللسان يضرع والعين تدمع والوقت بستان أخذوا من الدنيا الكفاف وقالوا نحن ضيفان باعوا الحرص بالقناعة بما ملك أنوشروان أين أنت منهم ما نائم كيقظان كم بينك و بينهم أين الشجاع من الجبان شغلتهم الخلوة بالحبيب عن نعم و نعمان اشتاقوا الي لقاء مولاهم والمحب ظمآن فاذا وردوا القيامة تلقاهم بشير لولاهم ماطابت الجنان يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان . قال الجنيد رأيت في المنام ملكا من الملائكة فقال لي أقرب ما يتقرب به المتقربون ماذا قلت عمل خفي بميزان وفي فانصرف الملك وهو يقول كلام موفق والله (والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم) هؤلاء مع الطاعات والاجتهاد خائفون وعلى باب الذل والافتقار واقفون و بين يدي مولاهم باسرارهم عاكفون يسألون مولاهم صرف العذاب و يخافون من إقامة العدل والتوبيخ والعتاب و يخشون سطوة القهر وصولة العز والمنع والحجاب والغافل مع تفريطه واهماله وتقصيره في أعماله قليل الفكرة في حاله ومآله فشتان ما بين الفريقين وما أبعدها بين الطريقين ﴿وروي﴾ عن رسول الله ﷺ أنه قال لأسامة ابن زيد يا اسامة إياك ودعاء عباد الله الذين أذابوا اللحوم واحرقوا الجلود وغشيتهم (٣) أبصارهم فان الله اذا نظر اليهم باهى بهم ملائكته بهم يصرف الله تعالى الزلازل والفتن ﴿والذين اذا انفقوا لم يسرفوا﴾ بانفاق أموالهم في المعاصي واللهو والعبث ومالافائدة فيه ﴿ولم يقتروا﴾ لم يمنعوا حق الله تعالى من أموالهم ولم يبخلوا بما أمروا بالانفاق فيه من مصالح نفوسهم وعيالهم «وكان بين ذلك قواما» أي وسطا أي ينفقون في الطاعات وفيما يحتاجون اليه من المباحات * والذين لا يدعون مع الله إلها آخر أي يوحدون الله تعالى و يحفظون ألسنتهم وأيديهم عن دماء الناس وأموالهم وأعراضهم و يحفظون فروجهم عما حرم الله تعالى * ولا يقتلون النفس التي حرم الله قتلها ﴿الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك﴾ أي واحدا من الثلاثة

---

(٣) قوله وغشيتهم أبصارهم هكذا بالأصل ولعله وغشيت أبصارهم وليحرر الحديث

(يلق أثاما) أي عقوبة يضاعف له العذاب يوم القيامة و يخلد فيه مهانا الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا منهم فأولئك يبدل الله سيآتهم المذكورة (حسنات) في الآخرة وكان الله غفورا رحيما أى لم يزل متصفا بذلك ومن تاب من ذنوبه غير من ذكر وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا أى يرجع اليها رجوعا فيجازيه خيرا والذين لا يشهدون الزور أى لا يشهدون شهادة الزور ولا يحضرون مواضع الباطل ومجالس الفسق واذا مروا باللغو أى بمواضع الباطل مروا كراما يكرمون أنفسهم بصونها عن الاشتغال بالباطل والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا أي لم يتصاموا عن سماعها ولم يتعاموا عن تدبرها والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما أى يسئلون الله تعالى أن يجعلهم من الصادقين ليهتدى بهم من يحتاج الى معرفة طريق المتقين سئل الجنيد رضي الله عنه عن عباد الرحمن من هم فقال هم الذين طاعة الله حلاوتهم والفقر كرامتهم وترك الدنيا لذتهم والى الله حاجتهم والتقوى زادهم ومع الله تعالى تجارتهم وعليه اعتمادهم وبه أنسهم وعليه توكلهم والجوع طعامهم وحسن الخلق لباسهم والسخاء حرفتهم والعلم قائدهم والصبر سائقهم والهدي مركبهم والقرآن حديثهم والشكر زينتهم والذكر همتهم والرضا راحتهم والقناعة مالهم والعبادة كسبهم والحياء قميصهم والخوف سجيتهم والنهار عبرتهم والليل فكرتهم والحكمة سيفهم والحق حارسهم والحياة مرحلتهم والموت منزلتهم والنظر الى الله تعالى منيتهم فهؤلاء عباد الرحمن . ويقال للعبودية أربعة أركان صحة العقد وصدق القصد والوفاء بالعهد وحفظ الحد فصحة العقد الأيمان بالله تعالى وصحة الاعتقاد من غير تشبيه ولا تعطيل وصدق القصد الأخلاص لله تعالي والوفاء بالعهد امتثال الأوامر وحفظ الحد اجتناب النواهي ويقال العبودية أن تكون عبد الله على كل حال كما أنه ربك . وقال سهل بن عبد الله أجل مقام في العبودية ترك التدبير والأختيار ويقال العبودية ان تسلم اليه كلك وتحمل عليه كلك . وقال رجل لبعض الصالحين ضاقت بى الحيلة فما الحيلة قال قصر اليد وتعفير الخد وخوف الصد.

(ذكر فضيلة العمل في عشر ذى الحجة)

عباد الله هذه ليالى العشر التي اقسم الله بها في سورة الفجر فقال تعالي

(والفجر) أي اقسم بالفجر وهو كل فجر وقيل فجر يوم النحر لانه آخر وقت الوقوف بعرفة وقيل فجر أول يوم المحرم وقيل عنى به صلاة الصبح ﴿وليال عشر﴾ هي عشر ذي الحجة عند أكثر المفسرين رواه جابر عن رسول الله ﷺ وقيل هي العشر الأواخر من رمضان وقيل الأول من المحرم قال مجاهد ليس عمل في ليالى السنة أفضل منه فى ليالى العشر وهي عشر موسى التي أتمها الله تعالي له * روى الترمذى عن أبي هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال مامن أيام أحب الى الله تعالى أن يتعبد له فيها من عشر ذى الحجة صيام كل يوم منها بصيام سنة وقيام كل ليلة منها بقيام ليلة القدر * وروى مالك رضى الله تعالى عنه في موطئه أن رسول الله ﷺ قال مارؤى الشيطان يوما هو فيه أصغر ولا أدحر ولا أحقر ولا أغيظ منه في يوم عرفة وماذاك الالما يرى من تنزل الرحمة وتجاوز الله تعالى عن الذنوب العظام الا مارؤى يوم بدر قيل ومارؤى يوم بدر يارسول الله قال اما أنه قد رأى جبريل يزع الملائكة وفى الصحيح عن رسول الله ﷺ قال أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة وافضل ماقلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لاشريك له * وروى مسلم عن أبى قتادة أن رجلا أتى الى النبي صلي الله عليه وسلم قال كيف تصوم فغضب رسول الله ﷺ من قوله فلما رأى عمر غضبه قال رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد ﷺ نبيا نعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله ﷺ فجعل يردد هذا الكلام حتي سكن غضبه فقال عمر يارسول الله كيف بمن يصوم الدهر كله قال لاصام ولا أفطر أو قال لم يصم ولم يفطر قال كيف من يصوم يومين و يفطر يوما قال أو يطيق ذلك أحد قال كيف من يصوم يوما و يفطر يوما قال ذاك صوم داود عليه الصلاة والسلام قال كيف من يصوم يوما و يفطر يومين قال وددت أني طوقت ذلك ثم قال رسول الله صلي الله عليه وسلم ثلاثة من كل شهر ورمضان الى رمضان فهذا صيام الدهر كله صيام يوم عرفة أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله والسنة التى بعده وصيام يوم عاشوراء أحتسب على الله أن يكفر السنة التى قبله فينبغى للمؤمن أن يقبل فى العشر علي العبادة جهده و يعظم ماعظم

الله تعالي من حرمته وأشرف أيام العشر يوم عرفة فيه أكمل الله تعالى شرائع
الاسلام وذلك أن الله تعالي فرض على هذه الأمة شهادة التوحيد وتصديق الرسل
وركعتين أول النهار وركعتين آخره ثم فرض الصلوات الخمس ليلة المعراج قبل
الهجرة بثمانية عشر شهرا ثم فرض الزكاة وصيام رمضان بالمدينة بعد الهجرة بسنة
ثم فرض الحج سنة تسع من الهجرة فحج المسلمون من المدينة وأمر النبي صلي الله
عليه وسلم عليهم أبا بكر رضى الله عنه ثم نزل أول براءة فأقرأها النبي صلي الله عليه وسلم
لعلي ابن أبى طالب رضى الله عنه وبعثه فلحق الحاج فقرأها على الحاج بعرفة وأمر
مناديا ينادى أن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ثم حج النبي صلي الله
عليه وسلم حجة الوداع سنة عشر فانزل الله تعالى عليه يوم عرفة وكان يوم الجمعة اليوم يئس
الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت
عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا ومعناه أن المشركين كانوا يطمعون أن
يقهروا المسلمين ويظهروا عليهم فيبطلوا الاسلام ويذهبوه فلما فتح المسلمون مكة
ودخلوها ظاهرين وحجوا حجة الوداع ومنعوا المشركين انقطع اطماع الكفار فتقديره
اليوم يئس الذين كفروا من دينكم اليوم أكملت شرائع دينكم وخصصتم بالحج دون سائر
الملل وجعلت الحج فى وقت معلوم وكانت الجاهلية يحجون كل سنة في شهر حتى
اختلطت أشهر الحج وخفيت فيوم عرفة يوم اكمال الدين واتمام النعم قال ابن مسعود
مامن عبد يدعو الله تعالى بهذه الدعوات ثم يسأل الله تعالي شيأ الا أعطاه سبحان
الذى فى السماء عرشه سبحان الذي فى الارض حكمه سبحان الذى فى القبر قضاؤه
سبحان الذي فى البحر سبيله سبحان الذى فى النار سلطانه سبحان الذى فى الجنة
رحمته سبحان الذى في القيامة عدله سبحان الذى رفع السماء سبحان من بسط الأرض
سبحان الذي لاملجأ ولا منجي منه الااليه والايام المعلومات أيام النحر وقد أمر
الله تعالى بالذكر فيها وروى فى الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال أيام التشريق
أيام أكل وشرب وذكر الله تعالى وروى أن النبي ﷺ قال أنها الأيام المعدودات
والله تعالى أعلم والأيام المعلومات لا يكف فيها رجل بصره عما لا يحل له الا كتب
الله تعالى له مثل أجر من يحج وصلي الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الفصل التاسع عشر في القلوب)

الحمد لله العليم الخبير الحى السميع البصير المجيب العلى الكبير الخالق البديع القدير هو الأول والآخر والظاهر والباطن الملك الواحد الأحد الذي رفع السماء بغير عمد ودحا الارض على الماء ومهد المنزه عن الصاحبة والوالد والولد الغنى عن الأدوات والجهات والاماكن زين السماء بزينة الكواكب وقابل بحكمته بين المشارق والمغارب فالعاصى مدبر كالهزيم الهارب والطائع مقبل كالخصيم الطالب فانظر الى حركات عساكرها فى الليل الساكن ينزل الماء من السماء فيمتد وجه الارض بعد سكونه ويجريه بقدرته منقسما بين أنهاره وعيونه وينبت به الزرع والحب والفاكهة والأب ويظهر من الروض أنواع رياحينه هذا خلق الله فأرونى ماذا خلق الذين من دونه أدلة التوحيد ظاهرة ولكن عقل الغافل المنافق واهن تأمل عجائب بدائع مصنوعاته وتدبر صفحات واضحات آياته وكف فكرك عن الجولان فى صفاته فغاية العقل من الادراكات العجز عن الاحاطة بعد اثباته لاغاية لجلاله ولا نهاية لكماله من شبه فهو ملحد ومن عطل فهو جاحد مائن المشبه متعلق بالحس والخيال والمعطل تائه فى بيداء الضلال والمحقق مصدق بصفات الكمال معترف بالعجز عن ادراك الجلال فسبحان ذى العزة والعظمة والكبرياء والجلال والاكرام والمحاسن الذى أيقظ قلوب السعداء من سنة الرقاد وسلمها بعنايته من الشقاء والعناد وطهرها بمنته من دنس البعاد وأنزل عليها من بحار رحمته مطر الوداد فذاقوا حلاوة الموعود بقوله سبحانه وتعالي فيها أنهار من ماء غير آسن فأسرارهم بهجة بطيب ولائه وألسنتهم لهجة بحسن ثنائه وقلوبهم مشرقة بتعظيمه وكبريائه وحرقتهم لاتسكن الا بلقائه فحينئذ يأمن الخائف ويخاف الآمن هنالك يتنبه من كان اليوم فى نوم غفلته وينقطع قلب المفرط بما يتجرع من حسرته ويندم على ما ضيعه من سالف مدته ويتضاعف ألمه اذا نوقش على قبيح زلته فيا حسرة على من حمل الامانة ثم كشف ديوانه فاذا هو خائن فسبحان من قدر وقسم وأبرم وحكم وخلق الانوار والظلم وجعل توبة عباده الندم وعلم ما كان وما هو كائن * أحمده على جميع إفضاله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له فى صفاته ولا شريك له فى أفعاله وأشهد أن محمدا

عبده ورسوله الذى أثلج حرارة الصدور ببادر زلاله ﷺ وعلى جميع عترته وأصحابه وآله صلاة دائمة ماحرك ساكن الاشواق ذكر المواطن في قول الله عزوجل ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق الآية قال ابن مسعود ماعاتبنا الله تعالى بهذه الآية بعد اسلامنا بسبع سنين . وروى أن بعض الناس أصابتهم فترة فى قلوبهم فأنزل الله تعالي هذه الآية قال بعض أهل المعانى هذا الكلام يشبه الاستبطاء ومعناه أما حان وقت الخشوع اماحان أوان الرجوع اماحق على التفريط اسبال الدموع اماهذا وقت التذلل والخضوع وفي ذكر الايمان فى أول الآية تعريف بالمنة واشارة الى استبطاء ثمرته هذا الايمان وثمرته أن تخشع قلوبكم هذا الايمان وثمرته أن تبكوا على ماسلف من ذنوبكم ألم يأن للمؤمن أن يخشع ويتوب وينيب ألم يأن للغافل أن يتنبه ويجيب ألم يأن للمذنب أن يرجع من قريب ألم يأن للمريض أن يقف على باب الطبيب . وقوله أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق يعنى القرآن فمن حضر قلبه لذكر الله وأصغى بسمع سره لكتاب الله تعالى خشع قلبه قال تعالى ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أى عقل وقلب حي بنور الموافقة حاضر على بساط المراقبة صاح عن سكر الغفلة غير معرض عن الاعتبار ولا مشغول بحديث الاغيار أو ألقى السمع وهو شهيد أى أصغى بسمعه وهو حاضر بسره قال ﷺ ان لله أوانى الا وهى القلوب فأقربها الى الله مارق وصفا وصلب قال أبو عبد الله الترمذى الرقة خشية الله تعالى والصفاء للاخوان في الله والصلابة في دين الله تعالى ويقال شبهت القلوب بالآنية فقلب الكافر إناء منكوس لا يدخله شيء من الخير وقلب المنافق اناء مكسور ماألقى فيه من أعلاه نزل من أسفله وقلب المؤمن اناء صحيح معتدل يلقى فيه الخير فيصل لكن قلوب قوم طاهرة من دنس الغفلات والزلات فما ألقي فيها بقى طاهرا وقلوب قوم فيها دنس قليل يغلب عليه مايلقي فيها من الطهور وقلوب قوم كثيرة الادناس يغلب دنسها على مايلقى فيها من الخير وربما امتلأت من الأدناس فلا تسع شيئا قال الله تعالي فى حق المتطهرين وذكر فان الذكري تنفع المؤمنين ذكر العاصين عقوبتي ليرجعوا عن مخالفتى وذكر المطيعين ثواب طاعتي ليزدادوا من خدمتي وذكر

عبادى ما صرفت عنهم من بلائى ومنحتهم من عطائى وأعددت لهم من لقائى ليستغرقوا أوقاتهم من ثنائي وقوله تعالى ولا تكونوا كالذين أتوا الكتاب من قبل وهم اليهود فطال عليهم الأمد بعد موت موسى ثم وقعت الفترة بين عيسي ومحمد ﷺ فكفر النصاري واليهود وقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون أى كافرون ومعناه لم يبق منهم على الايمان الا القليل وهم الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ويقال قسوة القلب انما تكون لانحرافه عن مراقبة الرب ويقال انما تحصل القسوة من متابعة دواعي الشهوة فان الشهوة والصفوة لا يجتمعان وأول مايقع في القلب غفلة فان أيقظه الله تعالى والا صارت خطرة فان ردها الله والا صارت فكرة فان صرفها الله والا صارت عزمة فان حماه الله والا وقعت المعصية فان أنقذه الله بالتوبة والا وقعت قسوة فان نهاه الله والا صارت طبعا ورينا قال الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون قال ابراهيم بن أدهم قلب المؤمن نقى كالمرآة فلا يأتيه الشيطان بشىء الا أبصره فان أذنب ذنبا ألقي فى قلبه نكتة سوداء فان تاب محت وان عاد الى المعصية ولم يتب تتابعت النكتة حتي يسود القلب فقل ما تنفع فيه الموعظة وقال الحسن الذنب على الذنب يظلم القلب حتي يسود القلب ويقال القلب كالكف لا يزال يقبض أصبع بعد أصبع حتى يطبق وقال الترمذى حياة القلوب الايمان وموتها الكفر وصحتها الطاعة ومرضها الاصرار على المعصية ويقظتها الذكر ونومها الغفلة وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فتقسوا قلوبكم والقلب القاسى بعيد من الله ولكن لا تعلمون وانظروا في ذنوبكم كأنكم عبيد ولا تنظروا في ذنوب الناس كأنكم أرباب فانما الناس معافى ومبتلي فارحموا أهل البلاء واحمدوا الله على العافية عباد الله البدار البدار فالعمر طيار كما قيل «شعر»

انما هذه الحياة متاع * فالجهول السفيه من يصطفيها

مامضي فات والمؤمل غيب * ولك الساعة التي أنت فيها

(يا هذا) قد قرب السفر فأحكم أحمال الاعمال واقطع علقك من البلد فاذا ضرب بوق الرحيل كنت أول سائر كم تعاهد ثم تغدر أأمنت غب زجرنا أو رضيت عاقبة هجرنا ألك

عن وصلنا مندوحة أما أبواب كرمنا لك مفتوحة يا ناسيا ميثاق ألست بربكم حسن العهد من الايمان ومن كرم المرء فرط الحنين الى أوطانه (شعر)

ياحبذا العرعر النجدي والبان * ودار قوم باكناف الحما بانوا
وأطيب الارض ماللقلب فيه هوى * سم الخياط مع الاحباب ميدان

ياغافل القلب عنا ماهذا الكلام لك ليس على الخراب خراج قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينظر الي صوركم وأقوالكم ولكن ينظر الي قلوبكم وأعمالكم ياهذا دع حديث السالكين فانه من لعبك لا تدع نسب المجتهدين انه ليس من أهلك لا يعرف البحر الاسابح ولا البر الاسائح ولا الزناد الاقادح هيهات كيف يزاحم الابطال بطال أين أنت من الاحباب أين القشر من اللباب قبيح عليك يامسكين ان تدخل الميدان بحمار أعرج (شعر)

هل مدلج عنده من مبكر خبر * وكيف يعلم حال الرائح الغادي
فان رويت أحاديث الذين مضوا * فعن نسيم الصبا والبرق اطنادى

ماأحلى ذكر العباد ماأطيب أخبار الزهاد ماأحسن مصاحبة أهل الوداد ماألذ معاملة أهل الاجتهاد أكلهم أكل المرضي ونومهم نوم الغرقي وحنينهم حنين الثكلي فرغت منهم المنازل وجدوا القبور منازل اذا أويت الي المقابر فتأمل بقلبك قبور الصالحين كبشر ومعروف وأحمد تراها عمرانا و بقية القبور خراب بلقع * وكان بعض الصالحين من السلف يوقد المصباح ولا يزال يبكى الى الصباح كلما رأى النار (وكان) بعضهم يوقد النار و يقرب يده منها و كلما أحس بالحرارة يقول ياويلك لم فعلت كذا وكذا . يا هذا انما خلقت فى الجنة وسجنت فى الارض فاذا سمعت روحك ذكر وطنها الاول حنت وأنت و كلما جلا صقيل الرياضة مرآة سرها قوى الشوق * وكان أبو الدرداء يقول اني أحب الموت اشتياقا الي ربى * وكان أبو عبيدة يقول واشوقاه لمن يرانى ولا أراه * وكان فتح الموصلي يقول قد طاب شوقى اليك فعجل قدومى عليك كما قيل شعر

وبى شوق اليك أذاب قلبي * ومالي غير وصلك من طبيب

اذا صحت المحبة فعلت مايرضي ورضيت مايفعل شعر

إن كان سكان الفضا　رضوا بقفلي فرضا
والله لا كنت لما　يرضى الحبيب مغضبا
من لمريض لايرى　الا الطبيب الممرضا

دخل على عابد فى مرضه فقالوا له كيف أصبحت قال أصبحت وكل عرق يتألم على حدته ولا يحب الا الله وقيل لآخر فى مرضه كيف أصبحت قال أصبحت ومالى حاجة الا أن يتوفانى الله على الاسلام الهى ان عيوبنا لا يسترها الا محاسن عطفك وذنوبنا لا يغفرها الا مكارم لطفك يامن عليه المتكل يامن اليه المبتهل يامن اليه مشتكي الضر اذا الضر نزل يامن لو أن الخلق أضعاف عليه لكفل وكيف لا يكفلهم وهو غنى لم يزل الهى أدعوك مع خوفى لانك رب الارباب وأرجوك مع تقصيري كرجاء الاحباب أدعوك بلسان أملى لما كل لسان عملي فان قبلتني فبفضلك وان رددتني فبعدلك شعر

أتيتك سائلا فارحم عنائي　فعندك يا كريم دواء دائى
فلا أحدا سواك اليه أشكوا　فيرحم عبرتي ويرى بكائى
فيامولى الوري جدلى بعفو　ومن بنظرة فيها شفائي
رأيت كثيرا ماأهدي قليلا　لمثلك فاقتصرت على الثناء

الهي أدعوك اقرارا بذل العبودية وأنت تجيبني اختيارا بكرم الربوبية ياأكرم من سمح بالنوال وأرحم من جاد بالافضال أيقظنا من غفلتنا بلطفك واحسانك وتجاوز عن جرائمنا بعفوك وغفرانك والحقنا بالذين أنعمت عليهم في دار رضوانك وارزقنا مارزقتهم من نعيم قربك ولذة مناجاتك وصدق حبك واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين آمين

الفصل العشرون في الفرار

(الحمد لله) منشىء الموجودات وباعث الاموات وسامع الأصوات ومجيب الدعوات وكاشف الكربات عالم الاسرار وغافر الاصرار ومنجى الابرار ومهلك الفجار ورافع الدرجات الذى علم وألهم وأنعم وأكرم وحكم وأحكم وأوجب وألزم وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات الاول

الذي ليس له ابتداء الآخر الذي ليس له انتهاء الصمد الذي ليس له وزراء الواحد الذي ليس له شركاء الحي القيوم الذي لا مشارك له في الصفات العليم الخبير القوي القدير السميع البصير المنفرد بالتدبير قدر الاشياء على ما أراد من الحالات والاوقات تكلم بكلام قديم أزلي في الازل وتفرد بالعز الذي لم يزل وتنزه عن النقائص والعلل وتقدس عن الفتور والخلل وتعالى عن الأوهام والشبهات ماعرفه من جحد صفات الكمال ولا اهتدي اليه من سلك طريق الاعتزال ولا نزه من شبه واتبع الوهم والخيال قصرت العقول وعجزت الالباب عن ادراك الجلال وكيف للحادث أن يدرك القديم هيهات سبحان من نور بمعرفته قلوب أحبابه وطهر سرائرهم فتنعموا بخطابه وصدقوا بعدله فقطعهم عن بابه وردقوا بحكمه فعذبهم بحجابه الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الي الظلمات ياخيبة من لم يؤيده الحكيم العليم ياحسرة من لم يقبله الملك العظيم يامصيبة من فاته هذا الجود العميم يارزية من سمع هذا العتاب وهو على خطاياه مقيم يافضيحة من لم يستحي من مولاه في الخلوات أتبارز بالقبيح من عاملك بالجميل أتجاهر بالعصيان من غمرك بفضله الجزيل أترضى بالبعاد بدلا عن الوداد فبئس البديل أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل مالكم لا تنهضوا الى الغنائم ولا تقعدون عن المخالفات أين البعيد من القريب أين الطريد من الحبيب أين المخطىء من المصيب أين المحروم ممن هو وافر النصيب ومايستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور ومايستوي الاحياء ولا الاموات فسبحان الذي قسم عطاءه بين عباده وأبرم قضاءه فلا معارض له في مراده وسبقت عنايته وولايته لاهل وداده وخصهم برعايته وكفايته واسعاده وأمنهم يوم الفزع الاكبر من جميع المخالفات * أحمده حمد معترف بالعجز عن ثنائه (وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في عزه وكبريائه (وأشهد) أن محمدا عبده ورسوله سيد أصفيائه وخاتم رسله وأنبيائه صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه الذين مثلهم في سورة الفتح بالنبات وعلى أزواجه الطاهرات سر قوله تعالى الطيبات للطيبين والطيبون للطيبات وسلم تسليما كثيرا (في قول

الله عزوجل ففروا الى الله انى لكم منه نذير مبين) . ففروا الى الله تعالى من الشرك الي توحيد الله تعالى ومن المعصية الى الطاعة ومن الغفلة الي ذكر الله تعالى ومن رؤية نفوسكم الى منة الله تعالى ومن أبواب الخلق الي باب الله تعالى أ إله مع الله قادر غنى غير الله (شعر)

قل للفقير اذا ما انثني * الى أين تذهب عن بابه
وهل أحد غيره يرتجى * بل الكل من بعض طلابه
يلذ التذلل فى عزه * وذاك النعيم لأحبابه
يغار المحب علي سره * وبلواه تعرب عما به

قف بالباب أيها الفقير الحقير وتضرع الى الله تضرع الأسير بقلب كسير وقل يا إله العالمين وأكرم الاكرمين أسير الظلمات واقف بباب كرمك ينتظر فوائد رحمتك وزوائد نعمتك الخير دأبك والحكم حكمك إجعل منتهي مطالبنا رضاك وأقصى مقاصدنا رؤياك وعن الشهوات باعدنا الان نلقاك وأنت راض عنا فلعلك تحف من الله تعالى بحفي إفضاله وتحظي منه بجميل إقباله فان من اعتز بجاهه حماه ومن استضاء بهداه هداه ومن انقطع اليه كفاه ومن حط رحاله ببابه آواه ومن أعرض عنه ناداه ومن رجع اليه قبله وأدناه ومن تمادى فى متابعة هواه أبعده واقصاه يا ناقضي العهود انظروا لمن عاهدتم ثم تلافوا خرق الخطا يا قبل أن يتسع أعرضتم عني وما أعرض عنكم لطفي وقطعتم خدمتي وما قطعت عنكم نعمتى

(شعر)

فلا تحسبوا انى نسيت ودادكم * وانى وان طال المدى لست أنساكم
حفظنا وضيعتم ودادا وحرمة * فلا كان فى هجرلنا اليوم إغراكم

رسائلى اليكم لا تنقطع وحبي اليكم لا يتبدل وذكرى اليكم لا يتحول انما رددت ابليس لانه لم يسجد لأبيكم فالعجب كيف صالحتموه وقاطعتمونى (شعر)

يامعرضا عنى وما * لطفى عنه منفصل
ياقاطعى اليوم لمن * نويت من بعدى تصل

«كان» لبعض الرجال أوقات مناجاة وطاعات فتغيرت ولم تتغير نعم الله تعالى

عليه فجلس يوما فى خلوة وقال يارب تغيرت خدمتي ولم تتغير نعمك فهتف به هاتف ان لك عندنا الايا ماحفظناها وضيعتها (شعر)

تعالوا بنا نصطلح * فباب الرضا قد فتح
وداووا الفؤاد الذي * بسيف الجفا قد جرح
أيا مــدعي حبنا * دع الروح ثم انطرح
تعلق بأهل الهوي * وقل للعذول استرح

يامنقطعا عن ركب السابقين في بيداء الغفلة انما يأكل الذئب من الغنم القاصية شمر عن ساق الجد وشد عن مئزر الكد واحذر حسرة البعد فعسى أن تلحق بالقوم و يحك أما يؤلمك ألم الهجران أما يبكيك الحرمان قف على اطلال الديار وتلمح الآثار وقل ياديار الأحباب أين السكان يامنازل الصالحين أين الخلان ياأطلال الشوق أين البنيان (شعر)

على لربع العامرية وقفة * تمل على الشوق والدمع كاتب
ومن مذهبي حب الديار لاهلها * وللناس فيما يعشقون مذاهب

ما البقاع الصالحين قد خلت منهم واقفرت مالوجوه العبادة التي تبرقعت بعد ما اسفرت أين الجباه التى طال فى الدجي ماعفرت (شعر)

كفي حزنا بالوا له الصب أن يرى * منازل من يهوى معطلة قفرا

من وقف علي قبر بشر ومعروف تذكر ما كانا فيه من خير ومعروف أين نحن من القوم كم بين اليقظة والنوم أين العباد من الزهاد ذهبوا و بقي أهل الرقاد «قالت» أم سعيد النخعى كان بيننا و بين داود الطائى حائط قصير و كنت اسمع حسه طول الليل يهذي قيام الليل جهاد ولايحضر المعترك جبان «كانت» منيرة العابدة اذا جن الليل تقول ماشبه هذه الظلمة بظلمة القيامة يوم يقوم الناس لرب العالمين ثم تقوم فتصلي الى الصباح . وقالت أم عمر بن المنكدر يابنى اني اشتهى ان أراك نائما بالليل فقال ياأماه ان الليل ليرد على فيهولني و ينقضي عني وماقضيت أربى وكان بشر الحافى لاينام الا أن يغلب و يقول انما أنا رجل مطلوب . وكان بعض الصالحين يصلي بالليل ركعتين يختم فيهما القرآن ثم يتم الليل بالبكاء ياهذا لم يكن للقوم هم غير

ماخلقوا له فأما نفوسهم فلا اهتمام لهم بها . عرى أويس القرني حتى ائتزر بخرقة وقدم بشر الحافى من عبادان وهو مئتزر بحصير * وكان أويس يلتقط النوى فيشتري به مايفطر عليه فاذا أصاب حشفة أدخرها لافطاره ويلتقط الخرق من المزابل ويغسلها ويرقع بها ويفر من الناس فلا يجالس أحدا . يامطروحا فى سجن البعد استعن بمن حبسك اذا رأيت قطار التائبين متصلا فتعلق بهم لعلك تحمل معهم تالله ماحدا الحادي الا وقد قرب الموسم اذا فتح لك باب فبادر قبل غلقه شعر

اذا ماثغور الدهر يوما تبسمت * اليك بنشر فانتهز فرصة النشر

رعى الله أياما جنينا ثمارها * بأيدي المنى من بين أوراقها الخضر

ان ذكر منازل الصفاء يكدر العيش وان الفكر فى وقوع الجفاء يوجب الطيش ياهذا تسمع مايجرى ومالك دمع يجري وتعرف قبح ما تأتى وتدعى التوبة وما تأتي اذا وقع طبيب على دائك فاكتب منه نسخة دوائك فالحكمة ضالة المؤمن استغث بالمقبولين ونادفي نادى المحبين ياواصلون اشفعوا في منقطع يا بعيدا عن العابدين يا وحيدا عن السالكين فتح الباب لأرباب الألباب وردفي وجهك مالك لسان تسألنا به ولا وقت تناجينا فيه ولا قلب تجد ناعنده تالله ما أظن قساوة قلبك الا من آثار البعد والله ان الرمد لا يخفى من العمى دم على القلق والاستغاثة فان حصل المقصود والافلا وجه للسكون . قيل للخنساء لم تبكين قالت على فقد الاحباب قيل لها انهم صاروا الي النار قالت ذلك أشد لحزنى ياهذا مالك سوى نفس واحدة فان ذهبت حسرة فلا وجه للتدارك أرضيت لنفسك مع ذكائك وفطنتك ان تعيش عيش البهائم نهارك لهو وليلك نوم وبين يديك الحساب قوت المريد الذكر وراحة المحزون الدمع ولذة العارف الخلوة كل ذرة من العارف تنطق بمحبة الله وصاحب الوجد لاتخفى سرائره ياغافل القلب عنا أما هذا الحديث معك من يوم ألست بربكم أفلز للك الذى أوحش بيننا وبينك إلى متي أنت من وراء الباب أصعب الاشياء على المحب لقاء من يشغله عن حبيبه لان خلوة أناجليس من ذكرني لاتحتمل شركة * قال ذوالنون رأيت شيبان فى جبل لبنان فقلت أدع الله لي فقال آنسك الله بقربه ثم شهق شهقة فما أفاق الا بعد ثلاثة أيام كيف لاتشتغل القلوب بساكنها ويسعى قلب عبدي المؤمن شعر

بنتم عن العين القريحة فيكم * وسكنتم طى الفؤاد الواله

قال رجل لداود الطائى أوصنى قال داود قروح بطنك بالجوع واقطع مفاوز الدنيا بالاحزان وآثر حب الله تعالى على هواك فما تبالى متى تلقاه . قام القوم فما يقعدك قربوا من الجنات فما يبعدك فتحت لهم الابواب فما حيرتك هذه الاطلال فأين السؤال هذه الخيام فأين الخدام هذه الربوع فأين الدموع هذه القصور فما هذا القصور هذه القبور فما هذا الفتور هل لك رغبة فى مرافقة الصالحين أو رضيت أن تكون مع الخالفين يامن قلبه أقسي من حجر حد نفسك بيد الفكرة واخرج الى المقابر وقل لهم ماذا تتمنون فانهم لو نطقوا لقالوا نتمني ساعة من عمرك ومثل نفسك فى عرصات القيامة بين المفرطين ترى الوادى قد امتلأ بدموع الآسف ومثل بسمعك أصوات المسجونين فى النار إذ يقولون ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا هذا الذي أقلق العباد وأحرق الاكباد * اجتمع أحمد الخزاعى وحبيب بن محمد أول النهار فما زالوا يبكون الى المغرب فما قنعت المحبة من القوم بالبكاء والسهر حتي طلبت منهم الارواح سمع بعضهم قارئا يقرأ وامتازوا اليوم أيها المجرمون فاضطرب ومات وسمع آخر قارئا يقرأ وأما الذين سعدوا ففي الجنة فصاح ومات. وسمع آخر قارئا يقرأ وقدمنا الي ماعملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا فصاح ومات . وسمع آخر قارئا يقرأ وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون فصاح ومات. (بيت) مفرد من الشعر

قضى الله في القتلى قصاص دمائهم * ولكن دماء العاشقين جبار

لو حضر قلبك لما شرحنا لاسترحنا يا من قد ضاع قلبه أنشده في مجالس الذكر فان لم تجده فبين القبور فان لم تجده فى البرية . أخرج عن ديار أدبارك ساعة الى فلوات الخلوات ولا تصحب غير الذكر (شعر)

تعرض لاحقاف اللوى غير ساعة * لعلك أن يلقاك قلبي فيهتدى
وسلم على ماء به برد علتي * فظل أراك كان للوصل موعدى
وعندكم يا قاتلون بقية على * مهجة ان لم تمت فكأن قدى
ويا أهل نجد كيف بالغور عندكم * بقاء تهامى يهيم بمنجد

(قال) مالك بن دينار ماعوقب عبد بعقوبة أعظم من قسوة القلب (وكان) على ابن بكار يفرش له الفراش فيمسه ويقول والله انك لطيب ولكن والله لاعلوتك الليلة ﴿وكان﴾ فتي من بنى تميم يحيي الليل كله فقالت له أمه يابني لونمت من الليل شيأ فقال ياأماه انما أطلب الراحة فى الآخرة قالت يا بني تخالف السهر أيام الحياة. يا قاعدين عنا يا راضين بالغير بدلا منا لو وفيتم بعهودنا مارميتم بصدودنا ولو كاتبتمونا بدموع الأسف لغفرنا لكم ماسلف (شعر)

ولو أنهم عند كشف القناع * وحل العقود ونقض العهود
وخلعهم لعذار الهوي * ولبسهم لبرود الصدود
أتونا وقالوا مضى مامضى * وبلوا بفيض الدموع الخدود
لقلنا لهم مامضى لايعاد * كذا شرطنا والتدانى يعود

ياهذا أعرف قدر ماضاع منك وابك بكاء من يدري مقدار الغائب وقف على باب الأفتقار ونادفى الاسحار «شعر» «٣»

ان كانت عهود وصلكم قد درست * فالروح من سوا كم ماأنست
اغصان ود كم بقلبي غرست * منوا بوصلكم والا يبست

ياسكران الهوى لو استنشقت ريح الأسحار لافاق سكرك حدث نفسك بأرض نجد يهن عليك عبور العقبة يامحصوراعن الوصول نادفي النادى بصوت الذل «شعر»

أيها الداخلون في أرض نجد ورکاب النوى بهم تترامى
ان أتيتم أرض الحبيب فأهدوا لحبيبي تحية وسلاما
واطلبوا لى قلبي المشوق المعنى تجدوا فيه من هواهم سهاما

أجلس في ظلام الليل بين يدى مالكك واستعمل فعل الاطفال اذا منعوا بكوا . تروح الى حديث المناجاة وأبعث رسائل الاحزان واستغث بمولاك فانه قادر على كشف بلواك كريم من توسل اليه بطاعته تفضل عليه بنعمته ان أطاع قبله وان أضاع أمهله فان أقر شكره وان أصر وغاب ستره عزيز ماإليه خطوة ولا بدونه سلوة «شعر» أفر اليك منك وان قلبي * لحيران عليك بمالديكا

«٣» قوله ان كانت الخ دخله الخزم فى أوله وهو هنا زيادة سبب خفيف

وأهرب من صدودك أنت ركني   وابكى منك بل ابكي اليكا

ملك شهدت بجلاله جميع أفعاله ونطق بجماله جميل إفضاله ودلت على اثباته آياته وأخبرت عن صفاته مصنوعاته كريم من توكل عليه كفاه ومن التجأ اليه آواه ومن سأله أعطاه ومن قصده أدناه بدأ المؤمنين بالاحسان وكتب في قلوبهم الأيمان وخصصهم بنعمة العرفان (شعر)

وكم باسطين الى وصلنا * اكفهم لم ينالوا المني

قطعناهم ووصلنا كم * فكانوا بعيدا وكنتم لنا

كم نعترف اليك وأنت تتجاهل وندعوك وأنت تتصامم وكم من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون أفلا تعقلون أفلا تبصرون عبدي كل يريدك له وأنا أريدك لك وأنت تفرمني فما أنصفتني عبدى أنا وحقى لك محب فبحقى عليك كن لي محبا كن لنا وبنا واذا كنت لنا فلا تحتفل بغيرنا اذكر من منحك الايمان وأعطاك وجردك عن الشرك وعراك فمن أين كان لك الاسلام والايمان والطاعة والاحسان لولا ما أعطاك من التصديق وخلق فى قلبك من التحقيق شعر

سقيا لعهدك بالذى لولم يكن   ما كان قلبي للصبابة معهدا

قسما بحبك لانسيت عهوده   كلا ولا يممت دونك مقصدا

كتمت حتى ضاع صبرى في الهوى   أنت الحبيب أنعم على رغم العدا

فاحكم بما ترضي فانك مالكي   فبحق جودك لا تكن لى مبعدا

إلهي لو أردت إهانتنا لم تهدنا ولو أردت فضيحتنا لم تسترنا فتمم اللهم ما به بدأتنا ولا تسلبنا ما به أكرمتنا (شعر)

أيا من كسا قلبي من الحب خلعة   وآمننى فى لبسة الدهر ان تبلى

ويا عوضي من كل سفر وحاضر   ويا خلفي من كل من صرم الحبلا

إلهى عرفتنا بربوبيتك ونعمتنا بذكرك وأنسك وغرقتنا فى بحار فضلك ورحمتك ودعوتنا الى دار قدسك إلهى إن ظلمة ظلمنا لانفسنا قد عمت وبحار الغفلة علي قلوبنا قد طمت فالعجز شامل والحصر حاصل والتسليم أسلم وأنت بالحال أعلم إلهى ما عصيناك جهلا بعقابك ولا تعرضا لعذابك ولا استخفافا بقدرك ولكن

سولت لنا نفوسنا وأعانتها شقوتنا فغرنا سترك علينا فالآن من عذابك من ينقذنا وبحبل من نعتصم ان قطعت حبلك عنا وأخجلتنا من الوقوف غدا بين يديك اذا قيل للمخفين جوزوا وللمثقلين حطوا إلهي ان كنا قد عصيناك بجهل فها نحن قد دعوناك بعقل حيث علمنا ان لنا ربا يغفر الذنوب ولا يبالي الهي تحرق بالنار وجها كان لك مصليا أو لسانا كان لك ذاكرا وداعيا لا بالذي دلنا عليك ورغبنا فيما أمرنا بالخضوع بين يديك وهو محمد خاتم أنبيائك وسيد أصفيائك فان حقه علينا أعظم الحقوق بعد حقك كما أن منزلته لديك أشرف منازل خلقك صل يارب على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وارحم عبادا غرهم طول إمهالك وأطمعتهم كثرة افضالك وذلوا لعزك وجمالك وجلالك ومدوا أكفهم لطلب نوالك ولولا هدايتك لم يصلوا الي ذلك اغفر اللهم لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

* (الفصل الحادى والعشرون في الاصطبار) *

الحمد لله الذى شهدت بوجوده آياته الباهرة ودلت على كرم جوده نعمه الباطنة والظاهرة وسبحت بحمده الافلاك الدائرة والرياح السائرة والسحب الماطرة والرياض الناضرة هو الاول فله الخلق والامر والآخر فاليه الرجوع يوم الحشر والظاهر فله الحكم والقهر الباطن يعلم السر والجهر والالسن عن وصف كبريائه قاصرة تحيرت دون صمديته الألباب وانقطعت عند جبروته الانساب وخضعت لعزته الرقاب وذلت لربوبيته الأرباب فالعقول فى تعظيمه وجلاله حائرة القدوس الواحد الأحد الحى القيوم الصمد الغني الذى لا يضره جحود من جحد العزيز الذى نضر وجه من تذلل بين يديه وسجد ووجوه الجاحدين والمشبهين باسرة قرب أولياءه من بساط افضاله ولقاهم السرور بيمن إقباله وأحيا قلوبهم بشهود جماله وعاملهم بجزيل نواله فهم في جنة عاجلة عاطرة الناس فى مهاد الغفلة قودوهم بين قيام وركوع وسجود وأشواق واملاق ووجود يسألون المولي فيعطف و يجود فأعينهم فى الليل ساهرة حجب قلوب الغافلين بحب العاجلة فهى عن النظر فى آلائه غافلة وصرف أسرارهم فهى عن جبلية العرفان عاطلة وحرمهم من أنس المناجاة ولذة المعاملة وأغشى بصائرهم

فهي غير ناظرة ماحيلة من طرد عن الباب مايصنع من قطع عن الاحباب ماوسيلة من حق عليه حكم الكتاب فما يزعجه التعنيف والعتاب ياخيبة من لم يكن مولاه ناصره السباق السباق سار السابقون واللحاق اللحاق قد أفلح المتقون والجد الجد فما يغنى السكون والحذر الحذر فما أنتم مهملون فالمبادرة عباد الله المبادرة تعب العاملون قليلا وجهدوا ثم وصلوا ونالوا ماقصدوا الخطوا واستراحوا وحمدوا فما أقل تعبهم في جنب ماوجدوا الا أن أولياء الله لا خوف عليهم ولاهم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفى الآخرة فسبحان من أعطى ومنع وخفض ورفع وفرق وجمع ووصل وقطع وبحكمه ربحت الطائفة الرابحة وخسرت الطائفة الخاسرة أضحك وأبكى وأمات وأحيا وأغنا وأقنى وأوجد وأفني وأباد بسطوته الامم الغابرة (أحمده) على ماأولى من النعم وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له إله تفرد بالبقاء والقدم وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وحبيبه وخليله المبعوث الي كافة الامم من العرب والعجم صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه كواكب الهدى الزاهرة صلاة دائمة باقية الى يوم الوقوف بالساهرة «فى قول الله تعالي رب السموات والارض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا» مالك السموات والارض ومافيهما ومابينهما من الاعيان والآثار فمن ذا الذى يعبد غيره أو يقصد فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا أى شبيها هل تعلم أحدا غير الله يسمى الله فلا يحمل التذلل الا لله ولا ترفع الحوائج الا الى الله والاصطبار غاية الصبر وهو الصبر على الاحكام والأوامر وعن المنهيات فى الباطن والظاهر ومن صبر ظفر ومن لازم الباب وصل

شعر

وقل من جد فى شىء يحاوله   فاستعمل الصبر الافاز بالظفر

ولما كان المعبود سبحانه وتعالى لا سمى له ولا نظير له حق للعابدين أن لا يذروا مقدورا فى طاعته الا بذلوه ولا يغادروا ميسورا فى طلبه الا تحملوه ولا يحق بذل المهج الا فى طلب الاعز يحق للدموع أن تتقطر على فوات قربته كما يحق للقلوب أن تتفطر من خوف فرقته شعر

سهر العيون لغير حبك باطل   وبكاؤهن لغير هجرك ضائع

أنت الحبيب فان مننت بنظرة * أضحت كان لم تدرهى مدامع

أيها الفقير لازم باب مولاك وانقطع اليه واعتمد في جميع أحوالك عليه لمن تدخر مجهودك اذا لم تطلب معبودك هل تعلم له سميا فى صفات جلاله أو شريكا في أفعاله أو شبيها فى إفضاله إن دعوته أجابك وان اطعته اثابك وان عصيته أمهلك وان رجعت اليه قبلك اصطفاك في القدم وعصمك من السجود للصنم وجعلك محلا للجود والكرم واختياره لك مكتوب بخط واضح غير ان استخراجك ضعيف متى رمت طلبه فاطلبه عندك و يسعنى قلب عبدى المؤمن يا من عاملنا مدة ثم قطع وواصلنا زمانا ثم رجع يا ليتك بعتنا بشىء (شعر)

لقد ضيعت حظك من وصالي * و بعت بابخس الاثمان كنزا

فكيف رضيت يا هذا بدوني * وقربك من جنابى كان عزا

ستعرف فى اذا جربت غيرى * وتعلم انى لك كنت حرزا

ابن سيرين يقول اشتهي سردابا أخلو فيه بربي يا هذا أنا أحدثك عن سيدك بالنهار فاستمع أنت منه بالليل يا متشبها بالزهاد فى ثيابهم وسيمتهم لافي نياتهم ووقتهم ما عندك من الرهبانية الا بناء الصومعة تأوى فيها اللصوص التصنع يا هذا الرضا بالمزبلة من البله لو سرت عن هواك لحظة لاحت لك الاعلام هذا مرتع الاحباب فارتع وهذا موقف العتاب فاسمع « شعر »

إنهض فهذى عذبات رامة وماؤها العذب الزلال البارد

وأنشد هناك لى فؤادا ضائعا لولا الهوى ما ضل ثم ناشد

(أين) العباد أين الزهاد أين العارفون أين المحبون لا إله إلا الله وقع القحط في الرجال (كان) سلفا لنا الاخيار فلولاهم لافتضح المتأخرون (كانت) رابعة العدوية تحيي الليل كله فقال لها أحمد بن أبى الحوارى انما ادركت الرجال ينامون أول الليل فقالت انما أدعى فاجيب وقال أبو سليمان لولا الليل ما أحببت البقاء في الدنيا وصام داود بن أبى هند أربعين سنة لم يعلم الناس ولا أهل بيته كان يأخذ الخبز و يخرج فيتصدق به فيظن الناس أنه يأكل فى البيت و يظن أهل بيته أنه يأكل مع الناس (شعر)

ومستخبر عن سر ليلى رددته * فأصبح من ليلى بغير يقين
يقولون أخبرنا فأنت أمينها * وما أنا ان أخبرتهم بأمين

واشوقاه الى تلك الاشباح ملام على تلك الارواح رحل أولئك السادة وبقى قرناء الوسادة كم حول معروف من مدفون ذهب اسمه لما ذهب جسمه ومعروف معروف لا بقاء للاعمال إلا بالاخلاص وعمل المرائي كالبصلة كلها قشور أصحاب القلوب أرباب إشارات (وقف) بعضهم على الشط ببغداد فسمع رجلا يقول ياملاح احملني الي دار الملك فقال الملاح معى قوم للقطيعة فصاح الفقير لا بالله أنا منذ أربعين سنة أفر منها (قيل) لذي النون المصري أين أنت من يوم ألست بربكم فقال كأنها الساعة فى أذنى يا منقطعين عن القوم سيروا فى بلاد الرجال وانزلوا وادى الذل لا تملوا الوقوف بالباب ولو طردتم ولا تقطعوا الاعتذار ولو رددتم فاذا فتح الباب للواصلين فابسطوا أكف الافتقار وقولوا وتصدق علينا فلعل منادي القبول يقول لا تثريب عليكم اليوم أحزان المحبين دائمة وآماقهم بالدموع دامية لا راحة للمحب الا بلقاء حبيبه . ضحك بعض الصالحين يوما ثم فكر فقال ضحكت وماجزت العقبة والله لا ضحكت حتي أعلم بماذا تقع الواقعة (شعر)

يانسيم الشمال بالله بلغ ما يقول المتيم المستهام
قل لاحبابنا تركتم محبا ليس يسلو ومقلة لا تنام
كل أنس ولذة وسرور قبل لقياكم على حرام

وكان عطاء السلمى يبكي حتى لا يقدر ان يبكي اذا هبت رياح الخوف أقلقت قلوب العارفين فلم تترك ثمرة دمع فى غصن جفن اذا نزل آب فى القلب سكن اداره فى العين وكان فتح الموصلي يبكي حتى يبكى الدم فقيل له لم بكيت الدم قال خوفا على الدموع ان تكون ماصحت لى (شعر)

يامنفدا ماء الجفو ن وكنت أنفقه عليه
ان لم تكن عيني فانت أعز من نظرت اليه

اذا خيم سلطان المعرفة بقاع القلب صارت بقاعه السباخ رياضا (شعر)

ساكن فى القلب يعمره لست أنساه فاذكره

حاضر عنـدى يساومني * وسـويدا القلب تبصره

قلت للعـذال اذ أمروا * بسـلو عز أيسره

مالـكى فى القلب مسكنه * فسلوي كيف أضمره

اذا نزل الحبيب ديار السرواء أخرج منها النذلاء ﴿شعر﴾

حبيب لا يعادله حبيب * ولا لسواه فى قلبي نصيب

حبيب غاب عن عيني وشخصى * وعن قلبي حبيبي لا يغيب

فحينئذ يمتلىء القلب بالمحبة فلا يسع غيرها و يسير الذكر سمير القلب شعر

ولقد جعلتك فى الفؤاد محدثى * وأبحت جسمى من أراد جلوسي

فالجسم منى للجليس مؤانس * وحبيب قلبي فى الفؤاد أنيسي

يامن أبعدته الذنوب عن ديار الانس ابك على وطن الوطر عساك ترد شعر

يابعيـد الدار عن وطنـه * مفردا يبـكي على شجنه

كلمـا جـد النحيب به * زادت الاسقام فى بدنه

لما أذنب داود بكى حتي أنبت العشب من دموعه شعر

سيان إن لاموا وان عذلوا * مالى عن الأحباب مصطبر

لا بد لى منهم وان تركوا * قلبي بنار الشوق يستعر

هجر جميع لذاته فلم يلتفت الي روحه ولم يعرج على شهوة ولم يزايل البكاء والضراعة حتي استحال حلو العيش مرا شعر

واذا سحابة هجركم قد أبرقت * تركت حلاوة كل قلب علقما

(كان) داود مسرورا بسلامته مبتهجا بعصمته وكرامته فكان يقول اللهم لا تغفر للخاطئين فلما رمته أسهم المقادير صار يقول اللهم اغفر للمذنبين عسى أن يغفر لداود معهم فكان يؤتي بالاناء ناقصا فيتمه بالدموع (وكان) داود اذا أراد النياحـة ينادى مناديه فى أندية المذنبين فيجتمعون فى مأتم النـدم فيزداد الحزن بالتعاون (وكان) يقول إلهي خرجت أسأل أطباء عبادك يداووني فكلهم دلوني عليك إلهي امدد عيني بالدموع وضعفى بالقوة حتي أبلغ رضاك عنى شعر

يامن تجنب صبري من تجنبه * هب لى من الدمع ماأبكي عليك به
حتى متى زفراتى فى تصعدها * الى المهات فدمعى في تصوبه
ولى فؤاد اذا لج الغرام به * هام اشتياقا الى لقيا معذبه

مازال يغسل العين بدمع العين و كلما رفع قصة غصته جاء الجواب بزيادة الجوي وهو يستغيث وينادى حتى أقاق الحاضر والبادى شعر

ان شفيعى اليك منى * دموع عينى وحسن ظني
فبالذى قادنى ذليلا * اليك الا عفوت عني

يامعشر المذنبين تعرضون عنا و نقبل عليكم و تبارزونا و نستر عليكم وتنفقون نعمنا على مخالفتنا و نمدكم و تبعدون عن بابنا ونستدنيكم و تنأون عنا ونتعرض لكم هل من تائب هل من مستغفر هل من سائل

أيامن أعرضوا عنا بلاجرم ولا معني
وان عادوا لنا عدنا وان خانوا فما خنا
وان كانوا قد استغنوا فأنا عنهم أغنى
أساؤا ظنهم جهلا فهلا أحسنوا الظنا

ياحاضرا كغائب اذا رأيت التائبين قد تأهبوا للرحيل عن ديار الهوى فابك على تخلفك ويحك فاض النهر فاعبر قبل الغرق أتدرى ما الذي أزعج هذا التائب وأى كتاب اقدم هذا الغائب وأى عتاب أجرى دمعه الساكب تذكر عهد الست بربكم نحن و تفكر فى بعده عن الحبيب فأن شعر

سرى نسيم الصبا من حاجر فصبا وبات يشكو إلى أنفاسه الوصبا
ذو صبوة لم يشم برق الشآم ولا دعا ابن ورقاء الاصاح واحربا
مايبرح البارق النجدى يذكره نجدا و يطربه وجدا اذا التهبا
يود لو أن أيام الحمي رجعت وكيف يرجع عيش بعد ماذهبا

اللهم اجمع شتات قلوبنا بحسن عنايتك واحى موات اسرارنا بغيث ولايتك ولا تطردنا بعيوبنا عن ولائم كرامتك واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين

الفصل الثانى والعشرون في الاسف وذكر آدم

الحمد لله العليم الحليم الرحمن الرحيم الحكيم الحميد الولي القوى الغني الحق

العلي المجيد الأول فلا بداية لكبريائه الآخر فلا نهاية لبقائه الظاهر بما أظهر من آياته وآلائه الباطن فلا يحيط العقل بحقيقة ثنائه الفكر عن حمي قدسه بعيد الواحد الأحد القدوس الصمد الحي العليم القدير السميع البصير الفعال لما يريد المتكلم بكلام قديم أزلي جل عن التكييف والتحديد صفاته ثابتة بالأدلة فمن عطل فهو عن الحق بعيد وتنزيهه عن صفات الحدوث معلوم فمن شبه فقد شابه أبا جهل والوليد تبارك ذو العز والجلال وتنزه عن مشابهة العبيد قسم عطاءه بين خلقه فقوى وضعيف ودنى وشريف وغني وفقير وغوى ورشيد وغافل وشاكر وذاهل وعاقل وناس وذاكر ومعذب ومقرب وشقي وسعيد نور قلوب المؤمنين بالايمان وخلع عليهم خلع الرضوان ووعدهم دار الآمان لهم ما يشاؤن فيها ولدينا مزيد وحجب الغافلين عن خدمته وأبعدهم عن نعيم حضرته فشتان بين قريب وطريد ياحسرة من حرم جميل الوداد ورمى بالطرد والبعاد وحق عليه الوعيد فهو يتردد في أودية الحرمان ويتعثر في أذيال الخذلان ويشتغل بما لا يفيد إلا أن هجر الحبيب لأليم شديد وان بحر الصدود لطويل مديد تغرق عند تلاطم أمواجه مراكب الصبر ويكل كل بصر حديد فسبحان من أيد الفائزين برياح السلامة فأقلعوا في سفن الكرامة ويسر لهم المسلك السعيد فوصلوا الي روضة الوصال وعاشوا بنسيم الاقبال ففي كل وقت لهم يوم عيد وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وأنابوا وسمعوا منادى الكرم فأجابوا وعلموا ان المولي أقرب من حبل الوريد فهبت على قلوبهم رياح العناية وسقت رياض أسرارهم سماء العناية فأورق فيها كل غصن نضيد وكمل سرورهم لما علموا ان من أحيا أرضا ميتة فهى له وانه هو يبدىء ويعيد (أحمده) على جميل نواله وجميع افضاله ففي كل نفس علينا منه مزيد وفضل جديد وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له شهادة صادرة عن اخلاص وتوحيد وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أرغم بعز سلطانه كل جبار عنيد وأخمد بنور برهانه نار كل شيطان مريد وأيده بالمعجزات الظاهرة وأمده بالنصر والتأييد صلي الله عليه وعلى آله وأصحابه صلاة دائمة التأكيد كما يسر لهم طريق السعادة ومهدها أحسن تمهيد (في قوله تعالي ولقد عهدنا الي آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما) خلق الله تعالى آدم من طين من

من أنواع الارض فبقى جسده ملقي على باب الجنة أربعين سنة وكانت الملائكة تمر فتتعجب منه لانهم لم يروا مثل صورته قط فمر به ابليس فقال لامر ما خلقت ثم ضربه بيده فاذا هو خلق مجوف فقال لمن معه من الملائكة هذا خلق مجوف لا يثبت ولا يتماسك أرأيتم ان فضل هذا عليكم قالوا نطيع أمر ربنا فقال ابليس فى نفسه والله لا أطيعه ولئن فضل هذا على لأهلكنه فذلك قوله تعالى وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون أى ما أسر ابليس فى نفسه والله لا أطيعه وذلك من الكبر والعداوة ثم نفخت الروح فى جسده فدخلت فى دماغه ثم نزلت الي عينيه فنظر الى بدء خلقه وأصله حتي لا يعجب بنفسه اذا أكرمه الله تعالي ثم نزلت الروح الي خياشيمه فعطس ونزلت الي فيه فألهمه الله تعالى فقال الحمد لله رب العالمين وهو أول ما جرى على لسانه فقال الله له عز وجل يرحمك ربك يا آدم للرحمة خلقت فهو قوله عز وجل رحمتى سبقت غضبي وقوله ولذلك خلقهم أى للرحمة خلقهم ثم انتشرت الروح فى سائر جسده فصار لحما ودما فكساه الله تعالي لباسا من الظفر يزداد كل يوم حسنا ثم ألبسه الله تعالي من لباس الجنة وكساه الله نورا كنور الشمس وكان نور محمد صلى الله عليه وسلم يلمع من جبينه فغلب على سائر نوره ثم رفعه على سرير وحمله على أكتاف الملائكة وأمرهم فطافوا به فى السموات ليري عجائب الملكوت ثم علمه أسماء جميع المخلوقات ثم أمر الملائكة بالسجود له فسجدوا إلا ابليس فطرد الله ابليس وأبعده وأسكن آدم الجنة ثم خلق له حواء زوجته من ضلع من أضلاعه اليسري وهو نائم فاستيقظ فرآها فسكن اليها ومد يده فقالت الملائكة مه يا آدم فقال لم وقد خلقها الله تعالى لى فقالوا حتى تؤدي مهرها قال وما مهرها قال تصلى على محمد ثلاث مرات ثم ان الله تعالى أباح لهما نعيم الجنة ونهاهما عن شجرة الحنطة فحسدهما ابليس فهو أول من تكبر وأول من حسد فأتى الى باب الجنة فوجد الطاوس فوقف معه وبكى فقال وما يبكيك قال أبكى على الخلائق فانهم كلهم يموتون الا من أكل من شجرة الخلد فهو أيضا أول من كذب فقال له الطاوس أين هذه الشجرة قال ان أدخلتني الجنة أريتك الشجرة قال لا أقدر على ذلك ولكنى أقول للحية فانها تدخل وتخرج فى خدمة خليفة الله

آدم فكانت الحية يومئذ من أحسن الدواب فأتى الي الحية فأخبرها فخرجت الحية وتحول إبليس ريحا فدخل بين انيابها حتي أتى آدم وحواء فوقف وناح نياحة أحزنتهما فهو أيضا أول من ناح فقالا له مايبكيك قال عليكما تموتان وتفارقان النعم الأدلكما على شجرة الخلد فكلا منها وحلف لهما بأنه لناصح لهما فهو أيضا أول من حلف كاذبا وغش فأكلت حواء ثم زينت لآدم حتي أكل وظنا ان أحدا لايتجاسر ويحلف بالله كاذبا فعوقبا بعشرة أشياء (الأول) عتاب الله تعالى لهما بقوله لهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة ﴿الثاني﴾ سقوط لباس الجنة عنهما حتي بدت لهما سوآتهما ﴿الثالث﴾ سلب النور عنهما ﴿الرابع﴾ إخراجهما من الجنة فقال الله تعالى أخرجوا آدم وحواء من جوارى فانه لايجاورني من عصاني فاهبط آدم بسرنديب من الهند وحواء بجدة وابليس بالايله وهى البصرة وقيل بيبسان والحية باصبهان والطاوس ببابل (الخامس) الفرقة بينه وبين حواء مائة سنة حتى اجتمعا بالمزدلفة فلذلك سميت جمعا وتعارفا بنعمان ولذلك سميت عرفة ﴿السادس﴾ العداوة بين آدم وابليس والحية ﴿السابع﴾ النداء عليهما بالمعصية فى كتاب الله تعالى * روى أن ابراهيم عليه الصلاة والسلام تذكر ليلة فى أمر آدم فقال يارب خلقت آدم بيدك ونفخت فيه من روحك وأسجدت له ملائكتك واسكنته جنتك بلا عمل ثم بزلة واحدة ناديت عليه بالمعصية واخرجته من الجنة فأوحي الله تعالى اليه ياابراهيم أماعلمت أن مخالفة الحبيب للحبيب أمر شديد (الثامن) تسليط ابليس على أولاده بالأغواء (التاسع) جعل الله تعالى الدنيا سجنا للمؤمن منهم (العاشر) تعبهم فى طلب القوت الا أن آدم عليه الصلاة والسلام كان عند الله تعالي حبيبا فاجتباه وتاب عليه وهداه وعوقب ابليس بعشرة أشياء (الاول) عزله من الولاية فكان مقدما على ملائكة سماء الدنيا وملائكة الارض وخازنا من خزان الجنة فعزله الله تعالى (الثانى) منعه من الجنة فلايعود اليها أبدا (الثالث) مسخه فصار شيطانا . الرابع غير إسمه فكان إسمه عزازيل فسما ابليس والابلاس الاياس من الرحمة . الخامس جعله امام الاشقياء فلايتبعه الاشقي (السادس) لعنه الى يوم القيامة . السابع سلبه المعرفة فلم يبق عنده من العلم شيء ولاذرة . الثامن أغلق عنه باب التوبة . التاسع جعله مريدا أي خاليا من كل خير . العاشر جعله خطيب أهل النار

و يقال (شقي ابليس) بخمسة أشياء لم يعترف بخطئه ولم ير أن التوبة واجبة ولم يتب وتكبر عن أمر الله تعالى وقنط من رحمة الله تعالى وسعد آدم عليه الصلاة والسلام بخمسة أشياء اعترف بذنبه ورأى أن التوبة واجبة عليه وتاب الى الله تعالى وتواضع لله ولم يقنط من رحمة الله قال وهب بن منبه لما أهبط آدم الى الارض مكث سبعة أيام لا ترقاله دمعة وهو منكس الرأس فأوحى الله تعالي اليه ماهذا الذي أراه بك من الجهد بفتح الجيم الشدة وبضمها الطاقة والقوة قال آدم يارب عظمت مصيبتي وأحاطت بي خطيئتي وأخرجت من ملكوت ربى فصرت في دار الهوان بعد الكرامة وفى دار الشقاء بعد السعادة وفي دار النصب بعد الراحة وفى دار البلاء بعد العافية فكيف لا أبكي على خطيئتي فأوحي الله تعالى اليه يا آدم ألم أكن اصطفيتك لنفسي واحللتك داري وخصصتك بكرامتى وحذرتك سخطي ألم أخلقك بيدي ونفخت فيك من روحى وأسجدت لك ملائكتي فعصيت أمري ونسيت عهدى وتعرضت لسخطي فوعزتى وجلالى لو ملأت الارض رجالا كلهم مثلك يعبدوننى ويسبحونني ثم عصوني لانزلتهم منازل العاصين فبكي آدم على ذلك ثلثمائة سنة أجلس آدم على سرير المملكة فمد يده الى لقمة نهي عنها فاخرج من الجنة فيا بنيه إحذروا بلية المعاصي فهي التى نزلت به فنزلت بهحطته عن مرتبة إسجد والآدم الي إهبط منها جاء من سجدله بالامس يجر ناصيته للاخراج ولسان حاله يستغيث ببيت مفرد

(شعر) حداة العيس رفقا بالاسير ليغنم نظرة قبل المسير

أقام في الارض يبكي على فقد موطن الفرح وكلما رأي جبرائيل عليه الصلاة والسلام قال لسان شوقه . الايا صبا نجد متي هجت من نجد . كان كلما رأى الملائكة تصعد وجناحه مقصوص زاد قاقه وأعظم البلاء على المشتاق تردادالركب الى بلاد الحبيب وهو محبوس كان يستنشق من القادمين ريح الوصال ويسأل سؤال متحسر على الديار (شعر)

حدثانى عن العقيق حديثا أنتما بالعقيق أقرب عهدا

كان آدم عليه الصلاة والسلام يقول لولده يابنى طال والله حزنى على دار أخرجت منها فلو رأيتها زهقت روحك كان أولاده يتعجبون من طول

بكائه ومن لم ير يوسف لم يعذر يعقوب شعر

أرضينا بثنيات اللوى عن ورود يالها صفقة غبن

ما اندفع عن آدم بلاء وعصى آدم بكمال وعلم ولا ردعنه عز اسجدوا لآدم وانما خلصه ذل قوله ربنا ظلمنا أنفسنا لم يزل منذ نزل يرفع قصص الغصص تحملها رسائل الأسف شعر

ألا يا نسيم الريح ان كنت محسنا تحمل الى أرض الحجاز سلامي

وانى لارضى أن أكون بأرضهم على أنني منها استعد سقامي

الدنيا دار فرقة كم لمن جرع لذاتها من شرقة كم عاش فيها آدم باكيا وقام فيها نوح نائحا وصار داود نادبا وبات يعقوب للحبيب مفارقا كان عيش يعقوب بيوسف سليما فمنذ فارقه صار سقيما بقي ثمانين سنة لم يلتذ بنوم ولا سنة لما فقد المنظور ذهب الناظر لما دخلوا عليه فأقبل عليهم مسائلا وأقبل الدمع سائلا وتقلقل تقلقل الواجد ليسمع أخبار الوالد فلما جاؤا وبلغوه السلام عن يعقوب انتفض طائر الوجد لذكر المحبوب فرد السلام قلبه قبل لسانه لما كشف يعقوب ستر الوجد بكف انى لاجد ريح يوسف أحدقت به عوازل تفتؤ تذكر يوسف فحاربهم بسلاح وأعلم من الله مالا تعلمون تالله لو وجدوا ما وجد لما أنكروا ماعرف من تعرض للمحبة فليغرس شجر الصبر فانها اذا انتهت أثمرت رطبا يا هذا جز بنادى المحبة وناد القوم تراهم كالفراش تحت النيران أرواح أزعجها الحب فأقلقها الخوف سبحان من يمسكها بلطفه (كان) أويس القرني يهرب من الناس مشتغلا بحبيبه حتى قالوا مجنون

﴿ شعر ﴾

ولقيت فى حبيك مالم يلقه فى حب ليلى قيسها المجنون

لكنني لم أتبع وحش الفلا كفعال قيس والجنون فنون

وكان يرى الناس ينسبونه الى الجنون والمحبة تنهاه أن يفسر ما استعجم

﴿ شعر ﴾

إبتهم وجدى وهم بى أعلم وأرجو شفائى منهم وهم هم

وكم عذلوني فيهم غير مرة فقلت لهم والله بالسر أعلم

اذا كان قلبي موثقا بحبالهم ... وروحي لديهم كيف أفهم عنكم
فان شئتموا أن تعدلوا فتواصلوا ... الي أن يعود القلب لا يتكلم

وصف رسول الله ﷺ لأصحابه حلية أويس القرني فقوي شوق عمر وعلى رضي الله تعالي عنهما الي لقائه فكانا فى كل عام يسألان عنه أهل اليمن فلما كان آخر حجة حجها عمر وعلى رضى الله عنهما وجداه بعرفة فتعارفوا فقال له عمر مكانك حتي آتيك بنفقة فقال لا أراك بعدها ﴿ شعر ﴾

ان كانت العين مذ فارقتكم نظرت ... الى سوي حسنكم قد خنت فى نظري
سلها هل اكتحلت من منظر حسن ... سوي جمالك ياسمعى ويا بصرى
فاردد لها كحلها الشافى فناظرها ... سهران يقنع بعد العين بالاثر

ياهائما فى بيداء الهوي ليس الطريق أن تنفق عمرك في التفريط انفاق البرامكة وتشح بدنياك شح الحاجب ويحك من قبل فم اللذة عضته أسنان الندامة . ياعجمي الذهن وافق عرب الفطنة الى متي أنت مع المتلونين الى متي تضاف مع النظاف أنت مع تقصيرك تأمن وكانوا مع الاجتهاد يخافون وأنت مع ذنوبك تضحك وهم مع الطاعة يبكون دموع الخائفين محبوسة بالنهار فاذا جن الليل عربد الوجد فى أبدانهم فاستلب اللحم وأرسل الدمع ثم اشتعل بالعين فصارت شرارة فوقع الحزن فى البواطن : قيل لزيد بن هرون كم حزبك من الليل فقال أوأنام منه شيئا لا نامت عيناى أبدا ﴿شعر﴾

سلوا عين طرفى ان سألتم عن الكرى ... فما لجفون العاشقين منام

قلوب القوم مملوءة بحبه فان نطقوا فبذكره وان تحركوا فبأمره وان فرحوا فلقربه وان حزنوا فلعتبه لا يصبرون عن مناجاته لحظة ولا يتكلمون فى غير رضاه بلفظة ولما تمكنت نار المحبة فى قلب موسى عليه الصلاة والسلام صوب نار الطور فاسرع اليها ليقتبس فاحتبس فلما نودى فى النادى اشتاق الى المنادى. كان عليه الصلاة والسلام يطوف فى بنى اسرائيل ويقول من يحمل لى رسالة الى ربى ومراده أن تطول المناجاة مع الحبيب فلما مر عليه نبينا محمد ﷺ ليلة المعراج ردده فى أمر الصلاة ليسعد بكثرة رؤية حبيب الحبيب . الشوق ينحل بالابدان ويقلقل القلوب (وكان) فتح الموصلى يبكي ويقول قد طال شوقى اليك فعجل قدومي عليك ألجأهم الشوق الى الاستقامة

(قال) بعض الصالحين لقيت غلاما فى طريق مكة فقلت له يافتي أما تستوحش وحدك قال الانس بالله قطع عني كل وحشة قلت أين ألقاك قال في الآخرة قلت أين أطلبك قال فى زمرة الناظرين الى الله تعالى اني غضضت طرفى عن كل محرم فسألته أن يرزقنى النظر اليه وصاح صيحة فغاب عن عينى. ياهذا ماخلقت للدنيا فلا تألف منزلا لاتصلح به الاقامة رفيقك قيسي وأنت يماني . من لاح له جمال الآخرة هان عليه فراق الدنيا اذا لاح للباشق صيد نسى مألوف الكف . بأقدام الصبر احملني فما بقى الا القليل . تذكر حلاوة الراحة يهن عليك مر السري ضجت الملائكة حين ألقى ابراهيم الخليل فى النار وقالوا ياربنا ائذن لنا ان ندفع عنه فقال الله ان استغاث بكم فاغيثوه فلما رآه جبرائيل وقد ودع بلدان العادة ظن ضعف أقدام التوكل فعرض عليه ألك حاجة فرده بأنفة أما إليك فلا قال فاسأل مولاك قال حسبي من سؤالى علمه بحالى (شعر)

تملكوا واحتكموا * وصار قلبي لهم
تصرفوا في عبدهم * فلا يقال ظلموا
ان واصلوا محبهم * او هجروا فهم هم
قد أودعوا سر فؤا * دى حبهم واستمكنوا
ياأرض سل عن جيرتى * وحدثينى عنهم
يا ليت شعرى اذ غدوا * وانجدوا لم اتهموا
ماضرهم حين سروا * لو وقفوا وسلموا

أبدان المحبين بينكم وقلوبهم فى السفر (شعر)

ان قومى يوم بانوا * فرقوا بيني وبيني
أخذوا قلبي وروحى * ولهم سمعى وعيني
فاذا كنت أنا الرا * هن من يقبض دينى

لما عرف الصالحون قدر قيمة الحياة أماتوا الهوي فعاشوا كان أحدهم اذا قهر نفسه بترك شهوة اهتز اهتزاز الرامي انتهبوا ابا كف الجد من الزمن ما انتهز زمن البطالة هان عليهم طول الطريق لعلمهم أين المقصد فيا بشراهم هذا يومكم الذي كنتم

توعدون (شعر)

لم تبق فيهم حرارات الهوى وجوى ال * أحزان غير خيالات واشباح
تكاد تنكرهم عين الخبير بهم * لولا تردد أنفاس وأرواح
كانوا كلما دخلوا سكة من سكك السكون شرع بهم الخوف في شارع القلق

(شعر)

حبكم يبلبلني والغرام يبليني * كلما يئست أتى لطفكم يمنيني
إن طردت يا أملي من سواك يدنيني * قد أتيت بابكم في شعار مسكين
والفؤاد يطلبكم طائعا ويعصيني * إن أبح بحبكم فهو باح به دوني

يا هذا لو أشرفت على وادي الدجا لرأيت خيم القوم على شاطيء انهار البكا خلوا والله بالحبيب وطال الحديث يا متخلفا في أعقاب القوم أربط على قطارهم عسى تصل معهم كانت لك ليالي مناجاة ثم قطعت المعاملة (شعر)

عودوا الى الوصل عودوا * فالهجر صعب شديد

مكابدة البادية تهون عند ذكر مني أكبر معين على طول الطريق نسيم دار الحبيب شعر

تولعي يا نسمات نجد * بالشيح من ذاك الحمي والرند
لعل رياك اذا ما نفحت * تبدل حر لوعتي ببرد

كان الشبلي يبكي ويقول ليت شعري ما اسمي عندك غدا يا علام الغيوب وما أنت صانع بي يا غفار الذنوب وبم يختم عملي يا مقلب القلوب (شعر)

هجرانك قاتلي سريعا * والهجر من الحبيب قاتل
ان كنت هجرتني فعندي * شغل بك يا حبيب شاغل
يا غاية منيتي وسؤلي * ما أنت بمن تحب فاعل

يا سحائب الدموع امطري على ربع القلوب يا من فقد قلبه تحيل في طلبه أبواب الملوك لا تطرق بالأيدي بل بنفس المحتاج (قال) بعض الصالحين رأيت شابا في سفح جبل وعليه آثار القلق فقلت له من أين أنت قال انا عبد آبق هربت من مولاي قلت تعود الى مولاك وتعتذر قال لا وجه لي ولا حجة قلت تتعلق بمن

يستشفع لك قال بمن أتشفع والكل يخافون منه قلت من هذا قال المولى مولى ربانى صغيرا فلما كبرت عصيته كبيرا فواحيائي من حسن صنعه وقبح فعلى ثم صاح صيحة خرجت روحه فخرجت الينا عجوز فقالت من أعان على قتل البائس الحيران فقلت لها أقيم عندك أعينك على تجهيزه ودفنه فقالت لا خليه بين يدى قاتله عساه يراه بغير معين فيرحمه

الفصل الثالث والعشرون في المراقبة والانابة

الحمد لله الغني الحق القوى الولي الوفى العلى عن مداناة الاوهام العظيم الحليم الحكيم العليم الرحيم العلام الاول بوصف القدم الآخر فلا يجوز عليه العدم الظاهر فلا تخفى معرفته الا على من جحد وظلم الباطن فلا يحيط به الوصف ولا يمثله الذهن ولا تدركه الافهام المنفرد بأوصاف الكمال المتوحد بنعوت الجلال الصمد الذى لم يزل ولا يزال موصوف بالحياة والعلم والقدرة والارادة والسمع والبصر والكلام تبارك اسم ربك ذى الجلال والاكرام نور قلوب العارفين بضياء الالهام وأيقظ أسرار القاصدين وألاح لهم الاعلام وأشغل أسماعهم بلذة خطابه عن سماع الملام واستنهض عزائمهم فساروا فى حنادس الظلام حاديهم الوجد ودليلهم القصد وسائقهم الغرام شمروا حتى وصلوا وطلبوا حتي حصلوا ووقفوا حتي قبلوا وأهل الغفلة نيام ليس المقبول كالمطرود ولا المحبوب كالمردود ولا الوصال كالصدود ولا الخلي كالمستهام ليس من رضي بالغدر والجفاء كمن أقام على حق الوفاء ورعي الذمام بينك وبين مولاك عهد ألست بربكم وحفظ العهد من شيم الكرام وقد أوضح لك المحجة وأكد عليك الحجة وأسبغ عليك الانعام أفلا تستحى ممن أوجدك وحباك وعرفك وهداك وأيدك ووالاك وخطبك وناداك ووعدك بشرف المقام وقال سبحانه وتعالي ياأيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الي النور وكان بالمؤمنين رحيما تحيتهم يوم يلقونه سلام (أحمده) على ما ألهم وأنعم وأكرم وأبرم من الاحكام وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له إله جرت أفعاله على الاتقان والاحكام وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى أقام به أركان الاسلام وأبطل به الازلام والاصنام صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه

هداة الآنام صلاة دائمة باقية على ممر الليالى والايام. (فى قول الله عز وجل وأسروا قولكم أو اجهروا به انه عليم بذات الصدور وقوله تعالى واعلموا ان الله يعلم مافي أنفسكم فاحذروه واعلموا ان الله عفور حليم) . المراقبة أصل عظيم من أصول التقوي وهو العلم بان الله يسمع ويعلم ويري فاذا حصل هذا العلم فى القلب وتوالى فلم يعقبه غفلة وقوي حتى أثمر الحياء والهيبة والتعظيم للمولى فالعبد حينئذ مراقب ومنه قوله تعالى ألم يعلم بأن الله يري ومنه قوله صلى الله عليه وسلم الحياء من الايمان ومن ثمراته تحقيق ألم البلوى والاكتفاء بعلم الله تعالى عن الشكوى وقوله فاصبر لحكم ربك فانك بأعيننا ومنه قول الخليل عليه الصلاة والسلام لجبريل عليه الصلاة والسلام حسبي من سؤالي علمه بحالى ومن ثمراته الاكتفاء بنصرة الله تعالى وحفظه وتدبيره فى دفع مكروه أو تحصيل مطلوب قال الله تعالى لموسى وهرون عليهما الصلاة والسلام انني معكما أسمع وأرى ومن ثمراته تسهيل المجاهدات على العابدين وقوله تعالي الذي يراك حين تقوم وتقلبك فى الساجدين وقد نبه الله تعالى على المراقبة بقوله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون وقوله تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا الذنوبهم وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه أفضل الذكر ذكر الله عند ماحرم الله وفى بعض كتب الله المنزلة يقول الله سبحانه وتعالى ماأنصفني ابن آدم يدعونى فاستحي أن أرده ويعصيني ولا يستحى مني وفيها يقول الله تعالي عبدى انك مااستحييت منى أنسيت الناس عيوبك وأنسيت بقاع الارض ذنوبك ومحوت من أم الكتاب زلاتك ولم أناقشك للحساب يوم القيامة وفيها يقول الله تعالي ان كنتم تعلمون أنى لا أنظر اليكم فالخلل فى ايمانكم وان كنتم تعلمون أني أنظر اليكم فلم جعلتمونى أهون الناظرين اليكم (شعر)

كن حييا اذا خلوت بذنب * ليس يخفى على الرقيب الشهيد
أتهاونت بالاله تديا * وتواريت عن عيون العبيد
أقرأت القرآن أم لست تدري * ان مولاك دون حبل الوريد

(وكان) الفضيل رحمه الله تعالى يقول يامسكين تغلق بابك وترخي سترك

وتستحي من الناس ولا تستحي من الملكين اللذين معك ولا تستحي من القرآن الذى فى صدرك ولا تستحي من الجليل وهو لا يخفى عليه خافية * وروى أن رجلا حبشيا أتى النبي ﷺ فقال يارسول الله كنت أفعل الفواحش فهل لى من توبة قال نعم قال فهل كان الله يرانى قال نعم فصاح الحبشي صيحة فخر ميتا * وروي ان الله تعالى يقول للشيخ يوم القيامة اذا وقف للحساب ياشيخ ما أنصفتني غذيتك بالنعم صغيرا فلما كبرت عصيتنى اما أني لا أكون لك كما كنت لنفسك اذهب فقد غفرت لك وإنه ليؤتي بالشاب العاصى فاذا وقف تضعضعت أركانه وأصطكت ركبتاه فيقول الله عز وجل أما استحيت مني أما راقبتني أما خشيت نقمتى أما علمت أني مطلع عليك خذوه الى أمه الهاوية . ومر منصور بن عمار فوجد شابا يحدث امرأة فانصرف الشاب وتقدم منصور الي المرأة وكلمها أن تذهب معه الى بيته فمشت خلفه الى أن دخل منزله فقعدت ووقف منصور يصلي فطول عليها فلما سلم قالت له ياهذا طولت على قال لها ما تقولين في رجل عليه حق باربعة شهود والحاكم يعلم به هل يقدر أن يمتنع عنه بجحود قالت لا والله قال فان معى ملكين ومعك ملكين والحاكم يعلم فاضطربت المرأة ووقعت ميتة . وكان طاوس اليماني بمكة فراودته امرأة عن نفسه فلم يزل حتى أتى بها الى المسجد الحرام والناس مجتمعون فقال لها أقضي ماتريدين قالت في هذا الموضع والناس ينظرون قال فالحياء من نظر الله أحق فتابت المرأة وحسنت توبتها (شعر)

اذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل   خلوت ولكن قل على رقيب
فلا تحسبن الله يغفل ساعة   ولا ان ما تخفيه عنه يغيب

قال بعضهم مررت بجماعة يترامون وواحد جالس منفرد عنهم فتقدمت اليه فاردت أن أكلمه فقال ذكر الله أشهى قلت انك وحدك قال معى ربى وملكان قلت من سبق من هؤلاء قال من غفر الله له ثم قام ومشي وهو يقول أكثر خلقك متشاغل عنك وقال محمد بن خفيف خرجت من مصر الي الرملة لزيارة أبى على الروذبارى فقيل لى أن فى الصور شابا وكهلا قد اجتمعا على المراقبة فاتيت الى الصور وأنا جائع عطشان وفى وسطي خرقة فدخلت المسجد فوجدت شخصين قد استقبلا القبله وسلمت عليهما

على ركبتيهما فسلمت عليهما فرفع أحدهما رأسه الى وقال يا ابن خفيف الدنيا قليل وما بقى من القليل الا القليل فخذ من القليل للكثير فاقمت عندهما ثلاثة أيام لم نأكل ولم نشرب ولم ننم ثم خطر لي أن اسألهما ان يعظانى فرفع أحدهما رأسه وقال يا ابن خفيف نحن أصحاب مصيبة ليس لنا لسان للموعظة يا ابن خفيف عليك بصحبة من يذكرك الله رؤيته وتقع هيبته على قلبك ليعظك بلسان فعله لا بلسان قوله والسلام قم عنا وقال فرقد السبخي إن المنافق لينظر فاذا لم ير احدا دخل مدخل السوء واذا لم ير أحدا بطش وانما يراقب الناس ولا يراقب الله عز وجل وان المؤمن يعلم أن الله معه ويعلم سره وعلانيته وأنه يراه ويعلم نجواه فانما قلبه بين يدى الله عز وجل فسبحان من تفضل على قوم فقربهم ورفعهم واختصهم لخدمته واصفاهم وتكبر على قوم فأذلهم بحجابه ووضعهم وطردهم عن بابه ومنعهم وحسم باب الوصل وقطعهم ولقد جاءهم الانذار فما نفعهم ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم * وروى فى الحديث ان من المؤمنين من يعطي كتابا مختوما بعدما يجوز الصراط فيه فعلت كذا وكذا وفعلت كذا وكذا وقد استحييت ان أظهره عليك أذهب فقد غفرت لك فسبحان من يعصيه العبد فيستحي هو منه هل هذا الا محض الكرم * وقال ذو النون علامة المراقبة إيثار ما آثر الله تعالى وتعظيم ما عظم الله وتصغير ما صغر الله وقال ابن عطاء أفضل الطاعات مراقبة الحق على دوام الاوقات . وقال مالك بن دينار لقد استحييت من الله تعالى من كثرة ما أتردد الى الخلاء فوددت لو ان الله تعالى جعل رزقى فى حصاة أمضغها حتي ألقى الله وكان بعضهم يصلي خارج المسجد فقيل له لم لا تدخل المسجد قال استحيي من الله أن أدخل بيته وقد عصيته * وحكي أن بعض المشايخ كان يفضل واحدا من أصحابه ويخصه باقباله فينظر أصحابه الى ذلك فوقع فى نفوسهم شيء فأراد الشيخ أن يبين لهم رتبته فأعطي كل واحد منهم طائرا وأمره أن يذبحه في مكان لا يراه فيه أحد فمضى كل واحد منهم وذبح طائره وأتى ذلك الفقير بطائره غير مذبوح وقال ياسيدى أمرتنى أن أذبحه في مكان لا يرانى فيه أحد وأينما ذهبت فالله يرانى فعلموا أن الفقير الغالب عليه مراقبة الله تعالي «وكان» سهل بن عبد الله يقوم الليل مع خاله محمد بن سوار فاوصاه أن يقول الله معى الله ناظر الى الله شاهدى وامره ان يلازم هذا الذكر بقلبه فان له أثرا عظيما فى

المراقبة وحضور القلب وقال الفضيل خمسة من علامات الشقاوة القسوة فى القلب وجمود العين وقلة الحياء والرغبة فى الدنيا وطول الأمل ثم ان الله تعالى جعل على العباد حفظة من الملائكة يكتبون الاعمال والاقوال فمن لم يصل عقله الى مراقبة الله تعالى فينبغي أن يستحي من الملائكة قال الله تعالي وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ماتفعلون وقال تعالى إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد مايلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد (وفي الصحيح) يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار (وروى) ان الذى على اليمين يكتب الحسنات وهو أمين والذى على الشمال يكتب السيئات فاذا عمل العبد حسنة كتبها صاحب اليمين واذا عمل سيئة يقول صاحب اليمين امهله ست ساعات لعله يتوب أو يستغفر فان تاب لم يكتب عليه شيء وان لم يتب قال له اكتب أراحنا الله منه ما أقل مراقبته لله وأقل حياءه وأقرب الآفات آفات اللسان ولذلك ورد الزجر عنها فى آيات كثيرة من القرآن قال تعالي أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون وقال تعالي واسروا قولكم أو اجهروا به انه عليم بذات الصدور وقال رسول الله ﷺ من وقاه الله شر اثنين ولج الجنة ما بين لحييه وبين رجليه كررها ثلاثة وقال عمر رضي الله عنه من كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه كثر غلطه ومن كثر غلطه قل حياؤه ومن قل حياؤه قل ورعه ومن قل ورعه مات قلبه وقال ذو النون المصرى كن بالخير موصوفا ولا تكن للخير واصفا فان الكافر قد ينطق بالحكمة (اجتمع) أربعة من حكماء الفرس فقال أحدهم أنا على رد مالم أقل أقدرمني على رد ماقلت وقال الآخر أما أنا فما ندمت على مالم أقل وطالما ندمت على ماقلت وقال الآخر اذا تكلمت بالكلمة ركبتنى فان لم أتكلم بها كنت راكبها وقال الآخر عجبت لمن يتكلم بالكلمة ان نقلت عنه ضرته وان لم تنقل عنه لم تنفعه وقال ابن شمعون كل نطق بغير ذكر الله فهو لغو وكل صمت بغير تفكر فهو سهو وكل نظر بغير اعتبار فهو لهو فرحم الله امرأ تكلم بمقدار والتفت الى الجدار فان هذا زمن السكوت ولزوم البيوت والرضا بالقوت الي أن يموت ومن ثمرات المراقبة الانابة ومعناها الرجوع عن معصية الله تعالى الي الطاعة حياء من نظر الله عز وجل قال تعالى وأنيبوا الى ربكم واسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون وقال تعالى هذا ماتوعدون لكل أواب حفيظ من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب وقال تعالى

ومايتذكروا الى أولوا الألباب فالنفس تجمح فى ميدان المخالفة باتباع الهوى فاذا تذكر القلب باطلاع الرب أناب ورجعت النفس مقهورة بلجام الجبار (وروى) مسلم عن أبى ذر رضى الله عنه عن النبي ﷺ فيما يروي عن الله عز وجل انه قال ياعبادى انى حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا ياعبادى كلكم ضال الا من هديته فاستهدونى أهدكم ياعبادى كلكم جائع الامن أطعمته فاستطعمونى أطعمكم ياعبادى كلكم عار الامن كسوته فاستكسونى أكسكم ياعبادي انكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفرونى أغفر لكم ياعبادي انكم لن تبلغوا ضري فتضرونى ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى ياعبادى لوأن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم مازاد ذلك فى ملكى شيئا ياعبادى لوأن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم مانقص ذلك من ملكى شيئا ياعبادي لوأن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا فى صعيد واحد فسألونى فأعطيت كل واحد منهم مسألته مانقص ذلك مما عندى الا كما ينقص المخيط اذا دخل البحر ياعبادى إنما هى أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيرا فليحمد الله تعالى ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه قال سعيد وكان أبو ادريس الخولاني اذا حدث بهذا الحديث جثي على ركبتيه . وقال الفضيل يقول الله عز وجل بشر المذنبين ان تابوا قبلت منهم وحذر الصديقين إن وضعت عدلى عليهم عذبتهم . وقال طلق بن حبيب ان حقوق الله تعالى أعظم من أن يقوم بها العبد وان نعمه أكثر من أن تحصى ولكن اصبحوا تائبين وامسوا تائبين (وقال) عبدالله بن عمر رضي الله عنهما من ذكر خطيئة ألم بها فوجل منها قلبه محيت عنه فى أم الكتاب. وقال الفضيل لا يرد الجور بالسيوف إنما يرد بالتوبة . وقال أبو الجوزاء ان الرجل ليحدث الذنب فلا يزال نادما حتي يدخل الجنة فيقول ابليس ياليتنى لم أوقعه فيه . وقال عبد الله بن سلام ألا لا أحدثكم إلا عن نبي مرسل أو كتاب منزل ان العبد اذا عمل ذنبا ثم ندم عليه طرفة عين سقط عنه أسرع من طرفة عين . وقال عبد الرحمن بلغنى أن توبة المسلم كاسلام بعد اسلام . وقال عمر ابن الخطاب اجلسوا الى التوابين فانهم أرق أفئدة وقال قتادة القرآن يدلكم على

دائكم ودوائكم فداؤكم الذنوب ودواؤكم التوبة . وفى الحديث من أذنب ذنبا فعلم أن الله قد اطلع عليه غفر له . وروي ان الله تعالي يقول ياعبادي كلكم مذنب الا من عافيته فاستغفروني أغفر لكم ومن علم أنى ذو قدرة على أنى أغفر له غفرت له ولا أبالي وقال على بن أبى طالب رضي الله عنه العجب ممايهلك ومعه النجاة قيل وما النجاة قال الاستغفار وكان يقول ما ألهم الله العبد الاستغفار وهو يريد أن يعذبه . وتعلق رجل بأستار الكعبة فقال اللهم ان استغفارى مع إصراري للؤم وان تركي الاستغفار مع علمي بسعة عفوك لعجز فكم تتحبب الى بالنعم مع غناك عني واتبغض اليك بالمعصية مع فقرى اليك يامن اذا وعد وفا وان توعد عفا اغفر عظيم جرمي بعظيم عفوك ياأرحم الراحمين . وجلس بعض الصالحين فى خلوة فقال إلهى أنت قضيت أنت حكمت أنت قدرت وأردت فهتف به هاتف هذا التوحيد فأين أدب العبودية فقال أنا عصيت وأنا جنيت وأنا أخطأت وأنا أسأت فسمع قائلا يقول ان ربك يقول أنا غفرت وأنا رحمت وأنا تجاوزت وأنا سترت وأنا أهل التقوى وأهل المغفرة وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لايغرنك الناس عن نفسك فان الامر خالص اليك دونهم ولا تقطع النهار بقيل وقال فانه محصي عليك عملك واذا أسأت فأحسن فلا شيء أشد إدراكا من حسنة حديثة لذنب قديم . وقال على بن أبى طالب رضي الله عنه لبعض أولاده يابني خف الله خوفا قويا لوترى انك أتيت بجميع حسنات أهل الارض لم يقبلها منك وارج الله رجاء تري لو أنك أتيت بجميع ذنوب أهل الارض لغفرها لك . وقال يحي بن معاذ لايرفع للمؤمن قط سيئة الا وهى بين حسنتين رجاء العفو قبلها وخوف العقاب بعدها . وقال ابراهيم الخواص بينما أنا فى طريق مكة أمشى إذ وقع فى خاطري العزلة فانفردت عن الناس ومشيت ثلاثة أيام ماخطر فى قلبي طعام ولاشراب فوصلت الى روضة خضراء فيها رياحين كثيرة ونهر من ماء فوقفت متعجبا منها فاذا بنفر قد أقبلوا عليهم مرقعات حسان فسلموا على وحفوا بى فقلت من أنتم قالوا نحن نفر من الجن المؤمنين سمعنا القرآن من محمد ﷺ فسلبتنا حلاوة كلامه جميع اللذات فانقطعنا الى الله في هذا المكان فقيض الله لنا هذه الروضة كما ترى ولقد اختلفنا فى مسألة وسألنا الله أن يقيض لنا من يبنيها لنا فقملت كم بيني

و بين الموضع الذى فارقت أصحابى فيه قالوا ثلاثة أشهر وان هـذا الموضع لم يصل اليـه آدمي قبلك إلا شاب أتانا يوما ونحن جلوس نتذاكر المحبة فسلم علينا فرددنا عليه السـلام وقلنا له من أين أقبلت قال من مدينة نيسابور خرجت منها منذ سبعة أيام قلنا وما أخرجك منها قال آية سمعتها قال الله تعالي وأنيبوا الى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب الآية فقلنا له ما الانابة قال أن يردك الله تعالى عنك اليه قلنا فما العذاب قال عذاب الفراق ثم صاح صيحة ووقع ميتا فواريناه التراب وهـذا قبره قال ابراهيم فنظرت واذا قبره فى وسط الروضة حوله رياحين كثيرة وعلى القبر مكتوب هـذا حبيب الله قتيل الغيرة واذا طاقة نرجس كأنها رحا عظيمة وعلى ورقة منها مكتوب صـفة الانابة فقرأتهـا وفسرتها لهم فقالوا كفيتنا جواب مسألتنا ووقع فيهم الطرب ووقع على النوم فانتبهت فاذا أنا عند مسجد عائشة ويقال من كرم الله تعالى أنه يقبل الانابة من القلب وان لم توافقه النفس قال الله تعـالى وجاء بقلب منيب ولم يقل بنفس منيبة * وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله تعـالي وماجعل عليـكم فى الدين من حرج قال هو أن الله تعالى جـعل التوبة مقبولة بكرمه ومنه فنعم المولي ونعم النصير وبئس العبد عبـد غذاه بره ورباه تحت ستـره ولا يخاف عند مخالفة أمره بئس العبد عبد عصا وتعدى وجني وتوانى نهـاره لهو وليـله سهو بئس العبد عبد أصر على الجهالة وضيـع أيامه في البطالة بئس العبد عبد يعلم أن مولاه يراه وهو يبارزه ولا يخشاه ونعم المولى مولى سـترك بستره ولاطفك ببره وأطلعك على سره مولي يقبل الحسنات ويغفر السيآت مولى ان أطعته شكر وان عصيته ستر وان تبت اليه قبل وغفر ان دعوته لباك وان قصدته أدناك وان أعرضت عنه ناداك مولى توجك بهدايته وطوقك بعبادته وسربلك بخـدمته وأركبك على مطية محبته مولى يغفر ذنوب العمر بتوبة ساعة ثم يبـدل مكان كل سيئة طاعة مولى أقام لك الشفعاء قبـل العصيان ويشفعك فيمن تحب بعـد الغفران فنعم المولى ونعم النصير

الفصل الرابع والعشرون في الحذر

الحمـد لله الذى خلق الانسان من سلالة وركب بلطف حكمته مفاصله وأوصاله

ور باه في مهاد لطفه ثلاثين شهرا حمله وفصاله ورقاه في أطوار خلقه حتى بلغ أشده وكماله وزينه بالعقل والعلم فأزال عنه ظلماء الجهالة وأجرى عليه ماسبق به القضاء فلله الاختيار لا له بمشيئته الضر والنفع والعطاء والمنع والهدى والضلالة أسعد أولياءه بقربه فجعل حظهم أنسه واقباله وأعزهم بخدمته وطهر اسرارهم لحضرته فهي في الملكوت جوالة ألقواهمهم ببابه وتلذذوا بمناجاته وخطابه وتنعموا بسماع كتابه فأكمل لهم بذلك افضاله لا يبرحون من بين يديه ولا يعولون الا عليه ولا يشتاقون الا اليه وكيف يصبرون وقد شاهدوا بأسرارهم جماله امتلأت قلوبهم بهيبته وغرقت أفكارهم في بحر معرفته فازدادت عطشا ودهشا حين شاهدت جلاله فسبحان من اختارهم لنفسه ونعمهم بأنسه واجزل لهم نواله وحجب قوما عن هذه العوارف وقطعهم بعدله عن رياض المعارف وقيدهم بقيود القواطع والعوايق والصوارف وكيف يسرح فى رياض العرفان من أوثق الحرمان أغلاله فاسماعهم لا تلتذ بخطابه وقلوبهم لا تنزعج لعتابه وأرواحهم لا ترتاح الى مسارح أحبابه شتان بين حالة وحالة كم بين من يسر له مولاه سبيل السعادة وحقق آماله وأجزل نصيبه من التوفيق وقبل أعماله وبين من قطعه عن خدمته وأبعده عن حضرته فاطال حجابه ونكاله الأمر أمره والحكم حكمه والملك ملكه فلا ترى فى الملكوت الا أفعاله تعرض لنفحات جوده أيها السالك السائل واستنشق غيث ولائه فسيل الجود سائل فكم قاصدا عطاه قبل الطلب فكفاه سؤاله (أحمده) على ماأجزل من برفأناله وأسبل من ستر على العاصى فأطال إمهاله (وأشهد) أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة صادرة عن حق يقين وصدق مقالة وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أرسله بأوضح الدلالة وختم به النبوة والرسالة صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه صلاة دائمة ماحسنت فى ذوات الياء الأمالة وصح في حروف البيان قبل الهمز المد والاطالة (فى قول الله عزوجل واعلموا ان الله يعلم مافي أنفسكم فاحذروه واعلموا ان الله غفور رحليم) هذا تخويف عظيم وتعريف بأمر ذى خطر جسيم بأن الله يعلم ماأضمرت في نفسك وان خفي على الخلائق فاحذر من سطوته واقامة عدله في المطالبة باقامة الحقائق إن بطش ربك لشديد بطشه بطش جبار وأخذه أخذ قهار ثم اتبع هذا التخويف بذكر الجود العميم فقال تعالى واعلموا ان

الله غفور حليم رحمته رحمة غني كريم وحلمه حلم رؤف رحيم اذا بطش أدهش حتى لا طاقة واذا رحم أنعش حتى لا إفاقة فالعارفون أبدا بين الجلال والجمال فهم فى دهش عظيم وأنس ووصال . والعابدون بين خوف ورجاء وخشية وحياء (قال بعض العارفين) ان لله عبادا أسكتتهم خشية الله من غير عى ولا بكم وأنهم لهم البلغاء الفصحاء العارفون بالله ورسوله العالمون بالله وآياته ولكنهم اذا ذكروا عظمة الله تعالي تقطعت قلوبهم وطاشت عقولهم وكلت ألسنتهم فرقا من الله عز وجل وهيبة لجلاله ﴿قيل﴾ للحسن البصري كيف تصنع بمجالسة أقوام يخوفوننا حتى تكاد قلوبنا أن تطير فقال والله لان تجالس من يخوفك حتي يدركك الامن خير من أن تجالس من يؤمنك حتي يدركك الخوف * أوحى الله تعالى الى داود عليه الصلاة والسلام يا داود إن أحوج مايكون العبد الى اذا استغنى عني وأنا أرحم ماأكون بعبدي اذا ادبر عنى وإن أجل مايكون عبدى اذا رجع الى يا داود قل لشباب بني اسرائيل لم شغلوا أنفسهم بغيرى وأنا المشتاق اليهم ماهذا يا داود لو يعلم المدبرون عنى كيف انتظارى لهم ورفقى بهم وشوقى الى ترك معاصيهم لطاروا شوقا الى ولتقطعت أوصالهم من محبتى هذه إرادتى فى المدبرين عني فكيف إرادتي فى المقبلين على يامن غره الامهال وجر أذياله فى الغفلة والأهمال ونسى مابين يديه من العظائم وماأعد للمحسنين من الكرائم أرضيت ببيع حظك من الله بزيوف شهواتك أم قنعت من غنائم المجاهدين فى سبيل الله بكناسة منازل غفلاتك خسرت والله صفقة من باع لحظة من نعيم الآخرة بنعيم الدنيا فكيف يبيع النعيم الباقي بشهوة لحظة لكن قد قال العليم الخبير هل يستوى الأعمى والبصير أم هل تستوى الظلمات والنور الكافر أعمي القلب عن الحق والمؤمن بصير أبصر بعين قلبه لما كشف الغطاء عن بصيرته فانتفع بما سمع ورأى فان أسدل حجاب الغفلة على قلبه وقف على ماظهر له من حجبه فلم يظهر لايمانه ثمرة أم هل تستوي الظلمات والنور الاشتغال بذكر الله تعالى وخدمته نور والاشتغال بغير الله ظلمة الاعمى يتعلق بمن لا يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع فهو يسعى في ظلمة والبصير يتعلق برب الأرباب وفاتح الابواب الذى يعلم خفي أنين المذنبين وتضرع الخائفين و يبصر

جريان الدمع فى آماق المحزونين وتصعد أنفاس المنقطعين اذا نظروا الى أحوال السابقين وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين يبصر ويستر ويمنح ويمدح وينعم ويعطي والعبد يجرم ويخطي مولي تعصيه خمسين سنة ثم ترجع اليه مقدار سنة فيبدل مكان كل سيئة حسنة يغفر الكبير ويقبل اليسير ويقيل عثرة النادم على التقصير ويمن باطلاق الاسير فنعم المولي ونعم النصير والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير هل يستوي الاعمي والبصير هل يستوى من عمي قلبه عن طريق الرجوع الى مولاه فهو متماد فى عصيانه وموافقة هواه ومن كحل بكحل التوفيق فأبصر طريق التحقيق أجاب داعى الله اذا دعاه واستغاث بمن يعلم سره ونجواه ووقف في جنح الظلام وناداه (شعر)

بخضوع ودموع * ورجوع وافتقار
ونحول وذبول * وخمول وانكسار
وأنين وحنين * ويقين واصطبار
يا إلهى جد بعفو * فلقد طال انتظار
ضاع قلبي فى التمني * وله حق الجوار

هل يستوى الجاهل والعالم هل يستوى الهالك والسالم هل يستوى الغائب والحاضر هل يستوى الغافل والذاكر هل يستوى البعيد والقريب هل يستوي العدو والحبيب هل يستوى من هو مع نفسه ومن هو مع ربه ينعم بأنسه هل يستوى من هو فى منزلة الفراق يقاسى وباله ومن هو في حلة الوصال يجر أذياله هل يستوي من ربط بقيد الخذلان ووسم بوصم الهجران وحبس فى سجن الحرمان ومن هو فى نعيم الرضوان قد ظهرت عليه أنوار الايمان لا يستويان ولا يلتقيان ولا يجتمعان هل يستوى من أبعدناه وحجبناه ومن أخذنا بيده وقربناه هل يستوى من أعرض عنا ولم يطلب الاقالة منا ومن أقبل بكليته علينا ووجد نعيم قلبه لدينا كما قيل (شعر)

فياويح قلب رمي بالجفا * فبات على مثل جمر الغضي
وأصبح يندب رسما عفا * ويبكى على فقد عيش مضى
وليل الصدود أتي مقبلا * وولى نهار الرضا معرضا

فسيل الدموع وشق الجيوب * حقيق على فوت وقت الرضا

ماأصعب آثار سخطك الملك ماأعظم مصيبة من أعرض عنه الحبيب ماأوحش الصدود بعد الانس ماأشد الكدر بعد الصفاء ﴿شعر﴾

ليس البلايا بلية الأجساد * ومصيبة الأموال والأولاد

هجر الحبيب هو البلاء بعينه * والصد بعد تواصل ووداد

فالربع من بعد الأنيس معطل * قفر تبدل قربه ببعاد

من لم يتب والبين يقرع قلبه * لم يدر كيف تفتت الأكباد

هل يستوى الهجران والوصال هل يستوي الاعراض والاقبال هل يستوى من أقصاه مولاه وحرمه ومن أدناه ورحمه هل يستوى من بالطرد وسمه وسد عنه باب الوصل وحسمه ومن حماه عن المخالفات وعصمه وأيقظه لذكره وألهمه وأجزل حظه من التوفيق حين قسمه هل يستوي من يبارز الله تعالى بمعصيته وهو آمن من عقوبته ومن أنفق عمره في خدمته وهو خائف من سطوته هذه قسمة المولى واحد في أسر الدنيا وآخر فى طلب العقبى وآخر معرض عن الاولي وآخر مقبل على المولى وكل يسعى فيما سبق به القضاء ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون إلهي كيف الخلاص من ظلماتنا الا بنور عنايتك وهل السلامة من آفاتنا الا بحفظك ورعايتك وبمن تتعلق آمالنا إلا بكرم جودك العميم والى من نلتجىء الا الى ركنك العظيم « شعر »

اليك والا لا تشد الركائب * ومنك والا لا تنال الرغائب

وفيك والا فالرجاء مخيب * وعنك والا فالمحدث كاذب

لديك والا لا قرار يطيب لي * عليك والا لا تسيل السواكب

رضاك والا فالغرام مضيع * سناك والا فالبدور غياهب

إلهي أنت الغنى الكريم تدعونا اليك وترغبنا فيما لديك وتقابل اساءتنا باحسانك وتستر خطايانا بغفرانك وتذهب ظلمة ظلمنا لأنفسنا بنور رضوانك وتقهر عدونا عنا بعز سلطانك فما تعودنا منك الا الجميل ومالنا قلب عن بابك يميل ﴿شعر﴾ بجمال جودك ماحييت توسلي * وبه يصح رجاء كل مؤمل

من كنت أنت رجاءه وملاذه * فلقد تعلق بالجناب الاكمل
يا منتهى قصدى وغاية مطلبي * يامن عليه وان فنيت توكلى
أسكنت حبك فى فؤادي منزلا * وهوى سواك يحوم حول المنزل
عقد الوداد لغير حبك باطل * ما الحب الا للحبيب الاول

إلهى عبدك المسكين على الباب ينتظر عفوك عن العبيد أو رضاك عن الاحباب قد كتب قصة إفلاسه ووضع يد ندمه على رأسه وأنت أعلم بالحال وأولى بالجود والافضال (شعر)

شكا اليك ما وجد * من خانه فيك الجلد
حيران لو شئت اهتدي * ظمآن لو شئت ورد

اللهم إجعلنا من المتقين الأبرار واسلك بنا سبيل عبادك الاخيار وألهمنا رشدنا واجزل لنا من رضوانك حظنا ولا تحرمنا بذنوبنا ولا تطردنا بعيوبنا واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين والمسلمات وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

﴿ الفصل الخامس والعشرون في الدعوة ﴾

الحمد لله الذى أجرى الماء بلطيف حكمته في خلال الشجر فألانه وكسا عاطل الروض من حلى النبات ما كلله وزانه بعث لواقح الرياح الى الأفنان فحرك كل فن عيدانه فتمايل الحزين وتبلبل المسكين لما رأى بلبل الاشواق وقد طيب ألحانه كل يشهد بكمال صانعه وان أخرس العجز لسانه الذى أطلع شموس معرفته فى قلوب أهل محبته فأكمل لديهم احسانه وأرسل غيث ولائه الى أسرار أوليائه وحفظ عطاءه وصانه ووفق من إرتضاه من عباده وجعله من آل وداده فوفي بالامانة وسكن حرق الخائفين عند لقائه ورزقهم أمانه وضمن المزيد للمحسنين وهو الذى لا يخلف ضمانه الذى تفرد بالبقاء والقدم والعز والكبرياء والمجد والثناء فما أعز سلطانه الحى العليم القدير المدبر السميع البصير القيوم الملك الكبير فسبحانه من جبار ما أعظم شأنه المتكلم بكلام قديم أزلي لا يشبه كلام خلقه فمن شبه فقد بخس ميزانه والقرآن كلام الله نزل به الروح الأمين على قلب محمد سيد المرسلين وقال فيه ليؤمنه نسيانه

لاتحرك به لسانك لتجعل به ان علينا جمعه وقرآنه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه جل العلي العظيم عن الاشباه فمن شبه فقد اتبع خيالاته ووافق شيطانه له الجلال والكمال فمن جحد الصفات فقد أوهن ايمانه غرقت الافهام فى بحر تعظيمه وجبروته وتحيرت الألباب في دوام ملكوته فرجعت خاسئة خاسرة لتسأل الاعانة قسم عطاءه بين خلقه فلا مذل لمن أعزه ولا مكرم لمن أهانه فالسعيد من أهله لخدمته وعامله برحمته فجعل ذكره راحته وريحانه فالقرآن أنيسه والمولى جليسه وكيف لا يزيل بمجالسة الحبيب أحزانه والطريد من حجبه عن معرفته وخذله فصرفه عن خدمته وجعله تابعا لهواه سبحانه الأمر أمره والحكم حكمه والملك ملكه فمن أعرض فقد ضيع فى الهذيان زمانه الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه (أحمده) على ماشاد من فضل فقوي أركانه وصرف من سوء فأطفأ نيرانه وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له إله بين أدلة وحدانيته وأوضح برهانه وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى أظهر بالتحقيق سره واعلانه وأنار به سبيل الهدى فأزال به الباطل وبهتانه صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ماهب نسيم السحر على الشجر فهز أغصانه وحرك ساكن حنين المشتاق فتذكر أوطانه في قول الله تعالى والله يدعو الى دار السلام ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم خطاب الله تعالى فى كتبه المنزلة على لسان رسله دعوة عامة لجميع المخاطبين أمر الكل بالايمان والطاعة ونهاهم عن الكفر والمخالفة فيجب علينا امتثال الأوامر واجتناب النواهى لحق الربوبية وتنكيس رأس الاعتراض بوصف العبودية وهداية الله تعالى بمشيئته وإرادته وحكمه وقضائه خاصة للمؤمنين فقد دعا الكل وهدى البعض وأمر الكل ووفق البعض ونهى الكل وعصم البعض يفعل فى ملكه مايشاء ويحكم مايريد لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون دعا الانام من دار الآلام الى دار السلام فمن لبى فله تنشر الاعلام ومن أبى فبشقاوته جرت الاقلام دعاهم من دار العبادة الى دار الزيادة دعاهم من دار الشقاء الى دار البقاء دعاهم من دار أولها بكاء وأوسطها عناء وآخرها فناء الى دار أولها عطاء وأوسطها لقاء وآخرها بقاء دعاهم من دار دنية الي عيشة رضية دعاهم من دار التكليف الى دار التشريف دعاهم من دار

أصلها مدر وعيشها كدر ونفعها ضرر وروحها شرر ووعدها غدر الى دار أصلها درر وعيشها لقـاء ونظر وطرازها جنات ونهر فالدعوة عامة إلتزاما للحجة والهداية خاصة بيانا للمحجة ودار السلام الجنة والسلام من أسماء الله تعالى فمعناه دار الله تعـالى دعاهم الى داره فنعم الدار دارهم ونعم المزار مزارهم ونعم الجار جارهم نعم السكن الفردوس الأعلى ونعم الجار السيد المولى ونعم الرفيق السيد محمد المصطفى ويقال سميت الجنة دار السلام أي دار السلامة من الآفات والعاهات والنكبات يسلمون فيها من الضرر والفقر والفتن والهجر يسلمون فيها من الأوجاع والامراض والصدود والاعراض يسلمون فيها من طلب القوت وضيق البيوت وسكرة الماهم وانسرة الفوت ويقال سميت الجنة دار السلام لانهم دخلوها بسلام ادخلوها بسلام آمنين ذلا فيها سلام بعضهم على بعض قال الله تعالي إلا قيلا سلاما سلاما ولهم فيها سلام امن وخولهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبي الدار ولهم سوم الله عز وجل عليهم بلا واسطة تحيتهم يوم يلقونه سلام سلام قولا من رب رحيم فمن دعاه مولاه الي داره وشرح صدره بأنواره وحشا قلبه بمكنون أسراره فاز بقربه وجواره ومن دعاه الى داره وأشقاه بسوء اختياره صرفه عن جواره وخلده فى ناره وآخر دعاه وهداه ووقاه وقواه وآواه ورعاه وكلاه وأدناه كيف لا يجيبه وآخر دعاه وأعماه وأشقاه وأقماه وأخزاه وقلاه كيف يجيبه وفى الصحيح ان الله خلق خلقا للجنة وبأعمال الجنـة يعملون وخلق للنار خلقا وبأعمال أهل النار يعملون فأولياء الله فى الدنيا متنعمون بذكره متزينون بطاعتـه وشكره راحة قلوبهم فى التذلل بين يديه وأسرارهم فى الاقبال عليه فلهم نعيم معجل فى دنياهم ولهم الجنة فى عقباهم والغافلون في سجن الهوى والعصيان وقيد الشقاء والحرمان مبعدون عن بابه محجوبون بحجابه فلهم عذاب معجل بما حرموا من خدمته ولهم عذاب شديد فى جهنم مع ما حرموا من جنته (شعر)

بل هجره أصعب من ناره * ووصـله أحسن من جنته
فالويل كل الويل فى بعده * والنيل كل النيل في قربتـه
يامن يريد العز يحظى به * العز كل العز فى خـدمته
اقطع تصل أقبل تري بره * واستسق غيث الجود من رحمته

لله عبد شغله ذكره * أسعده بالقرب من حضرته
فشغله تصعيد أنفاسه * يتبعها التقطير من عبرته
ان قال يارب يقل ربه * لبيك عبدي سل دلالاوته

والمكلفون على أربعة أقسام القسم الاول قوم خلقهم الله تعالى لخدمته وجنته وهم الانبياء والاولياء والصالحون والمؤمنون عاشوا فى الدنيا بين آثاره وأنواره اطمأنت بذكر الله تعالى قلوبهم وطابت بطاعة الله تعالى حياتهم وعلت بمحبة الله تعالى أنوارهم ورفعت الى الملكوت أذكارهم قال الله تعالى من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة والحياة الطيبة لذة الطاعة وعز القناعة فازوا بعز الدارين ونالوا شرف المنزلتين فطوبى لهم وحسن مآب. القسم الثانى قوم خلقهم الله تعالي لجنته دون خدمته وهم الذين عاشوا [illegible] ثم ختم لهم بالايمان أوفرطوا مدة حياتهم وانهمكوا في العصيان ثم تاب الله عليهم عند الخاتمة فماتوا على حالة التوبة والاحسان كسحرة فرعون وكانوا ثلاثين ألفا على ما يقال آمنوا بالله وقتلوا من يومهم ذلك فدخلوا الجنة كانوا أول النهار يحلفون وعزة فرعون انا لنحن الغالبون ثم بعد ساعة حلفوا والذي فطرنا كانوا يطلبون الجزاء من فرعون ويقولون أئن لنا لأجرا ان كنا نحن الغالبين ثم بعد ساعة قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذى فطرنا فاقض ما أنت قاض الي قوله خير وأبقي والعجب ان الله تعالى أنطق فرعون بما كان فى باطنه البشرى وهو قوله نعم وانكم لمن المقربين كانوا مقربين عند رب العالمين قال الله تعالى انما التوبة علي الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب كل من عمل سوأ فما عمله الا بجهالة وغفلة وقلة تعظيم لأمر الله تعالى وان كان عالما وكل من تاب قبل ان يحضره الموت ويعاين الملائكة ويغرغر فقد تاب من قريب فان التوبة البعيدة توبة من فرط حتى عاين ملك الموت فصار في حيز الآخرة وهم الذين قال الله تعالي فيهم وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال انى تبت الآن وأبعد من ذلك الذين يتوبون في الآخرة ويعترفون فى دركات لظى قال الله تعالى ولا الذين يموتون وهم كفار أى لا تقبل توبتهم فى الآخرة وقال تعالي وقالوا آمنا به وأني لهم

التناوش من مكان بعيد أى وكيف لهم سبيل الى التوبة وتناولها وقد بعد عليهم مكانها فانها انما تقبل في الدنيا وقال تعالى فاعترفوا بذنبهم فسحقا لأصحاب السعير (القسم الثالث) قوم خلقهم الله تعالي لا لخدمته ولا لجنته وهم الكفار الذين يموتون على الكفر فى الدنيا حرموا فى الدنيا نعيم الايمان وفى الآخرة مخلدون فى العذاب والهوان (القسم الرابع) قوم خلقهم الله تعالي لخدمته دون جنته وهم الذين كانوا عاملين بطاعة الله تعالى ثم مكر بهم فطردوا عن بابه وماتوا على الكفر بالله نسأل الله تعالى العافية بمنه وكرمه فانه يخلق مايشاء بغير كلفة ولا نصب ويختار مايشاء بغير زلفة ولاسبب (قوم) أذلهم وأشقاهم وحجبهم وأقماهم وأضلهم وأخزاهم ولو ألبسهم لباس السعداء زمانا فلابد أن يسلبهم ويلبسهم ذلا وهوانا (وقوم) اختارهم واصطفاهم وانتخبهم واجتباهم وأعزهم وقواهم وخولهم وأعطاهم ووالاهم وأولاهم ولو ألبسهم لباس البعد والحجاب فلابد أن يردهم الى الباب ويلبسهم لباس الأحباب وهو الكريم الوهاب اللهم اجعلنا من عبيدك المفلحين وأوليائك المتقين الذين أهلتهم لخدمتك ونعمتهم بانسك وحضرتك وسقيتهم لذيذ شرابك وخلعت عليهم خلع أحبابك هانحن عبيدك قد ألقينا نفوسنا بين يديك وطمعنا بحسن وعدك وجميل رفدك فيما لديك اغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين والمسلمات وصلي الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا الي يوم الدين آمين

(الفصل السادس والعشرون في الفقر)

الحمد لله الذي لا يخيب لديه أمل من أمله ولا يغيب عن بساط قربه من رضيه وقبله الأول من غير بداية والآخر من غير نهاية الغني الذى لا شريك له فيما ثبت له القدوس الصمد الواحد الأحد الذى لا شريك له فيما فعله استوي على العرش من غير تكييف ولا تشبيه وقد ضل من شبهه ومثله العرش لا يمسكه والعقل لا يدركه والوهم لا يصوره والفكر لا يقدره وقد خاب من كان ظنه من الايمان جده له القريب بعلمه وقدرته وكرمه ورأفته في كل ليلة يدعو العباد اليه فيغفر لمن استغفره ويتوب على من تاب اليه ويعطي من سأله الحى العليم القدير المريد السميع البصير ووصف كماله لا حد له المتكلم بكلام قديم أزلى لا يشبه كلام خلقه والقرآن كلام الله الذى أنزله صفاته قديمة

ثابتة بالأدلة وقدضلت المعتزلة من نفي عنه صفات الكمال فانما يتعلق بزخرف الجدال وخاض في ظلمات المعطلة ليس كمثله شيء ومن شبه فقد جهل فيما نتحله سبح بحمده كل ناطق وصامت ففي كل مصنوع سر لمن تأمله فالأكوان كلها واقفة على قدم الافتقار ناطقة بلسان الاضطرار متضرعة مبتهلة فلعزه يجب الخضوع ولخوف هجره تسيل الدموع وفي جلاله تحق الحيرة والوله قسم عطاءه بين خلقه فالقريب من قربه والبعيد من حجبه وكل يسعى فيماله أهله والشقي من قطعه ومنعه وخذله وصرعه والسعيد من والاه وتولاه وارتضاه ووصله ماأسعد من أيقظه مولاه لذكره فلم يقطعه عنه قاطع ولاشغله ماأبعد من ضيع عمره في الغفلات فلم ينتفع بما حصله ماأطول حسرته يوم العرض على الجبار ماأشد خيبته اذا عاين منازل الأبرار فتبا للنائم عن الغنائم ماأغفله تذلل بين يدي مولاك أيها المسكين فهو الذي لايضيع لديه المسألة الذي علم وأحصى وقرب وأقصي واليه الرجوع فيو في كل عامل عمله (أحمده) على ماأسدي من خير وأجزله وأبدى من برفأكمله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له إله علم الاشياء مجملة ومفصلة وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي أرسله وحبيبه الذي أنزل عليه الكتاب فجمع فيه علوم الكتب المنزلة وكشف ببرهانه كل معضلة وأوضح ببيانه كل مشكلة صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه كما جعله بالخير أجود من الريح المرسلة * في قول الله عزوجل واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه الآية * هذه الآيات في تفضيل الفقراء وسبب نزولها ان النبي ﷺ أول من آمن به الفقراء وكذلك كل رسول أرسل أول من يتبعه الفقراء فكان رسول الله ﷺ يجلس مع الفقراء أصحابه مثل سلمان وبلال وصهيب وعمار بن ياسر وعامر بن فهيرة ونحوهم من الفقراء فأراد المشركون أن يحتالوا عليه في طرد الفقراء لما سمعوا أن علامات الرسل أن يكون أول من يتبعهم الفقراء فجاء بعض رؤساء المشركين وقالوا يامحمد اطرد الفقراء عنك فان نفوسنا تأنف أن تجالسهم فلو طردتهم لآمن بك أشراف الناس ورؤساؤهم فأنزل الله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم أي لاتتعداهم ولاتجاوز عنهم بنظرك رغبة عنهم وطلبك لصحبة أبناء الدنيا وقل

الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ثم ضرب لهم مثل الغنى والفقير بقوله واضرب لهم مثلا رجلين الآيات واضرب لهم مثل الحياة الدنيا الآيات فكان ﷺ يعظمهم ويكرمهم ولما هاجر الى المدينة هاجروا معه فكانوا فى صفة المسجد مقيمين متبتلين فسموا أصحاب الصفة فكان ينتهي اليهم من يهاجر من الفقراء حتي كثروا رضى الله عنهم شاهدوا ماأعد الله تعالى لاوليائه من الاحسان وعاينوه بنور الايمان فلم يكلفوا قلوبهم بشيء من الاكوان بل قالوا إياك نعبد ولك نخضع ونسجد وبك نهتدى ونسترشد وعليك نتوكل ونعتمد وبذكرك نتنعم ونفرح وفى ميدان ودك نرتع ولك نعمل ونكدح وعن بابك أبداً لا نبرح فحينئذ أعمر بهم سبيله وخاطب فيهم رسوله فقال تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى أى لا تطرد قوما أن أمسوا فعلى ذكر ربهم يتقلبون وان أصبحوا فالى بابه ينقلبون ولا تطرد قوما المساجد مأواهم والله مطلع بهم ومولاهم لا تطرد قوما ائتزروا بالذل والمسكنة خضوعا وارتدوا بالهيبة والوقار خشوعا الجوع طعامهم والسهر اذا نام الناس إدامهم والفقر والفاقة شعارهم والصمت والحياء دثارهم والتجريد مع الله في القلوب ولأمهم وذكر الله في الخلوات تمائمهم فطموا نفوسهم عن الشهوات وحرموا أبدانهم من اللذات ربطوا خيل عزمهم على باب مولاهم وبسطوا وجوههم فى محاريب نجواهم (شعر)

لو يعلم الناس عمن اشتغلوا * لما تهنو بما به شغلوا
من ذاق وصل الحبيب هام ولم * يحل له منزل ولا طلل
لله قوم بروحهم سمحوا * واستصغروا اقدرها وماجهلوا
عاشوا وفازوا هم الملوك وان * ذلوا وان أملقوا وان خملوا

الفقر فخر الانبياء وشعار الاتقياء ولباس المتقين ومطية الصادقين (شعر)

من عرف الله ولم تغنه * معرفة الله فذاك الشقى
ماضر ذا الفاقة مانا له * فى طاعة الله وماذا لقى
مايفعل العبد بعز الغنى * والعز كل العز للمتقى

(وفى الحديث) أن رسول الله ﷺ كان يقول اللهم أحينى مسكينا وأمتنى مسكينا

واحشرني في زمرة المساكين فقال أنس بن مالك يارسول الله انك لتدعو بهذا الدعاء كثيرا فقال يا أنس إن الرحمة لاتفارقهم طرفة عين يقول الله عز وجل ماضركم مافاتكم من الدنيا بعدان كنت لكم حظا . وقال أبو سليمان الداراني بلغني أن تنفس الفقير دون شهوة تعدل عبادة الغني ألفي عام . وقال بعض السلف العبادة مع طلب الدنيا كروضة على مزبلة والعبادة للفقير كعقد جوهر في جيد حسناء «شعر»

من كان ذا مال كثير ولم * يقنع فذاك الموسر المعسر
وكل من كان قنوعا وان * كان مقلا فهو المكثر
الفقر في النفس وفيها الغنى * وفي غنى النفس الغنى الاكبر

هل سمعتم ان فقيرا إدعى الربوبية أم هل بلغكم ان فقيرا نازع الالوهية وكم من جبار تفرعن وطغى ومترف تجبر وبغي «شعر»

من شرف الفقر ومن فضله * على الغني ياصاح لو تعتبر
أنك تعصي كي تنال الغني * ولست تعصي الله كي تفتقر

والفقر عام وخاص فالعام الحاجة الى الله تعالى وهذا وصف كل مخلوق مؤمن وكافر وهو معني قوله تعالى يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله والله هو الغنى الحميد والخاص وصف أولياء الله تعالي وأحبابه وهو خلو اليد من الدنيا وخلو القلب من التعلق بها اشتغالا بالله تعالى وشوقا الى الله تعالى وأنسا بالفراغ والخلوة مع الله تعالى * أوحي الله تعالى الى داود عليه الصلاة والسلام ياداود أبلغ أهل الارض أنى حبيب لمن أحبني وجليس لمن جالسني ومؤنس لمن أنس بذكرى وصاحب لمن صاحبني ومختار لمن اختارني ومطيع لمن أطاعني ماأحبنى عبد اعلم ذلك يقينا من قلبه الاقبلته لنفسي من طلبنى بالحق وجدنى ومن طلب غيري لم يجدنى فارفضوا ياأهل الارض ماأنتم عليه من غرورها وهلموا الي كرامتى ومصاحبتي ومجالستي وأنسوابى أونسكم واسارع الى محبتكم * وأوحي الله الي بعض الأنبياء ان لى عبادا من عبادى يحبونى وأحبهم ويشتاقون الي واشتاق اليهم ويذكرونى واذكرهم وينظرون الي وأنظر اليهم قال يارب وماعلامتهم قال يراعون الظلال بالنهار كما يراعي الراعي الشفيق غنمه ويحنون الي غروب الشمس كما تحن الطير الى أوكارها عند الغروب واذاجنهم الليل واختلط الظلام وفرشت الفرش ونصبت الاسرة

وخـلا كل حبيب بحبيبه نصـبوا الاقـدام وافترشـوا الى وجوههم وناجونى بكلامي وتملقوا الى بأ نعامي فبين صارخ وباك ومتأوه وشاك وبين قائم وقاعد وبين راكع وساجـد بعينى ما يتحملون من أجـلي وبسمعى مايشتكون من حبي أول ما أعطيهم ثلاث أقذف من نورى في قلوبهم فيخبرون عني والثانية لو كانت السموات والارض ومافيهما في موازينهم لاستقللتها لهم والثالثة أقبل بوجهى عليهم أفترى من أقبلت بوجهي عليه يعلم أحداً أريد أن أعطيه * وروى ان داود عليه الصلاة والسلام قال يارب ارنى أهل محبتك فأوحى الله تعالى اليه ياداود إئت جبل لبنان فان فيه أربعة عشر نفسا فيهم شباب وكهول وفيهم شيوخ فاذا أتيتهم فأقرئهم منى السـلام وقل لهم إن ربكم يقرئـكم السلام ويقول لـكم ألا تسألونى حاجة فانـكم أحبابي واصفيائي وأوليائى فأتاهم داود عليه الصلاة والسلام فوجدهم عند عين من العيون مجتمعين مطرقين مشتغلين بتعظيم الله تعالى فلما نظروا الي داود عليه الصلاه والسلام نهضوا ليتفرقوا عنه فقال لهم انى رسول الله اليكم جئتـكم لا بلغـكم رسالة ربكم فاقبلوا نحوه والقوا أسماعهم نحو قوله واطرقوا الى الارض فقال داود عليه الصلاة والسلام اني رسول الله اليكم ربكم يقرئـكم السلام ويقول لـكم الا تسئلوني حاجة ألا تنادونى أسمع صوتـكم وكلامكم فانـكم أحبابي وأصفيائى وأوليائى قال فجرت الدموع على خدودهم فقال شيخهم سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك فاغفر لنا ماقطع قلوبنا عن ذكرك فيما مضى من عمرنا وقال آخر سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك فامنن علينا بحسن النظر فيما بيننا وبينك وقال آخر اللهم أدم لنا لزوم النظر اليك . وقال آخر نحن مقصرون فى طلب رضاك فارض عنا بجودك وقال آخر اللهم اغفر لنا تقصيرنا فى شـكرك . وقال آخر اللهم انك تعلم أنه لاحاجة لنا الا النظر الى وجهك وقال آخر اللهم هب لنا نورا نهتدي به اليك وقال آخر نسئلك أن تقبل علينا وتديم لنا ذلك وقال آخر نسئلك تمـام نعمتك فيما وهبته لنا وقال آخر اللهم انى اسئلك أن تعمي عيني عن الدنيا وأهلها وقلبي عن الاشتغال بغيرك . وقال آخر قد علمنا انك تحب أوليائك فامنن علينا باشتغال القلب عن كل شيء دونك . وقال آخر كلت ألسنتنا عن دعائك لعظم شأنك وقربك من أوليائك وكثرة منتك على أهل محبتك فأوحى الله تعـالي

الى داود عليه الصلاة والسلام قل لهم قد سمعت كلامكم واجبتكم الي ما اجبتم فليفارق كل واحد منكم صاحبه وليتخذ لنفسه سربا فانى كاشف الحجاب بيني و بينكم فقال داود عليه الصلاة والسلام يارب بم نالوا منك هذه الكرامة قال بحسن الظن والزهد في الدنيا وأهلها * و يروي ان الله تعالى أوحى الى داود عليه الصلاة والسلام أيضا قل لعبادى المتوجهين الي محبتي ماضركم اذا احتجبتم من خلقى ورفعت الحجاب فيما بيني و بينكم حتى تنظروا الى بنور قلوبكم وماضركم مازويت عنكم من الدنيا اذا انبسطت اليكم وماضركم مسخطة الخلق اذا التمستم رضاى ياداود تزعم انك تحبنى فاذا كنت تحبني فأخرج حب الدنيا من قلبك فان حبي وحبها لا يجتمعان فى قلب ياداود خالص أحبتى مخالصة وخالط أهل الدنيا مخالطة ياداود تحبب الى بمعاداة نفسك وأمنعها الشهوات أنظر اليك وتر الحجب بيني و بينك مرفوعة . اللهم أذقنا حلاوة مناجاتك واسلك بنا طريق مرضاتك واقطع عنا كل مايبعدنا عن حضرتك و يسر لنا مايسرته لاهل محبتك واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين والمسلمات آمين

الفصل السابع والعشرون في المحبة

الحمد لله الذى تفرد بالعز والكبرياء والقدم والبقاء والمجد الأسنى الواحد الاحد القيوم الصمد الذى أعطى وأثني الحي القيوم القدير الذى أوجد وافنى المريد الذى قدر وقضى وحكم فأمضى وأبعد وأدني السميع البصير الذى ستر نا بفضله وهو مطلع على ماأسررنا وماأعلنا الملك الذي أعطي ومنع ووصل وقطع وأغني وأقنى المتكلم بكلام قديم أزلي لا يبيد ولا يفنى سبح بحمده الرعد والمطر والنجم والشجر والجن والبشر والشمس والقمر ففي كل شيء له آية وفي كل ناطق معنى فتح أسرار العارفين لسماع تسبيح الموجودات فشاهدوا فى كل مصنوع حسنا ألهمنا معرفة وجوده وأطمعنا فى بره وجوده فطمعنا كيف لا تنفطر قلوب المحبين شوقا الى لقائه وتدهش الالباب خوفا من بعاده وحزنا أم كيف تستقر الارواح وقد دعاها الى المقام الاعلى والحظ الاوفى والشرف الأهني لاراحة للقلوب الا بذكره وثنائه ولا نعيم الا علي بساط رضوانه يوم لقائه هنالك يجد الشفاء من كان بحبه مضنى والمغبون من رضى بالهجر

والبعاد والمحروم من حرم القرب والوداد والشقي من كان له الحرمان قيدا وخذلانا وسجنا ياخيبة المنقطعين في بوادي الهوي اذا عاينوا ركب السابقين فتقطعت قلوبهم حسرة وغبنا ياندامة من ضيع عمره في البطالة وأنفق أيامه في ذكر سعدي ولبنى ياخجلة من نظر اليه مولاه وهو على قبيح خطاياه قد أغمض عن المراقبة جفنا أيحسب الانسان أن يترك سدى ألم يك نطفة من مني يمني فسبحان من وفق أولياءه لخدمته وعاملهم بجميل رحمته وأقام لهم يوم الجزاء وزنا أن الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى أحمده على آلائه التي ساقت الينا من عطائه مزنا ومنته علينا إذ هدانا للايمان وعرفنا فعرفنا وأشهد أن لا إله الا الله وحده لاشريك له إله عليه توكلنا واليه أنبنا وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي أسرى به من المسجد الحرام الي المسجد الأقصي فكان قاب قوسين أو أدنى ﷺ وعلى آله وأصحابه ما بلبل ساكن الاشواق ذكر طلل ورسم ومغنى وهب نسيم الاسحار فهز الأشجار غصنا * في قول الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأت الله بقوم يحبهم ويحبونه الآية محبة الله تعالي للعبد إرادة تقريبه واكرامه وتواليه بعنايته في جميع أحواله فمن أحبه الله عامله بلطفه وجاد عليه باحسانه وفتح عليه بما يبلغه أمله ولا يدركه كده وعمله ومحبة العبد لله تعالى تعلق القلب بذكره ودوام الشغف به والتنعم بمناجاته والتلذذ بخدمته وصدق الشوق اليه والاكتفاء به عن كل ماسواه . قال رسول الله ﷺ ثلاث من كن فيه فقد استكمل الايمان من كان الله ورسوله أحب اليه مما سواهما وأن يحب المرء لايحبه الا الله وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار . وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه من ذاق من خالص محبة الله عزوجل شغله ذلك عن طلب الدنيا وأوحش عن جميع البشر . وقال الحسن من عرف ربه أحبه ومن عرف الدنيا زهدها . وعن سري السقطى قال تدعى الأمم يوم القيامة بأنبيائها فيقال ياأمة محمد ياأمة موسي ياأمة عيسى ويدعى المحبون فيقال ياأولياء الله هلموا الى الله سبحانه فتكاد قلوبهم تنخلع فرحا . وقال هرم بن حيان المؤمن اذا عرف ربه أحبه واذا أحبه أقبل عليه واذا وجد حلاوة الاقبال عليه لم ينظر الي الدنيا بعين الشهوة . وقال يحي بن معاذ مثقال

خردلة من الحب أحب الى من عبادة سبعين سنة بلا حب * وقالت رابعة العدوية يوما من يدلنا على حبيبنا فقالت جارية لها حبيبنا معنا ولكن الدنيا قطعتنا عنه (وأوحى) الله تعالى الى عيسى عليه الصلاة والسلام اني اذا اطلعت على سر عبدى فلم أجد فيه حب الدنيا والآخرة ملأته من حبي وتوليته بحفظى . وقال سرى السقطي من أحب الله تعالى عاش ومن مال الى الدنيا طاش والأحمق يغدو ويروح فى غير شىء . وقال أبو يزيد الحب دهش فى لذة وحيرة فى نعيم . وقال سهل ابن عبدالله المحبة عطف الله بقلب عبده الي مشاهدته بعد فهم المراد منه . وأوحي الله تعالى الى داود عليه الصلاة والسلام ياداود ذكري للذاكرين وجنتي للعابدين وزيارتى للمشتاقين وأنا خاصة للمحبين . وأوحى الله تعالى الى آدم عليه الصلاة والسلام يا آدم من أحب حبيبا صدق قوله ومن أنس بحبيبه رضى فعله ومن اشتاق اليه جد في سيره . وقال بعضهم رأيت فى جبل لكام رجلا أسمر نحيف البدن وهو يفر من حجر الى حجر ويقول

انما الشوق والهوى * صيرانى كما ترى

وقال الجنيد رضى الله تعالى عنه بكي يونس عليه الصلاة والسلام حتى عمى وقام حتي انحنى وصلى حتي أقعد وكان يقول وعزتك وجلالك لو كان بيني وبينك بحار من نار لخضتها شوقا مني اليك * ويقال من علامات المحبة حب لقاء الحبيب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه * وكان سفيان الثورى وبشر الحافى رضي الله عنهما يقولان لا يكره الموت الا مريب لان الحبيب على كل حال لا يكره لقاء الحبيب . وقال سهل بن عبدالله علامات محبة الله تعالى ايثار الله على نفسك وليس كل من عمل الطاعات صار حبيبا وانما الحبيب من ترك المعاصى ومن علامات المحبة أن لا يخلو قلبك ولا لسانك من ذكر الله تعالى . قال بعض الصالحين حصلت عندى فترة عن تلاوة القران فسمعت قائلا يقول لى في المنام ان كنت تزعم أنك تحبنى فلم جفوت كتابى أما ترى مافيه من لطيف عتابى قال فانتبهت وقد مازج قلبي حب القران . وقال ابن مسعود رضى الله عنه لا ينبغى أن يسأل أحدكم عن نفسه الا القرآن فان كان يحب القرآن فهو يحب الله ومن علامات المحبة الانس بالخلوة فى الفلوات والليالى المظلمات انقطاعا الى الله تعالى عن

الخلق فمن استأنس بالناس فهو من أهل الافلاس * وروى ان عابدا كان في غيطه فرأي طائرا حسنا قدعشش في شجرة فانتقل قريبا منها ليأنس بالطائر و يستريح بحسن صوته فأوحي الله تعالى إلى نبي ذلك الزمان قل لفلان العابد استأنست بمخلوق والله لاحطنك درجة لا تنالها بشيء من عملك أبدا . وقال يحي بن معاذ من لم يكن فيه ثلاث خصال فليس بمحب يؤثر كلام الله تعالى على كلام الخلق ولقاء الله تعالى على لقاء الخلق والعبادة على خدمة الخلق ومنها الايتأسف على مافاته من الحظوظ وانما يتأسف على لحظة تمر فى الغفلة عن الله تعالى . وقال ابراهيم بن أدهم بينما أنا في السياحة اذ سمعت قائلا يقول (شعر)

كل شيء لك مغفور * سوى الاعراض عنا
قد وهبنالك مافات * بقى مافات منا

وقال بعضهم عبدت الله تعالى حتي ظننت ان لى عنده شيئا كثيرا فرأيت فى المنام صفا من الملائكة بعدد ماخلق الله تعالى من شيء فقلت من أنتم قالوا نحن المحبون لله عزوجل نعبده ههنا منذ ثلاثمائة سنة ماخطر على قلوبنا سواه ولاذكرنا غيره قط فاستيقظت وقد استحيت من الله تعالى ان أذكر أعمالي وأحوالى وحكى أن ابراهيم ابن أدهم رضى الله عنه لقيه رجل وهو نازل من جبل فقال من أين أقبلت قال من الأنس بالله . وقيل لرابعة بم نلتي هذه المنزلة قالت بتركى مالا يعنينى وأنسي بمن لم يزل وقال عبد الواحد بن زيد مررت بعابد فى صومعة فقلت له أعجبتك الوحدة فقال ياهذا لوذقت حلاوة الوحدة لاستوحشت اليها من نفسك الوحدة رأس العبادة قلت متي يذوق العبد حلاوة الانس قال اذاصفا الود وخلصت المعاملة قلت متي يصفو الود قال اذاصارت الهموم هما واحدا وأوحي الله تعالى الي داود عليه الصلاة والسلام كن بى مستأنسا ومن سواى مستوحشا : وسئل الجنيد عن المحبة لله تعالي قال عبد ذهب عن نفسه واتصل بذكر ربه وقام بأداء حقوقه ونظر اليه بقلبه فان تكلم فبالله وان سكت فمع الله . وقال أبو يزيد المحبة إيثار المحبوب عن كل مصحوب و يقال المحبة الميل الدائم بالقلب الهائم و يقال المحبة أن تكون للمحبوب كالمملوك حتى لايكون لك منك شيء و يقال

المحبة محوماسوى المحبوب من القلب . وقال سمنون ذهب المحبون بشرف الدنيا والآخرة لأن النبي ﷺ يقول المرء مع من أحب . ورؤى مجنون ليلى في المنام فقيل له مافعل الله بك قال غفرلى وجعلني حجة على المحبين . و يقال المحبة أن تكون مع محبوبك بنسيان حظوظك وخلع أوصافك و يقال الحب كامن فى الفؤاد كالنار فى الزناد ان قدحته أورى وان تركته توارى فهو ألطف من ان تدركه عبارة وادق من أن تتناوله إشارة يستدل عليه بآثاره و يعرف وجوده بأنواره (شعر)

مطله أطيب من وصله * وجوره أحلي من عدله
وصعبه أهنى من سهله * ومنعه أشهي من بذله

(شعر)

اهتز عند تمنى وصله طربا * ورب أمنية أحلى من الظفر
يحبني على وأجني من معاطفه * فنى الجني والجنايات انقضى عمرى

(وقال) يحي بن معاذ ليس بصادق من ادعى محبته ولم يحفظه وقال الجنيد المحبة افراط الميل بلا نيل وقال المحاسبي المحبة ميلك الى المحبوب بكليتك ثم إيثارك له على نفسك وروحك ومالك ثم موافقتك له سرا وجهرا ثم عملك بتقصيرك فى حبه ودخل جماعة على الشبلي وهو فى المارستان فقال من أنتم فقالوا أحبابك فرماهم بحجر فهربوا فقال يا كذبة لوصدقتم فى ولائي مافررتم من بلائى وذكرت المحبة عند ذي النون فقال اسكتوا لئلا تسمع النفوس فتدعي وأنشد يقول

الخوف أولى بالمسى * ءإذا تأله والحزن
والحب يجمل بالتقي وبا * لنقى من الدرن

وقال ابراهيم بن أدهم يوما اللهم ان كنت أعطيت أحدا من المحبين مايسكن به قلقه قبل لقائك فأعطني ذلك فقد أضر نى القلق فرأى في المنام قائلا يقول ياابراهيم أماتستحى تسأل الله أن يعطيك مايسكن به قلقك قبل لقائه وهل يسكن قلق المحب الا بلقاء حبيبه (شعر)

لوشئت داويت قلبا أنت مسقمه * في يديك من البلوى سلامته
القلب فى وله والطرف منتظر * من كان مثلي فقد قامت قيامته

وفى بعض كتب الله تعالى المنزلة لن يسأم المحبون لله عز وجل من طول اجتهادهم بل يحبونه ويحبون ذكره ويحببونه الى خلقه يمشون بين عباده بالنصائح ويخافون عليهم يوم تبدو الفضائح أولئك أولياء الله تعالى وأحباؤه وأهل صفوته أولئك لا راحة لهم دون لقائه (وقال) ذو النون ما ولع امرؤ بذكر الله تعالى الا استفاد محبة الله . وقال ابراهيم بن أدهم يوما لرجل يا أخي تحب أن تكون لله وليا ويكون لك محبا قال نعم قال دع الدنيا وأقبل على ربك بقلبك يقبل عليك بوجهه فانه بلغني أن الله تعالى أوحي الى يحيي بن زكريا عليهما الصلاة والسلام يا يحيي انى قضيت على نفسي أنه لا يحبنى أحد من خلقى أعلم ذلك من نيته الا كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به وفؤاده الذي يعقل به فاذا كنت كذلك بغضت اليه أن يشتغل بغيرى وأدمت فكره وأسهرت ليله وأظمأت نهاره أنظر اليه فى كل يوم سبعين نظرة فأرى قلبه مشغولا بى فأزداد من حبه وأملأ قلبه نورا حتي ينظر بنورى فكيف يسكن يا يحيي قلبه وأنا جليسه وغاية أمنيته وعزتى وجلالى لأبعثنه مبعثا يغبطه النبيون والمرسلون ثم آمر مناديا ينادي هذا حبيب الله تعالى وصفيه دعاه الي زيارته فاذا جاءني رفعت الحجاب بينى وبينه فلما ذكر الحجاب صاح يحيي عليه الصلاة والسلام صيحة فلم يفق ثلاثة أيام فلما أفاق قال فمن لم يرض بك صاحبا فبمن يرضي وكيف أصاحب خلقك وقد دعوتنى الي مصاحبتك (وقال) ذو النون أوحى الله تعالي الى موسى عليه الصلاة والسلام ياموسي كن كالطير الوحدانى يأكل من رؤوس الاشجار ويشرب من ماء القراح اذا جنه الليل أوى الى كهف من الكهوف استئناسا بى واستيحاشا ممن عصاني ياموسى انى آليت على نفسى ان لا أتمم لمدبر عنى عملا ولأقطعن أمل كل مؤمل غيرى ولأقصمن ظهر من استند الي سواى ولأطيلن وحشة من استأنس بغيرى ولأعرضن عمن أحب حبيبا سواى ياموسى ان لى عبادا ان ناجونى أصغيت اليهم وان نادونى أقبلت عليهم وان أقبلوا على أدنيتهم وان دنوا مني قربتهم وان تقربوا مني اكتنفتهم وان والونى واليتهم وان صافوني صافيتهم وان عملوا لى جازيتهم أنا مدبر أمورهم وسائس قلوبهم وأحوالهم لم أجعل لقلوبهم راحة الا فى ذكرى فهؤلاء سقامهم شفاء وعلى قلوبهم ضياء لا يستأنسون إلا بي ولا

يحطون رحال قلوبهم إلا عندى ولا يستقر بهم القرار إلا الي اللهم عمر قلوبنا بشكرك ووفقنا للقيام بذكرك وآمنا من سطوة مكرك واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين والمسلمات انك أهل التقوي وأهل المغفرة وصلي الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم آمين

الفصل الثامن والعشرون في الاسلام

الحمد لله الذى أحيا ماحل الرياض بوابل الامطار وكسا عارى الربا من نسج قدرته ثياب النبات والازهار وفتح لالتقاط درر منثور الغيث أكف النوار وأجرى الماء بلطيف حكمته فى خلال الاشجار وألان الغصون فاهتزت بنسيم الاسحار الذى مطر العناية الي موات القلوب والاسرار فأحياها بجميل نظره فتلألأت من أرجائها الانوار هو الاول والآخر والظاهر والباطن العالم بالجهر والاسرار الواحد الأحد الفرد الصمد الذى هام العقل فى تعظيمه وحار السميع البصير المريد القدير وكل شىء عنده بمقدار المتكلم بكلام قديم أزلى ومن شبه فى صفاته فقد جار له الجلال والكمال فمن عطل فقد مال إلى الجحود والانكار جل الواحد المهيمن عن أن تحيط به الاوهام والافكار لاتدركه الابصار وهو يدرك الابصار قسم عطاءه بين خلقه فلا يغير قسمته الاحتيال والحذار أفمن يعلم انما أنزل اليك من ربك الحق كمن هو أعمى انما يتذكر أولوا الالباب الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق والذين يصلون ماأمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية ويدرؤن بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبي الدار أحبهم ووالاهم وقربهم وتولاهم وزينهم وحلاهم فلا سعداء الا إياهم فياقرة أعينهم فى دار القرار اذا كشف عنهم الحجاب وأنزلوا منازل الاحباب وفازوا بالقرب والجوار فسبحان من أكمل عليهم النعم وأخرجهم بأنوار هدايته من غياهب الظلم وربك يخلق مايشاء ويختار خلق السموات والارض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمي ألا هو العزيز الغفار (أحمده) على نعمه المسبلة الغزار وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له شهادة تبلغ قائلها منازل الابرار وأشهد أن محمدا عبده ورسوله المجتبي المختار صلي الله

عليه وعلى آله وأصحابه آناء الليل وأطراف النهار (فى قول الله تعالي ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين) الاسلام الانقياد لطاعة الله تعالي فان كان الانقياد مع التصديق فى الباطن فهو اسلام صحيح صادر عن إيمان صحيح وقد ورد في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال بنى الاسلام على خمس على أن يوحد الله واقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت (وعن) أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال جاء رجل من أهل البادية فقال يا محمد أتانا رسولك فزعم لنا أنك تزعم أن الله تعالي أرسلك قال صدق قال فمن خلق السماء قال الله قال فمن خلق الارض قال الله قال فمن نصب هذه الجبال وجعل فيها ما جعل قال الله قال فبالذى خلق السماء وخلق الارض ونصب هذه الجبال آلله أرسلك قال نعم قال وزعم رسولك أن علينا خمس صلوات في يومنا وليلتنا قال صدق قال فبالذي أرسلك آلله أمرك بهذا قال نعم قال وزعم رسولك أن علينا زكاة فى أموالنا قال صدق قال فبالذى أرسلك آلله أمرك بهذا قال نعم قال وزعم رسولك أن علينا صيام شهر رمضان فى سنتنا قال صدق قال فبالذي أرسلك آلله أمرك بهذا قال نعم وزعم رسولك أن علينا حج البيت من استطاع اليه سبيلا قال صدق قال ثم ولى وقال والذى أرسلك بالحق نبيا لا أزيد عليهن ولا أنقص منهن فقال ﷺ لئن صدق ليدخلن الجنة . وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يقول ان بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة كفارة لما بينهن اذا اجتنبت الكبائر وروى أن رسول الله ﷺ أخذ غصنا يابسا فهزه حتي تساقط ورقه فتبسم فقيل ما يضحكك يا رسول الله قال ان العبد المسلم اذا توضأ وضوءه للصلاة ثم صلى الصلوات الخمس تساقطت عنه ذنوبه كما يتساقط هذا الورق * وفى الصحيح عن رسول الله ﷺ انه قال خمس صلوات فرضهن الله عز وجل من أحسن وضوءهن وصلاهن لوقتهن وأتم ركوعهن وخشوعهن كان له عند الله عهد أن يغفر له ومن لم يفعل فليس له عند الله عهدا ان شاء غفر له وان شاء عذبه وقال ﷺ انما مثل الصلاة كمثل نهر عذب غمر بباب أحد كم يقتحم فيه كل يوم خمس مرات فما ترون ذلك يبقى من درنه (وروى)

مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ صلاة الرجل فى جماعة تزيد على صلاته فى بيته وصلاته فى سوقه بضعا وعشرين درجة وذلك أن أحدهم اذا توضأ فأحسن الوضوء ثم أتي المسجد لا ينهزه الا الصلاة لا يريد الا الصلاة فلم يخط خطوة إلا رفعه الله بها درجة وحط عنه بها خطيئة حتي يدخل المسجد فاذا دخل المسجد كان فى صلاة ما كانت الصلاة تحبسه والملائكة يصلون على أحدكم مادام في مجلسه الذى صلى فيه يقولون اللهم ارحمه اللهم اغفر له اللهم تب عليه مالم يؤذ فيه مالم يحدث فيه وعن عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول من صلي العشاء فى جماعة فكأنما قام نصف الليل ومن صلى الصبح فى جماعة فكأنما صلى الليل كله وفى الحديث من فاته ورده بالليل فصلاه قبل الظهر فكأنما صلاه فى وقته وروي عنه ﷺ أنه قال من صلى ست ركعات بعد المغرب عدلت عبادة سنة ومن صلى عشر ركعات بني له قصرا فى الجنة * وروى عنه ﷺ أنه قال ما تقرب العبد الي الله عز وجل بشيء أفضل من سجود خفى مامن مسلم يسجد لله سجدة الا رفعه الله بها درجة وحط عنه خطيئة وفى الحديث أقرب مايكون العبد من الله اذا كان ساجدا وقال سعيد بن المسيب من جلس في المسجد فكأنما يجالس الله فما حقه أن يقول إلا خيرا وكان بكر بن عبد الله يقول من مثلك يا ابن آدم كلما أردت الدخول على ربك توضأت ودخلت المسجد وخاطبت مولاك فأجابك ولباك ويقال أركان الدين أربعة صحة العقد وصدق القصد والوفاء بالعهد وحفظ الحد فصحة العقد الاعتقاد الصحيح السالم من التشبيه والتعطيل فى صفات الله عز وجل وصدق القصد اخلاص العمل لله تعالى والوفاء بالعهد أداء فرائض الله تعالى وحفظ الحد اجتناب محارم الله تعالى وفى الحديث مامن مسلم قرب وضوءه وتمضمض واستنشق وغسل وجهه كما أمره الله تعالي وغسل يديه الى مرفقيه ومسح برأسه وغسل قدميه الي كعبيه ثم صلي فحمد الله تعالى وأثني عليه ومجده بالذي هو له أهل وفرغ قلبه لله إلا انصرف من خطيئته كيوم ولدته أمه وفى بعض كتب الله تعالى المنزلة عبدي مابال الرجل يجلس اليك فيحدثك فتصغي اليه فاذا كلمك متكلم أومأت اليه اعظاما لجليسك وتقف فى الصلاة بين

يدي وقلبك مع غيري أمن الانصاف هذا أن ترضي لي مالا ترضى لغيري عبدي لا تفعل يا عبدى أما تستحي مني يأتيك كتاب من بعض اخوانك وأنت في الطريق تمشي فتعدل عن الطريق وتقعد لأجل قراءته وتقرؤه وتدبره حرفا حرفا حتي لا يفوتك شيء منه وهذا كتاب أنزلته اليك أنظر كم أوصلت اليك فيه من القول وكم كررت عليك فيه لتتأمل طوله وعرضه ثم أنت معرض عنه أفكنت أهون عليك من بعض اخوانك ياعبدى يقعد اليك بعض اخوانك فتقبل عليه بكل وجهك وتصغي الى حديثه بكل قلبك فان تكلم متكلم أوشغلك شاغل عن حديثه أومأت اليه ان كف وها أنا مقبل عليك ومخاطب لك وأنت معرض بقلبك عنى أفجعلتني أهون عندك من بعض اخوانك عبدي لا تفعل * وكان أبو بكر رضى الله تعالى عنه اذا حضرت الصلاة يقول يا بني آدم قوموا الي ناركم التي أوقدتموها فاطفؤها * وروى أن داود عليه الصلاة والسلام قال إلهى من يسكن بيتك وممن تقبل الصلاة فأوحي الله اليه ياداود انما يسكن بيتي وأتقبل الصلاة ممن تواضع لعظمتى وقطع نهاره بذكرى وكف عن الشهوات من أجلي يطعم الجائع ويؤوي الغريب ويرحم المصاب فذلك الذى يضىء نوره فى السماء كالشمس ان دعانى لبيته وان سألنى أعطيته أجعل له فى الجهالة حلما وفى الغفلة ذكرا وفى الظلمة نورا انما مثله فى الناس كالفردوس فى الجنان لا تيبس أنهارها ولا تتغير ثمارها وفى الصحيح يقول الله عز وجل ماتقرب الى عبدى بافضل من أداءماافترضته عليه ولايزال العبد يتحبب الى بالنوافل حتي أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به فبي يسمع وبى يبصر وفي الصحيح سبعة يظلهم الله يوم القيامة فى ظله يوم لا ظل إلا ظله إمام عادل وشاب نشأ في عبادة الله عز وجل ورجل قلبه معلق بالمسجد اذا خرج منه حتى يعود اليه ورجلان تحابا فى الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه ورجل دعته امرأة ذات حسب وجمال فقال انى أخاف الله رب العالمين ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتي لا تعلم شماله ماأنفقت يمينه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه وقد أمر الله المؤمنين بحفظ أركان الاسلام فقال تعالى ياأيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم أى ياأيها الذين آمنوا صدقوا بقلوبكم واعبدوا الله بجوارحكم وافعلوا الخير من جميع

أبواب البر وجاهدوا في الله حق جهاده أي جاهدوا أعداءكم وأهواءكم فى طاعة الله تعالى هو اجتباكم أى اختاركم واختصكم بالايمان والاسلام وماجعل عليكم في الدين من حرج أي ما كلفكم شيئا فى مضيق تعجزعنه طاقتكم وقال ابن عباس ماجعل عليكم في الدين من حرج هو ان الله سبحانه وتعالي جعل التوبة مقبولة فارتفع الحرج بذلك ملة أبيكم ابراهيم أى وسع عليكم فى ملتكم كما وسع ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين معناه ان الله تعالى سماكم المسلمين من قبل فى اللوح المحفوظ وفي كتب الله عز وجل المتقدمة وفى هذا أي وفي القرآن ليكون الرسول شهيدا عليكم شهيدا لمن آمن وعلى من أنكر وتكونوا شهداء للرسل على الأمم فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله أى اعتمدوا علي الله تعالي فى مهماتكم ومجاريكم لا علي أعمالكم هو مولاكم أى ناصركم فنعم المولى أي متولى الامور بلطفه ونعم النصير وقد سمى الله تعالي الايمان رحمة فقال وآتانى رحمة من عنده أى الايمان وسمى الاسلام رحمة فقال يدخل من يشاء فى رحمته أي الاسلام وسمي القرآن رحمة فقال وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمه للمؤمنين وسمى التوفيق رحمة فقال تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته مازكي منكم من أحدا أبدا أي التوفيق وسمي الرسول رحمة فقال وماأرسلناك الا رحمة للعالمين وسمى المطر رحمة فقال تعالى وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته وقال فانظر الى آثار رحمة الله كيف يحيي الارض بعد موتها فأثر المطر حياة النبات وأثر الايمان التبات على الخيرات وأثر الاسلام إقامة الصلوات وأداء الزكوات والقيام بالواجبات وأثر القرآن حب المناجاة وايثار الخلوات وترك الشكايات من الضر والفاقات وأثر التوفيق فعل الطاعات وترك السيئات وأثر الرسول ايثار أمره واتباع سنته في جميع الحالات أرض حرمت المطر فنفعها قليل قلب حرم الايمان فموته طويل بدن لا يستعمل فى الاسلام عريان عليل لسان لا يقرأ القرآن فهو كليل عامل لا يجد التوفيق فالعمل منه مستحيل مذنب لا تلحقه شفاعة المصطفي فهو حقير ذليل فاذا رأيت أرض ميتة فاعلم ان الله تعالى لم يرسل اليها رحمته واذا رأيت قلبا غافلا عن النية والاحسان فاعلم انه لم يصل اليه آثار الايمان واذا رأيت بدنا تهاون في اداء المكتوبة فاعلم ان آثار الاسلام

عنه محجوبة واذا رأيت حامل القرآن مصرا على العصيان فاعلم أنه من أهل الحرمان والخذلان يلعنه في قلبه نور القرآن واذا رأيت انسانا مصروفا عن التحقيق فاعلم أنه لم يصل اليه أثر التوفيق واذا رأيت عبدا ملازما للجفا مفرطا فى الوفا فأين بركة إتباع المصطفى فنسأل الله تعالي أن يحي قلوبنا بغيث رحمته ويرزقنا التوفيق للقيام بخدمته ويجعلنا من خيار أمة المصطفى المتبعين لسنته ولا يخالف قلوبنا عن طريقته إنه الرحيم التواب الكريم الوهاب

الفصل التاسع والعشرون في فضل أمة محمد صلى الله عليه وسلم

الحمد لله الذي خلق كل شيء فقدره وعلم مورد كل مخلوق ومصدره وأثبت فى أم الكتاب ماقضاه وسطره فلا مؤخر لما قدمه ولا مقدم لما أخره المنفرد بالقدم والبقاء والعز والكبرياء فالعقول عن ادراكه قاصرة والالسن عن احصاء ثنائه مقصرة القدوس الصمد الواحد الأحد فلا مشارك له فيما أبدعه وفطره الحى العليم القدير السميع البصير اللطيف الخبير فلا يخفي عنه ماأسره العبد وأضمره المتكلم بكلام قديم أزلي أنزله تذكرة فمن شاء ذكره فى صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بأيدى سفرة كرام بررة تبا لمن جحد صفات الكمال وعارض القرآن بالجدال فما أكفره وسحقا لمن شبه ومثل لقد ابتدع بدعة منكرة وطوبى لمن وقف حيث أوقفه مولاه ولم يتعد ما بلغه الرسول وأخبره فشمس الكتاب والسنة طالعة مشرقة ليس دونها سحاب ولا غبرة لكن بقيت قسمة المالك الذى أعمى من شاء وهدى من شاء وبصره خلق آدم من طين وصوره وبوأه دار كرامته حتى استزله الشيطان بأكل الشجرة فأخرجه من الجنة ثم اجتباه وتاب عليه وجبره ورفع ادريس مكانا عليا وكان كلما تنفس سبح الله وذكره وأرسل نوحا بعد فتره وأطال عمره واستجاب دعاءه فى إهلاك من كذبه وكفره وأهلك عادا بالريح ونجى هودا ونصره ودمر ثمود بالصيحة وسلم صالحا لما بلغ ماأمره واتخذ ابراهيم خليلا وأهلك عدوه نمرود ودمره ونجى لوطا وخسف بقومه فديارهم بحيرة مشتهرة ورزق الخليل ابراهيم اسحق بعد الكبر ووعده بيعقوب وبشره وفدى اسماعيل من الذبح لما استسلم واجمل مصطبره ورد بصر يعقوب عند قميص حبيبه حين

بشره وأخرج يوسف من السجن ثم ملكه وأمره وكلم موسى تكليما ونصره على فرعون وأظهره وعافى أيوب بعد ان ابتلاه وصبره وأعطى داود الرسالة والملك لما قتل جالوت اذرى حجره ومكن سليمان فى الارض فغلب كل جبار وقهره ورفع عيسى الى السماء ووعده بقتل الدجال وادخره وختم الأنبياء والمرسلين بسيد الأولين والآخرين محمد خاتم النبيين فاجتباه واصطفاه وطهره وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة (أحمده) على ما أولي من خير ويسره وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له اطلع على عمل المسيء وستره وقبل توبة العاصي فعفا عن ذنبه وغفره * وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي أوضح به سبيل الهدى ونوره ﷺ وعلى آله وأصحابه صلاة دائمة تبلغهم بها شرق الدنيا والآخرة آمين (فى قول الله عز وجل وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) أمة محمد ﷺ خير الامم ونبيها خير الأنبياء ووسط الشيء خياره وواسطة العقد جوهرته الكبرى وقد روى ان الرسل يسئلون عن البلاغ فيدعون البلاغ فينكر الكافرون من قومهم فيقولون ما بلغونا شيأ فتشهد عليهم أمة محمد ﷺ بما فى القرآن ويشهد بتصديقهم النبي ﷺ وقد سمى الله تعالى هذه الأمة صالحين قال تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادالصالحون وهي كل أرض فتحها المسلمون كالحجاز والعراق والشام ومصر وغيرها وقيل يعنى أرض الجنة وقال ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين ووصفهم بالفلاح فقال تعالى قد أفلح المؤمنون ووصفهم بالخير فقال تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس أى كنتم فى علم الله تعالى وفى اللوح المحفوظ خير الامم وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال أنتم تتممون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله عز وجل وقال أبو هريرة رضي الله عنه نحن خير الناس للناس نسوقهم بالسلاسل الى الاسلام ووصفهم بالعدالة فقال لتكونوا شهداء على الناس . وقال وهب بن منبه لما قرأ موسى عليه الصلاة والسلام الألواح وجد فيها فضيلة امة محمد ﷺ قال يارب من هذه الامة المرحومة التي اجدها في الألواح قال هى أمة محمد يرضون مني باليسير أعطيهم إياه وأرضي منهم باليسير من العمل أدخلهم الجنة بشهادة أن لا إله إلا الله قال فانى أجد فى الألواح امة يحشرون يوم القيامة وجوههم على صورة القمر ليلة البدر

فاجعلهم أمتي قال هي أمة محمد أحشرهم يوم القيامة غرلا محجلين قال يارب انى أجد في الألواح أمة أزودتهم على ظهورهم وسيوفهم على عواتقهم أصحاب رؤوس الصوامع يطلبون الجهاد بكل أفق حتي يقاتلوا الدجال فاجعلهم أمتى قال هى أمة أحمد قال يارب انى أجد في الألواح أمة يصلون في اليوم خمس صلوات في خمس ساعات من النهار والليل تفتح لهم أبواب السماء وتنزل عليهم الملائكة فاجعلهم أمتي قال هى أمة أحمد قال يارب انى أجد في الألواح أمة الارض لهم مسجد وطهور وتحل لهم الغنائم فاجعلهم أمتى قال هم أمة أحمد قال يارب انى أجد فى الألواح أمة يصومون لك شهر رمضان فيغفر لهم ما كان قبل ذلك فاجعلهم أمتى قال هم أمة أحمد قال يارب انى أجد في الألواح أمة يحجون لك البيت الحرام لا يقضون منه وطرا يعجون اليك بالبكاء عجيجا ويضجون بالبكاء ضجيجا فاجعلهم أمتى قال هم أمة أحمد قال يارب فما تعطيهم على ذلك قال أزيدهم المغفرة وأشفعهم فيمن وراءهم قال يارب انى أجد في الالواح أمة سفهاء قليلة أحلامهم يعلفون البهائم ويستغفرون من الذنوب يرفع أحدهم اللقمة الي فيه فلا تستقر فى جوفه حتي يغفر له يفتتحها باسمك ويختتمها بحمدك فاجعلهم أمتى قال هم أمة أحمد قال يارب انى أجد فى الألواح أمة هم السابقون يوم القيامة وهم الآخرون من الخلق اجعلهم أمتي يارب قال هى أمة أحمد قال يارب اني أجد في الألواح أمة أناجيلهم فى الصدور يقرؤونها فاجعلهم أمتي قال تلك أمة أحمد قال يارب اني أجد فى الالواح أمة اذا هم أحدهم بحسنة يعملها فلم يعملها كتبت له حسنة واحدة وان عملها كتبت له عشر أمثالها الى سبعمائة ضعف رب فاجعلهم أمتي قال تلك أمة أحمد قال يارب انى أجد في الالواح أمة اذا هم أحدهم بالسيئة ثم لم يعملها لم تكتب عليه وان عملها كتبت عليه سيئة واحدة فاجعلهم أمتي قال تلك أمة أحمد قال يارب اني أجد في الالواح أمة هم خير الناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فاجعلهم أمتي قال تلك أمة أحمد قال يارب انى أجد فى الالواح أمة يحشرون يوم القيامة على ثلاث ثلل ثلة يدخلون الجنة بغير حساب وثلة يحاسبون حسابا يسيرا وثلة يمحصون ثم يدخلون الجنة فاجعلهم أمتي قال تلك أمة أحمد قال يارب بسطت هذا الخير لأحمد وأمته فاجعلني من أمته قال الله تعالي ياموسى انى اصطفيتك على الناس

برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين . وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله ﷺ يوما لاصحابه ما تقولون فى هذه الآية وما كنت بجانب الطور اذ نادينا فقالوا الله ورسوله أعلم فقال لما كلم الله موسي عليه الصلاة والسلام قال يارب هل خلقت خلقا أكرم عليك مني اصطفيتني على البشر وكلمتني بطور سيناء فقال ياموسى أما علمت أن محمدا أكرم على من جميع خلقي واني نظرت فى قلوب عبادى فلم أجد قلبا أشد تواضعا من قلبك فلذلك اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامى فمت على التوحيد وعلى حب محمد ﷺ قال موسى فهل في الامم أكرم عليك من أمتى ظللت عليهم الغمام وأنزلت عليهم المن والسلوى فقال الله تعالى ياموسي أما علمت ان فضل أمة محمد على سائر الامم كفضلى على جميع خلقى قال موسي أفأراهم قال لن تراهم لكن ان أحببت أن تسمع كلامهم فعلت قال فاني أحب ذلك قال الله تعالى ياأمة محمد فاجابوا كلهم بصيحة واحدة يقولون لبيك اللهم لبيك وهم فى أصلاب آبائهم ثم قال تعالى صلاتي عليكم ورحمتى سبقت غضبي وعفوي سبق عذابى واني غفرت لكم قبل أن تستغفروني واستجبت لكم قبل أن تدعوني وأعطيتكم قبل أن تسألوني فمن لقيني منكم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله غفرت له ذنوبه فاراد الله أن يمن على بذلك فقال وما كنت بجانب الطور إذ نادينا أمتك . وعن كعب الاحبار رضى الله عنه قال وجدت في التوراة ان أمة محمد ﷺ يصلون صلاة الفجر يسبحون ويهللون فلهم ثواب الانبياء ووجدتهم مع كل واحد منهم قضيب من نور وهو الاسلام ووجدتهم ينظرون يوم القيامة الى ربهم ووجدتهم يمشون على الارض يستغفر لهم ووجدتهم يصلون كل يوم خمس صلوات ولهم بكل ركوع وسجود مغفرة ووجدتهم ان الرجل يخر ساجدا فلا يرفع رأسه حتى يغفر له ووجدتهم ان الجنة تشتاق اليهم كل يوم خمس مرات عند مواقيت الصلاة ووجدتهم يصومون كل سنة شهرا وهو شهر رمضان فيعطون بكل يوم مباعدة مسيرة خمسمائة عام من النار ووجدتهم طوبي لهم وحسن مآب ووجدتهم ان الموت كفارة لذنوبهم وان الحمى وردهم من النار ووجدتهم ان من فعل تطوعا منهم فله اجر من أدي فريضة من سواهم ووجدتهم يحجون البيت حج آدم ويستنون بسنة ابراهيم فيعطون شفاعة آدم وخلة ابراهيم ووجدتهم يزكون فى كل سنة فلهم بالزكاة زيادة فى أعمارهم واموالهم

وقال وهبه بن منبه قرأت في بعض كتب الله المنزلة أنى باعث رسولا من الأميين ليس ولا
بفظ ولا غليظ ولا صحاب فى الاسواق ولا قوال بالهجر والخني أسدده لكل جميل وأهب
له كل خلق كريم وأجعل السكينة على لسانه والتقوى ضميره والحكمة منطقه والصدق
والوفاء طبيعته والعفو والمعروف خلقه والحق شريعته والعدل سيرته والاسلام ملته
وأرفع به من الوضيعة وأغنى به من العيلة وأهدي به من الضلاله وأؤلف به بين قلوب
متفرقة واهواء مختلفة واجعل أمته خير الامم ايما نابى وتوحيدالى واخلاصا بما جاء به
رسولي الهمهم التسبيح والتحميد والتمجيد فى مساجدهم وصلواتهم ومتقلبهم ومثواهم
يخرجون من ديارهم وأموالهم ابتغاء مرضاتى يقاتلون فى سبيلى صفوفا ويصلون لي قياما
وركوعا وسجودا قربانهم دماؤهم وأناجيلهم فى صدورهم يكبروننى على كل شرف
رهبان الليل أسد النهار ذلك فضلي أوتيه من اشاء وأنا ذو الفضل العظيم . وفى بعض
كتب الله المنزلة أنا الله الذي لا أله إلا إنا وحدي لا شريك لي محمد المختار عبدى ورسولي
أمته الحمادون رعاة الشمس فيهم صلاة لوكانت فى قوم نوح ماهلكوا بالطوفان ولو كانت
في قوم عاد ماهلكوا بالريح ولو كانت فى قوم ثمود ماهلكوا بالصيحة واعلم ان الله اختار
أمة محمد على سائر الامم وخيار الأمة علماؤها وأعلم هذه الأمة أصحاب رسول الله ﷺ
لصحبة النبي ﷺ ومشاهدة الوحى والتنزيل ثم خيار كل قرن علماؤها قال الله تعالي
قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال تعالى ومن يؤت الحكمة فقد أوتي
خيرا كثيرا والحكمة العلم قال الله تعالى واذكرن مايتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة
قال الامام مالك رحمه الله الحكمة الفقه في الدين ولين فى القلب من خشية الله تعالي وقال
أيضا فى وصيته للامام الشافعى رحمه الله تعالى ان الله تعالى قذف في قلبك نورا فلا
تطفئه بظلم الذنوب وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال فضل العالم على العابد كفضلى
على أدنى رجل منكم بين العالم والعابد سبعون درجة بين كل درجتين مسيرة مائة عام
من غدا للعلم يتعلمه فتح الله له به طريقا الى الجنة وصلت عليه ملائكة السماء
وحيتان البحر وللعالم من الفضل على العابد كفضل القمر ليلة البدر علي سائر
الكواكب والعلماء ورثة الأنبياء : مثل العلماء فى الارض كمثل النجوم فى
السماء يهتدى بها ان لله تعالى عند كل بدعة كيد بها الاسلام وأهله وليا يذب

عنه اذا كان يوم القيامة جمع الله تعالى العلماء على صعيد واحد وقال لهم اني لم أستودعكم حكمتي وأنا أريد أن أعذبكم ادخلوا الجنة برحمتي يشفع يوم القيامة ثلاثة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء مامن مؤمن يتعلم حرفا من العلم مما يحتاج اليه الا غفر له قبل أن يقوم من عند العالم وفي الحديث أيضا النظر فى وجه العالم عبادة من أضاف عالما كان فى ظل عرش الله يوم القيامة والعالم من علم كتاب الله تعالى وسنة رسوله فكان إماما يقتدي به فى معرفة الله ومعرفة أحكام الله تعالى ولا يجوز الاقتداء بالعالم الا أن يكون مؤديا لفرائض الله تعالى مجتنبا لمحارم الله تعالى محافظا على دين الله تعالى قال عيسى عليه الصلاة والسلام من علم وعمل وعلم فذلك يدعى عظيما فى ملكوت السماء * وفى الصحيح أن رسول الله ﷺ قال ان الله لا ينزع العلم بعد أن أعطاكموه انتزاعا ولكن ينزعه بقبض العلماء فتبقى ناس جهال يستفتون فيفتون برأيهم فيضلون ويضلون وقال ﷺ قبل الساعة سنون خداعات يصدق فيهن الكاذب ويكذب فيهن الصادق ويخون فيهن الأمين ويؤتمن فيهن الخائن وينطق فيهن الرويبضة يعني الجاهل وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لكعب الاحبار رضى الله عنه ماأخوف مايخاف على أمة محمد ﷺ قال أئمة مضلون فقال صدقت بذلك أسر الي رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى الصحيح من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من حفظ القرآن فكأنما أدرجت النبوة بين جنبيه إلا أنه لا يوحى اليه . وقال الفضيل حامل القرآن حامل راية الاسلام فلا ينبغى أن يلهو مع من يلهو ولا يسهو مع من يسهو تعظيما لحق القرآن وروى عن رسول الله صلي الله عليه وسلم أنه قال ماعبد الله بشيء أفضل من فقه فى الدين ولفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد وقال رجل لأبي هريرة رضى الله تعالى عنه اني أريد أن أتعلم العلم وأخاف أن أضيعه ولا أعمل به فقال كفى بتركك له تضييعا ويقال العاقل اذا أحبك بذل جهده فى المودة والنصرة واذا أبغضك رفع عن الظلم قدره واذا أحسنت اليه اعترف وشكر وان أسأت اليه ستر واعتذر وغفر والاحمق اذا قربته تكبر واذا أبعدته تكدر وكلما رفعت من قدره درجة انحط من قدرك عنده درجة . ويروى عن سليمان بن داود عليه الصلاة والسلام أنه قال ماارتدى العبد برداء أفضل وأجمل من رداء

العقل ان انكسر جبره وان صرع أنعشه وان زل عمده وان زل أعزه وان أعوج أقامه وان عثر رفعه وان افتقر أغناه وان انكشف ستره وان أقام عند قوم اغتبطوا به وان غاب اشتاقوا اليه وان نطق قالوا بليغ وان سكت قالوا لبيب وان أنفق قالوا جواد وان أمسك قالوا مقتصد وان وعظ أحدا قالوا ناصح وان سكت عنه قالوا شفيق وان أفطر قالوا معذور وان صام قالوا مجتهد فالعقل رأس الايمان به يتفاضل لأهل الدنيا في دنياهم وأهل الجنة فى درجاتهم والعاقل اذا أخطأ رجع واذا أساء أحسن والعقل يرد صاحبه الى خير العواقب * وقال على بن موسى رضى الله عنه أعظم الرزايا موت العلماء وكان ذوالنون رحمه الله تعالى يقول آه آه ثم آه تعطلت الطرق وقل السالكون وهجرت الاعمال وقل الراغبون واندرس هذا الامر فلن تراه إلا على لسان كل بطال ينطق بالعلم ويفارق العمل افترش الرخص ومهد التأويل واعجبا من كل عالم عليم وناطق حكيم كيف سكنت قلوبهم الى الدنيا وانقطعت عن ملكوت السماء . وقال سفيان الثورى كانوا يتعوذون بالله تعالى من فتنة العالم الفاجر وفتنة العابد الجاهل فان فتنتهما فتنة لكل مفتون * قيل لابراهيم بن عيينة أي الناس أطول ندامة قال أما فى الدنيا فصانع المعروف الى من لا يشكره وأما في الآخرة فعالم مفرط «شعر»

ياعالما أنت الأمير وليس من * شأن الجبان سياسة الابطال
يا أعمشا تبرى العيون بكحلة * ياخيبة للأعمش الكحال

قال الله تعالى انما يخشي الله من عباده العلماء يعني انما يخشي الله من كان عالما به عارفا بجلاله وسطوته يامعشر العلماء أين خشية الله يامعشر الفقراء أين الرأفة والرحمة ليس العالم من ضيع الايام بتزويق الكلام وجمع الحطام والتكالب على الحرام انما العالم من هجر الانام وترك الآثام وقام في جنح الظلام والتذ بأشرف الكلام فنسأل الله تعالى أن يلهمنا رشدنا ويحقق قصدنا ويوقظنا من غفلتنا ويلحقنا بعباده الصالحين ويحشرنا في زمرة المتقين انه أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الفصل الثلاثون في الدعاء

الحمد لله العظيم السلطان العميم الاحسان الحليم المنان الاول قبل كل مكان وزمان الآخر الباقي وكل من عليها فان القدوس فلا يوصف بعوارض الاجسام ولا يعتريه تغير الحدثان الواحد الاحد فمن ادعي معه إلها آخر فقد ادعي ماليس له عليه برهان الحى العليم السميع البصير فسواء عنده السر والاعلان المدبر القدير فبقدرته وإرادته جميع الآثار والاعيان المتكلم بكلام قديم أزلي تكلم فى الازل بالقرآن صفاته قديمة ثابتة بالادلة فمن عطل فهو فى تيه وضلال حيران ليس كمثله شيء ومن شبه فقد مال الى عبادة الاصنام والاوثان جلى العلي الاعلى عما يصوره الوهم فقد كبرت كلمة المشبهين فى الوزر وخفت فى الميزان قسم عطاءه بين خلقه فكتب في قلوب السعداء الايمان ونور قلوب العارفين بطلوع شمس العرفان وعجل لهم من نسيم قربه روضة نضرة ذات روح وريحان وتلقاهم بالتحية والسلام يوم لقائه ففازوا بالامان وقوم ربطهم عن رياض المعرفة بقيد الخذلان وسجن أسرارهم عن الجولان فى بستان النظر في آلائه فهم في سجن الحرمان فلا سبيل ولا وصول لهم الي هذا الميدان ولو أرادوا القرب وبذلوا فيه جهد الامكان لردتهم السابقة الأزلية وناداهم منادى القسمة ارجعوا فما لكم هنا مكان فبكاؤهم لا ينفع وندآؤهم لا يرفع فشتان ما بين الطائفتين فشتان مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان * أحمده وهو أهل الحمد والامتنان وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إله تفرد برأفته الى قلوب عباده وهو المهيمن الرحمن واشهد ان محمدا عبده ورسوله الذي اجتباه من اشرف قبائل مضر بن نزار بن معد بن عدنان صلى الله عليه وسلم وعلى آله واصحابه الذين اتبعوهم باحسان (فى قول الله عز وجل واذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بي لعلهم يرشدن) روي ان قوما لما نزل قوله تعالى ادعوني أستجب لكم قالوا يا رسول الله في أي وقت ندعو الله وقال قوم أقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فانزل الله تعالى واذا سألك عبادى عنى فانى قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان واذا سألك عبادي عن ذاتي فأنا الموجود من غير موجد لا يدركني كيف ولا يحيط بى أين ولا يصفني ما

ولا يلحقني مني وان سألوك عن صفاتى فالعلم والحياء والقدرة والسمع والبصر والارادة والكلام صفاتى قديمة لا يدركها الاوهام وان سألوك عن أفعالى فكل يوم هو في شأن أقرب وأبعد وأشقي وأسعد وأحيي وأميت وأغفر لمن شئت وأعطي وأمنع وأخفض وأرفع واذا سألوك عن الدلالة على فالدلالة على عجيب تدبيرى ومحكم آياتى وبديع تقديرى في مخلوقاتى واذ سألوك عن قربى منهم فانى قريب بالقدرة والنصرة والرحمة والنعمة والعلم والحلم أجيب دعوة الداع اذا دعان ان دعانى لضر كشفت وان دعانى لحاجة قضيت وأسعفت وان دعانى لمرض شفيت وان دعاني لهم كفيت وان دعانى لرزق أطعمت وأرويت وان دعانى لدين أديت وان دعانى لعيب أصلحت وان دعانى لذنب غفرت وصفحت وان دعانى لتوبة تقبلت وان دعانى لنقص كملت ان أطاعونى أحسنت اليهم وان عصوني سترت عليهم وان أدبروا عني ناديتهم وأن قبلوا أدنيتهم وان سألوا أعطيتهم وفى بعض كتب الله المنزلة ياعبدي اذا سألت فاسألنى فاني غنى واذا طلبت النصرة فاطلبها مني فانى قوى واذا أفشيت سرك فأفشه الي فانى وفي واذا أقرضت فاقرضنى فانى ملىء وفى واذا دعوت فادعني فانى حفي «شعر»

سبحان من لا يخيب من قصده * من قصد الله صادقا وجده

قد شمل الخلق بفضل نعمته * كل الي فضله يمد يده

قال ابن عطاء الله للدعاء أركان وأجنحة وأوقات وأسباب فان وافق أركانه قوى وان وافق أجنحته ارتفع وان وافق أوقاته فاز وان وافق أسبابه نجح فاركانه حضور القلب مع الله تعالي والخشوع لله والحياء من الله ورجاء كرم الله وأجنحته الصدق وأكل الحلال وأوقاته أوقات الفراغ والخلوة كالاسحار وأسبابه الصلاة على النبي ﷺ فان الدعاء لا يرد اذا كان قبله وبعده الصلاة على النبي ﷺ * روى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال يقول الله عز وجل أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه اذا دعانى وعنه قال قال رسول الله ﷺ يا أيها الناس ان الله طيب لا يقبل إلا طيباً وان الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وقال يا أيها الذين آمنوا كلوا من الطيبات مارزقناكم ثم ذكر الرجل

يطيل السفر اشعث أغبر يمديده الى السماء يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام فأنى يستجاب له * وروى عن أبي هريرة أيضا عن النبي ﷺ انه قال لا يزال يستجاب للعبد مالم يدع باثم أو قطيعة رحم مالم يستعجل قيل يارسول الله ما الاستعجال قال تقول قد دعوت وقد دعوت فلم أر يستجاب لي فيستحصر عند ذلك ويدع الدعاء * وروي جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال ان في الليل ساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله تعالى خيرا من خيرى الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه وذلك في كل ليلة * وروى أبو هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال ينزل ربنا تبارك وتعالى فى كل ليلة الي السماء الدنيا حين يبقي ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فاستجب له من يسألنى فاعطيه من يستغفرنى فاغفر له ويجب على المؤمن اذا سمع هذا الحديث ان يعلم ان المراد به ترغيب الذاكرين والمجتهدين وتعريف الطالبين بكرم الله تعالى وان الله تعالى منزه فى ذاته وصفاته عن مشابهة المخلوقين ينزل بغير تشبيه ولا تكييف ولا تقدير ليس كمثله شيء وهو السميع البصير * وروى عن رسول الله صلي الله عليه وسلم أنه قال دعوة المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة عند رأسه ملك موكل كلما دعا لأخيه قال الملك الموكل به آمين ولك بمثل ذلك * وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب لا إله إلا الله العظيم الحليم لا إله إلا الله رب العرش العظيم لا إله إلا الله رب السموات ورب الارض ورب العرش الكريم * وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالي عنه قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم مامن مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم الا أعطاه الله احدي ثلاث اما أن يعجل له دعوته واما أن يدخرها له في الآخرة واما أن يكف عنه من السوء بمثلها * وروى سعيد بن أبى وقاص رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دعاء ذى النون اذا نزل باحدكم هم أو بلاء فدعا به فرج الله تعالي عنه لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين * وقال وهب بن منبه رحمه الله بلغني أن موسي عليه الصلاة والسلام مر برجل قائم يدعو ويتضرع طويلا وهو ينظر اليه قال موسي يارب أما تستجيب لعبدك فاوحى الله تعالى اليه ياموسي لو أنه بكى حتي تلفت نفسه ورفع يده حتي

تبلغ عنان السماء مااستجيب له فقال يارب لم ذلك قال لأن فى بطنه الحرام وعلى ظهره الحرام وفي بيته الحرام . ومر ابراهيم بن أدهم رضى الله عنه بسوق البصرة فاجتمع اليه الناس فقالوا له ياأبا اسحاق مالنا ندعوا فلا يستجاب لنا قال لان قلوبكم ماتت بعشرة أشياء الاول عرفتم الله تعالي فلم تؤدوا حقه . الثاني زعمتم أنكم تحبون رسول الله ﷺ وتركتم سنته . والثالث قرأتم القرآن ولم تعملوا به . والرابع أكلتم نعمة الله ولم تؤدوا اشكرها والخامس قلتم ان الشيطان عدوكم ووافقتموه والسادس قلتم ان الجنة حق ولم تعملوا لها . والسابع قلتم ان النار حق ولم تهربوا منها والثامن قلتم ان الموت حق ولم تستعدوا له . والتاسع اذا انتبهتم من النوم اشتغلتم بعيوب الناس ونسيتم عيوبكم . والعاشر دفنتم موتاكم ولم تعتبروا بهم . وكان يحي بن معاذ يقول من أقر لله باساءته جاد الله عليه بمغفرته ومن لم يمن على الله بطاعته أوصلته الى جنته ومن أخلص لله دعوته من الله عليه باجابته . وكان ذوالنون المصري رحمه الله تعالى اذا قام الى الصلاة يقول إلهي بأى رجل أمشي اليك أم بأى عين أنظر اليك أم بأي لسان أناجيك أم بأي يد أدعوك ولكن الثقة بكرمك حملتني على الجراءة وان العبد اذا ضاقت عليه حيلته قل حياؤه . وقال محمد بن خزيمة لما مات الامام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالي رأيته فى المنام وهو يتبختر فقلت أي مشية هذه فقال مشية الخدام فى دار السلام قلت مافعل الله بك قال غفر لى وتوجني وألبسني نعلين من ذهب فقال يااحمد هذا بقراءتك القرآن كلامي ثم قال ياأحمد ادعنى بتلك الدعوات التي بلغتك عن سفيان الثورى وكنت تدعو بها فى دار الدنيا فقلت يارب كل شىء بقدرتك على كل شيء اغفرلى كل شىء ولا تسألني عن شيء وقال ابن عباس رضي الله عنهما أصاب الناس جدب في زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال كعب الاحبار ياأمير المؤمنين ان بنى اسرائيل كان اذا أصابهم مثل هذا استسقوا بأقارب أنبيائهم فقال عمر هذا العباس عم النبي ﷺ ومشي اليه وسأله أن يستسقى للناس نخرج الناس ووقف عمر والعباس رضي الله عنهما فقال عمر اللهم ان هؤلاء عبيدك وبنو عبيدك وملك يديك أتوك راغبين متوسلين بعم نبيك خير الأنبياء فاسقنا سقيا نافعا يعم العباد والبلاد ولا تجعلنا من القانطين فقال العباس اللهم انه لاينزل بلاء الا بذنب ولا

يكشف الا بتوبة وهذه أيدينا مبسوطة اليك بالذنوب ونواصينا (٢) بالتوبة وقد توجه القوم بي لمكانى من نبيك ﷺ فاسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين ياأرحم الراحمين قال فارتجت السماء بمطر عظيم حتي ساوت الحفر والآكام

(فصول تفرع نختم بها هذا الكتاب)

إلهي تفضلت فعم افضالك وأنعمت فتم نوالك وسترت فتواصل غفرانك وغفرت فتكامل احسانك جل جلالك فتعالى وانهل نوالك فتوالي تعاليت فى دنوك وتقربت فى علوك فلايدركك وهم ولا يحيط بك فهم أنت الاول الآخر الباطن الظاهر تنزهت في أحديتك عن بداية وتعاظمت فى أبديتك عن نهاية أنت الواحد لامن عدد الباقي بعد الا بد لك خضع من ركع وذل من سجد وبك اهتدي من طلب ووصل من جد (إلهى) كيف يحيط بك عقل أنت خلقته أم كيف يدركك بصر أنت شققته أم كيف يدنو منك فكر أنت وفقته أم كيف يحصي الثناء عليك لسان أنت أنطقته اذا تلمحت عظمتك أبصار البصائر عادت بنور سلطانك كليلة واذا تجمعت عظائم الجرائم كانت فى جنب عفوك قليلة سبقت السبق فأنت الاول وخلقت الخلق فعليك المعول وعدت اذ جدت ياخير من تطول عجبا للقلوب كيف استأنست بسواك والارواح كيف استقرت والاسرار بنور البصائر تراك والألسن كيف شكرت من لا يقدر على شيء لولاك والاقدام كيف سعت الى غير رضاك (إلهى) كيف يناجيك فى الصلوات من يعصيك فى الخلوات لولا حلمك أم كيف يدعوك فى الحاجات من ينساك عند الشهوات لولا فضلك أم كيف تنام العيون وفى كل ليلة تقول هل من تائب هل من مستغفر هل من سائل أم كيف كفت الاكف عن سؤالك وسيل الجود سائل أم كيف ينقطع عنك من لم تقطع عنه الوسائل أم كيف يباع الباقى بالفاني وانما هي أيام قلائل اللهم ارزقنا حسن الاقبال عليك والاصغاء اليك والفهم عنك والبصيرة فى أمرك والنفاذ فى طاعتك والمواظبة على إرادتك والمبادرة الى خدمتك وحسن الادب فى معاملتك والتسليم اليك والرضا بقضائك

(٢) قوله ونواصينا بالتوبة هكذا بالاصل ولعله نواصينا خاضعة بالتوبة أونحو ذلك وليحرر

﴿ فصل ﴾ اللهم يا حبيب كل غريب . و يا أنيس كل كئيب أى منقطع اليك لم تكفه بنعمتك أم أى طالب لم تلقه برحمتك أم أى هاجر هجر فيك الخلق فلم تصله أم أى محب خلا بذكرك فلم تؤنسه أم أى داع دعاك فلم تجبه * و يروى عنك سبحانك أنت قلت وما غضبت على أحد كغضبي على مذنب أذنب ذنبا فاستعظمه في جنب عفوى اللهم يامن يغضب على من لا يسأله لا تمنع من قد سألك (إلهي) كيف تتجاسر على السؤال مع الخطايا والزلات أم كيف نستغني عن السؤال مع الفقر والفاقات أم كيف يجمل بعبد أبق عن باب مولاه ان يقف على الباب طالبا جزيل عطاياه انما ينبغي له طلب المغفرة والتعلق باذيال المعذرة لانك ملك كريم دللت بجودك عليك وأطلقت الالسنة بالسؤال لديك وأكرمت الوفود اذا ارتحلوا اليك (شعر)

اذا ارتحل الوفود اليك يوما * ولجوا فى الضراعة والسؤال
فان رحالنا حطت رجاء * لفضلك عن حلول وارتحال
أنخنا عند بابك يا الهي * اليك مفوضين بلا اعتلال
فسسنا كيف شئت ولا تكلنا * الى تدبيرنا ياذا الجلال

ياحبيب القلوب أين أحبابك يا أنيس المنفردين أين طلابك من ذا الذى عاملك فلم يربح من الذى التجأ اليك فلم يفرح ومن وصل الى بساط قربك واشتهي أن يبرح واعجبا لقلوب مالت الى غيرك ماالذي أرادت ولنفوس طلبت الراحة هلا طلبت منك واستفادت ولعزائم سعت الى مرضاتك ماالذى ردها فعادت هل نقصت أموال استقرضتها لاوحقك بل زادت سبق اختيارك فبطلت الحيل وجرت اقدارك فلا يغيرها العمل وتقدمت محبتك لاقوام قبل خلقهم في الازل وغضبت على قوم فلم ينتفع عاملهم بما فعل فلاقوة على طاعتك الاباعانتك ولاحول عن معصيتك الا بمشيئتك ولاملجأ منك الااليك ولاخير يرجي الا في يديك يامن بيده اصلاح القلوب أصلح قلوبنا يامن تتصاغر فى عفوه الذنوب إغفر ذنوبنا اللهم إنا قد أتيناك طالبين فلا ترد ناخائبين لم نزل الي باب جودك مائلين فأصلح كل قلب قسا فلا يلين واسلك بنا مناهج المتقين وألبسنا خلع الايمان واليقين بدروع الصدق فانهن يقين ولا تجعلنا ممن يعاهد على التوبة و يمين واجعلنا من فضلك من أهل اليمين برحمة منك

ياأرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وإمام المرسلين ﴿فصل﴾ إلهي لولا انك بالفضل تجود ما كان عبدك الى الذنب يعود ولولا محبتك للغفران ما أمهلت من يبارزك بالعصيان وأسبلت سترك على من أسبل ذيل النسيان وقابلت اساءتنا منك بالاحسان (شعر)

استغفر الله مما كان من زللى * ومن ذنوبى وتفريطي وإصراري

يارب هب لى ذنوبى يا كريم فقد * أمسكت حبل الرجا ياخير غفار

(إلهى) ماأمرتنا بالاستغفار الاوأنت تريد المغفرة ولولا كرمك ماالهمتنا المعذرة أنت المبتدىء بالنوال قبل السؤال والمعطي من الافضال فوق الآمال إنا لا نرجو الا غفرانك ولا نطلب الا إحسانك أدعوك بلسان أملي لما كل لسان عملي ان أطعتك رجوت احسانك وان عصينك رجعت اليك طالبا غفرانك (شعر)

أذنبت ذنبا عظيما * وأنت أعظم منه

ضيعت حظى بجهلى * فلم أصنه فصنه

ان لم أكن مستحقا * للعفو منك فكنه

اللهم انا نسألك برحمتك التي ابتدأت بها الطائعين حتى قاموا بطاعتهم أن تمن بها على العاصين بعد معصيتهم فانك المحسن بادئا وعائدا يا كريم (شعر)

أجل ذنوبى عند عفوك سيدى * حقير وان كانت ذنوبى عظائما

ومازلت غفارا وما زلت راحما * وما زلت ستارا على الجرائما

لئن كنت قد تابعت جهلى فى الهوى * وقضيت أوطار البطالة هائما

فها أنا قد أقررت يارب بالذي * جنيت وقد أصبحت حيران نادما

(الهي) أنت المحسن وأنا المسيء ومن شأن المحسن اتمام احسانه ومن شأن المسيء الاعتراف بعدوانه يامن أمهل وماأهمل وستر حتى كانه قد غفر أنت الغني وأنا الفقير وأنت العزيز وأنا الحقير اللهم انظر الينا نظر الرضاء ونحنا من ديوان أهل الجفاء واثبتنا فى ديوان أهل الصفاء وارزقنا على ماعهدنا حسن الوفاء واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم آمين

﴿فصل﴾ الهي لك بهاء الجلال فى انفراد وحدانيتك ولك سلطان العز فى دوام ربوبيتك بعدت على قربك أوهام الباحثين عن بلوغ صفاتك وتحيرت الباب العارفين

في جلالك وعظمتك (إلهي من أطمعنا فى عفوك وجودك وكرمك وألهمنا شكر نعمائك وأتي بنا الى بابك ورغبنا فيما عـدد ته لأحبابك هل ذلك كله إلا منك دللتنا عليك وجئت بنا اليك «شعر»

اليـك جئنا وأنت جئت بنا * وليس شيء سواك يغنينـا
بابك رحب فنــاؤه كرم * تؤوى الى بابك المسا كينا

(إلهي) الصبر جميل إلا عنك والأسف قبيح إلا ما فات منك (شعر)

إني رفعت اليـك قصـــة حائر * ورجوت فضلك عند آخر قصتى
لا فرج الله الصبـابة والهوى * عني ولا زالت عليـك محبتى

(إلهى) عودتني كريم نوالك عند سؤالك وأطمعني فى كثرة افضالك بنيل اقبالك سالتك فاعطيتني فوق منائي كم رجوتك فحققت رجائى (شعر)

وانى لأدعو الله والامر ضيق * على فما ينفك ان يتفرجا
ورب فتي سدت عليه وجوهه * أضاءت لها في دعوة الله مخرجا

(الهى) أسكرتنى الآمال حتي أنستني هجوم الآجال (الهى) أنت أعلم بي منى فبكمال جودك تجاوز عنى

مالك قلبي لابد منـك وان * أوحش بيني وبينك الزلل
عالم سري أنا الغريق فخـذ * كف غريق عليك يتـكل

(الهى) من لم تجبر كسره ما أطول فقره من لم تنعشه من كربته مات بشقوته واخيبة من طردته عن بابك واحسرة من أبعدته عن طريق أحبابك (الهى) ان كانت رحمتك للمحسنين فالى أين تذهب آمال المذنبين «شعر»

يا من يجيب دعا المضطر في الظلم * يا كاشف الضر والبلوى مع السقم
قد نام وفدك حول البيت وانتبهوا * وأنت يا حي يا قيوم لم تنم
ان كان جودك لا يرجوه ذو زلل * فمن يجود على العاصين بالـكرم
هب لى بجودك فضل العفو عن زلل * يا من اليه التجا الخلق فى الحرم

(اللهم) جللنا بسترك واعف عنا بكرمك وعاملنا بلطفك واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ فصـل ﴾ الهي ان كنا مقصرين فى حفظ حـدك والوفاء بعهدك فانت تعلم صـدقنا فى رجاء رفدك وخالص ودك يامن ظهرت معرفتـه للقلوب فلا يخفى وجوده وعم الخلائق كرمه وجوده يا أول فلا بداية لأزليتـه يا آخر فلا نهـاية لأبديته ياظاهر بمـا أبدع من أفعاله يا باطن فالعقول عاجزة عن وصف كماله يا قدوس فلاشبيه له يا واحـد لاشريك له خلقتنا مسـلمين فسلمنا من عـذابك وجعلتنا مؤمنين فآمنا من عقابك أعطيتنا الايمان قبل السؤال وهو أفضل ما نعطيه من النوال والـكريم لايرجع فى هبته والغنى لا يعود في عطيته اللهم اجعل الايمـان هادما للسيئات كما جعلت الـكفر هادما للحسنات اللهم ان عصيناك فنحن نحبك وان أطعنا ابليس فنحن نبغضه فاغفر لنا معصيتنا لك بحبنا فيك وتجاوز عن طاعتنا له ببغضنا فيه (الهى) ببابك أنخنا ولمعروفك تعرضـنا وبكرمك تعلقنا وبتقصـيرنا اعترفنا وأنت أكرم مسئول وأعظم مأمول— (شعر)

ببابك ربى قد أنخت ركائبي * ومالى من أرجوه ياخير واهب
فان جدت بالفضل الذى أنت أهله * فيا نجح آمالى بنيـل رغائبي
وان أبعدتني عن حماك خطيئتى * فياخيبة المسـعى وضيعة جانبي
حرام على قلبي وان شـفه الضنا * يميل الي خل سواك وصاحب
اذا لم أمت شوقا اليك وحسرة * عليك فمـا بلغت منك مآرب

اللهم ارحم عبادا غرهم طول امهالك وأطمعهم دوام افضالك ومدوا أيديهم الى كرم نوالك وتيقنوا أن لاغني لهم عن سؤالك

﴿ فصـل ﴾ اللهم ياحبيب التائبين ويا سرور العابدين ويا قرة أعين العارفين ويا أنيس المنفردين ويا حرز اللاجين ويا ظهر المنقطين ويا من حنت اليه قلوب الصديقين اجعلنا من أوليائك المتقين وحزبك المفلحين اللهم وان كانت ذنوبنا قطيعة فانا لم نرد بها القطيعة اللهم انا لا نبرح عن بابك فلا تعذبنا بأليم حجابك نحن ان لم نـكن كما أمرتنا فانت ذو عز وغني ونحن المساكين ان لم تـكن لنا الى من نلتجىء ان صرفتنا الي أين نذهب ان طردتنا بمن نتوسل ان حجبتنا من يقبل علينا ان أعرضت عنا (شعر)

تعطف بفضل منك يافاطر الورى * فانت ملاذي سـيدى ومعيني

لئن أبعدتني عن حماك خطيئتي * فان رجائى شافعى ويقيني
فظني جميل إننى بك واثق * وإن جميل العفو منك يقيني
ذكرت زمان الوصل فى روضة الرضا * فطال حنينى نحوه وأنيني
ورورقت دمع العين حتى كأنها * دموع دموعي لادموع جفونى

اللهم إنا نعبدك طوعا ونعصيك كرها ونخافك لانك عظيم ونرجوك لانك إله ونخافك لانا عبيد فلك حبينا ولنا خوفنا فارحمنا لكرم الربوبية ولضعف العبودية (إلهى) كيف تردنا الذنوب عن سؤالك ونحن الفقراء الى نوالك ها نحن قد أنخنا ببابك فتعطف علينا مع أحبابك كفانا عزا أن نكون لك عبيدا وكفانا شرفا أن تكون لنا ربا (إلهي) أنت لنا كما نحب فاجعلنا لك كما تحب (إلهي) كل فرح بغيرك زائل وكل شغل بسواك باطل السرور بك هو السرور والسرور بغيرك هو الغرور

﴿ شعر ﴾

فهنا بذكرك والظلماء عاكفة * فكان ياسيدى أحلي من السمر
يامن اذا قلت يامن لانظير له * فى عزه قيل لى ياأصدق البشر
عودتني الطول والاحسان ياأملي * فامنن بجودك ياسمعى ويابصري
أصبحت في حيرة لاأرتجى سببا * من أرتجيه وقلبي من سواك بري

(إلهي) حجتي حاجتي ووسيلتي فاقتى (شعر)

كفانى سبق علمك بى كفانى * وحسبي من سوائك أن ترانى
ولى في كل وقت منك سر * يبشر بالامان وبالامانى

اللهم إنك قبلت الوفاء من السحرة حين ذكروك مرة وسجدوا لك سجدة وإنا لم نزل مقرين بربوبيتك معترفين بوحدانيتك ماسجدنا قط الا بين يديك ولارفعنا حوائجنا الااليك (إلهى) جد علينا بفضلك وتغمدنا برحمتك وداركنا بلطفك وعاملنا برأفتك ووفقنا لخدمتك واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين انك أرحم الراحمين وصلي الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿فصل﴾ إلهى أين يذهب عنك من لايجد بدا منك وكيف لا يعتمد عليك من كل أموره في يديك إلهى ذنوبنا لهـا غاية وكرمك لاغاية له إلهى ان كنا لانقدر على

التوبة فأنت تقدر على المغفرة * إلهي قد أطعناك في أكبر الطاعات الايمان بك والافتقار اليك وتركنا أكبر السيآت الشرك بك والافتراء عليك فاغفر لنا ما بينهما ولا تخجلنا بين يديك * إلهي ان ذنوبنا صغيرة في جنب عفوك وان كانت كبيرة في جنب نهيك إلهي لو أردت إهانتنا لم تهدنا ولو أردت فضيحتنا لم تسترنا فتمم اللهم ما به بدأتنا ولا تسلبنا ما به أكرمتنا شعر

يامن كسى قلبي من الحب خلعة ... وآمنني في لبسها الدهر أن تبلي
أياعوضي في كل سفر وحاضر ... وياخلفي من كل من صرم الحبلا

إلهي أتحرق وجها بالنار كان لك ساجدا ولسانا كان لك ذاكرا وقلبا كان بك عارفا

﴿ شعر ﴾

أخف بعد أن توجتني بهداية ... وأوليتني الاحسان والطول شاملا
تجرد قلبي من لباس عناية ... وتسلبنيه ما أظنك فاعلا

الهي كيف ينقطع الى خدمتك من وجد كمال سروره في نعيم حضرتك شعر

بشري قلوب أنت غاية شغلها ... يا كل مطلوب لها وحامل كلها
واذا الرقاب تواضعت وتذللت ... منا اليك فعزها في ذلها

العجب ممن يتذلل للعبيد وهو يجد من مولاه ما يريد والمغبون من خضع للخلق في طلب حاجته ولو رجع الى مولاه لكفاه مهماته شعر

خضوعي لشيء غير عزك باطل ... وحبي لشيء غير وجهك ضائع
واني لارجو الفضل حتي كأنني ... أرى بجميل الظن ما أنت صانع

الهي أنت ملاذنا ان ضاقت الحيل وملجأنا اذا انقطع الامل بذكرك نتنعم ونفتخر والى جودك نلتجيء ونفتقر فبك فخرنا واليك فقرنا ﴿ نظم ﴾

بذكرك يامولى الورى نتنعم ... وقد خاب قوم عن سبيلك قد عموا
شهدنا يقينا أن علمك واسع ... وأنت ترى مافي القلوب وتعلم
الهي تحملنا ذنوبا عظيمة ... اسأنا وقصرنا وجودك أعظم
سترنا معاصينا عن الخلق غفلة ... وأنت ترانا ثم تعفو وترحم
وحقك مافينا مسيء يسره ... صدودك عنه بل يذل ويندم

سكتناعن الشكوي حياء وهيبة * وحاجتنا بالمقتضى تتكلم
اذا كان ذل العبد بالحال ناطقا * فهل يستطيع الصبرعنه ويكتم
الهي فجدواصفح وأصلح قلو بنا * فانت الذي تولي الجميل وتكرم
ألست الذى قربت قوما فوافقوا * ووفقتهم حتى انابوا وأسلموا
وقلت استقيموا منة وتكرما * وأنت الذي قومتهم فتقوموا
لهم فى الدجا أنس بذكرك دائما * فهم فى الليالى ساجدون وقوم
نظرت اليهم نظرة بعطف * فعاشوا بها والخلق سكري ونوم

لك الحمد عاملنا بما أنت أهله *وسامح وسلمنا فأنت المسلم اللهم دلنا بك عليك وارحم ذلنا بين يديك واجعل رغبتنا فيما لديك ولا تحرمنا بذنوبنا ولا تطردنا بعيوبنا واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين وصلي الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(فصل)الهي أنت الملك الحق المبين النور الهادى القوى المتين عرفتنا بربوبيتك وغرقتنا فى بحار نعمتك ونعمتنا بذكرك وأنسك ودعوتنا الى دار قدسك (الهي) كيف يصبر عن قربك من وجد طعم حبك (نظم)

ماسرنى أن لسانى ولا * قلبي من ذكرك يوما خلا
لوأن لى ملك بنى هاشم * يجبى الي الاول فالاول
انى وان قصرت فى خدمتى * باق على العهد وذاك الولا
العيش كل العيش ان جدت لي * بالقرب ياسؤلى والا فلا

(الهى) ان نظرنا الى فضلك فالعجب ممن هلك كيف هلك وان نظرنا الى عدلك فالعجب ممن نجا كيف نجا (الهى) ان حاسبتنا بفضلك نلنا رضوانك وان حاسبتنا بعدلك لم ننل غفرانك (الهي) كيف أرجوك وأنا أنا وكيف لا أرجوك وأنت أنت (نظم)

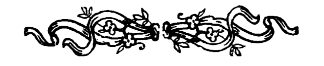
مازلت أغرق فى الاساءة دائما * ويكون منك العفو والغفران
لم تنتقصني اذأسأت وزدتنى * حتي كأن اساءتى احسان
تولى الجميل علي القبيح تكرما * فاغفر فأنت المنعم المنان

(الهى) ان كنا لا نقدر علي ترك ذنب كتبته علينا فانت تقدر علي مغفرته لنا

(الهي) ان كنا قد عصيناك بجهل فقد دعوناك بعقل حيث علمنا ان لنار با يغفر الذنوب ولا يبالى (الهى) أنت تعلم با لحال من قبل الشكوى وأنت قادر على تحقيق الآمال وكشف البلوى (نظم)

أجلك أن أشكو اليك الذي ألقى * وأنت ترى حالي وتعلمه حقا
وان رمت أخفى ماألاقي من الاسى * فشاهد هذا الدمع يسبقني سبقا
وتطمعني الاشواق حتي اذا بدا * جمالك لم أملك لسانا ولا نطقا
اذاما تمني الناس روحا وراحة * تمنيت أن أفنى وسر الهوي يبقي
بجودك فاجبر قلب عبد قطعته * اليك فلا غربا يروم ولا شرقا
تعطف ولا تقطعه عنك فانه * مقيم على باب الرجا أبدا ملقى

اللهم يا من ستر الزلات وغفر السيآت وأبدلها حسنات أجرنا من مكرك وزينا بذكرك واستعملنا بأمرك ووفقنا لشكرك واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم



يقول مصححه الفقير الي المولى المتعالى ﴿ محمد محمد الفضالى ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم نحمدك يامن فتح قلوب أحبابه وخلع عليهم خلع الرضوان وطهرهم من الذنوب ونور سرائرهم بعوارف الاحسان * ونصلى ونسلم على سيدنا محمد سيد الاحباب * الذي أوتى الحكمة وفصل الخطاب * وعلى آله وأصحابه الأئمة الأعلام ﴿أما بعد﴾ فقد تم طبع الكتاب المسمى بطهارة القلوب فى علم التصوف لامام أهل الحقيقة وسيد أهل الطريقة سيدى عبد العزيز الديريني المنسوب الى ديرين أسكنه الله فى أعلى عليين لعمرك إنه لكتاب نفيس يظهر لمن طالعه ماخفي من الحكمة لاسيما وقد اشتمل على خطب فصيحة تعجب بها ذوو القريحة افصحت عن حكم جميلة وآيات من القرآن المنير كاشفا لمعناها بأوضح تفسير قام بطبعه المحترم عثمان خليفة محمد نضر الله أيامه ورفع بالعز أعلامه وذلك بمطبعته الكائنة بكفر الزغارى بشارع المستعلي بالله وذلك فى أوائل جمادى الاولي سنة ١٣٥٤ هجرية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التحية

آمين

فهرس

كتاب طهارة القلوب

صحيفة

صحيفة


تمت


بهاءالدین عمر جرار

